حديث الإفك

تأليف

الإمام السلفي، والفقيه الأثري

الحافظ أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي

(٥٤١هـ - ٦٠٠هـ)

رحمه الله، وأسكنه الفردوس الأعلى

حققه وخرجه وقدم له، وخرج أحاديثه وآثاره، وعلق عليه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي

كان الله له، وعفا عنه بمنه وكرمه

«الطبعة العلمية الكاملة محققة على نسخة المؤلف»

ومعه

الذيل على حديث الإفك

نظم حديث الإفك

غراس
للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان


حديث الإفك

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

حديث الإفك

تأليف

الإمام السلفي، والفقيه الأثري

الحافظ أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي

(٥٤١ هـ - ٦٠٠ هـ)

رحمه الله، وأسكنه الفردوس الأعلى

حققه نصوصه ووثقها، وخرج أحاديثه وآثاره، وعلق عليه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي

غفر الله له، وعفا عنه بمنه وكرمه

« الطبعة العالمية الكاملة محققة على نسخة المؤلف »

ومعه

الذيل على حديث الإفك

نظم حديث الإفك

غراس
للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

به ثقتي، وعليه اعتمادي واستنادي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن حادثة الإفك من أهم الأحداث وأخطرها في سيرة رسول الله ﷺ، فلم يمكر بالمسلمين مكر أشد من هذه الإشاعة، وهي إشاعة مختلقة هزت البيت النبوي شهراً كاملاً، وعصفت بالمدينة النبوية بأسرها، بل اضطرب المجتمع المسلم بكامله... لقد كانت حلقة من سلسلة التآمر على الدعوة، ومحاولة تشويه رموزها، وذلك؛ لأن العدو يعلم أن هذا الدين إنما يقوم على المثال النموذج، والقدوة الأسوة؛ فترى المنافقين يواصلون نسج المؤامرات، ويشيعون حرب الشك والريبة والخيانة؛ ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ**﴾ [المائدة:٥٢]، وفي المجتمع ﴿**سَمَّاعُونَ لَهُم**﴾ [التوبة:٤٧].

وفي أي مكان؟! في عرين الإسلام ومهده... يختلقون قصة الإفك المبين؛ لينالوا من آل البيت الطاهرين.

هذا الحدث كلّف أطهر النفوس وأصفاها وأصبرها وأزكاها في تاريخ بني آدم آلاماً تتفطر منها السماوات، وتنشق الأرض، وتخر لها الجبال هداً، وحمّل المسلمين أشقَّ التجارب في تاريخهم الطويل؛ حيث علّق قلوبهم بحبال الشك والريبة، والألم والقلق؛ لأن هذه الحادثة- التي طعنت في رسول الله ﷺ؛ في عرض زوجته الصديقة بنت الصديق -أَفْتَكُ شائعة على وجه التاريخ.

وعادة ما تنتشر مثل هذه الشائعات بين الناس انتشار النار في هشيم المحتظر؛ لأنها تتعلق بالجنس، وبالقيادات السياسية الهامة، والشخصيات العامة ... فما بالك بأمر متعلق بأطهر نساء العالمين، وزوج سيد المرسلين في الدنيا والآخرة؟! لا شك أنها ستكون الأوسع انتشاراً، حيث تلوكها ألسنة المنافقين والذين في قلوبهم مرض، دون حيطة وحذر.

لقد سعى رئيس حزب المنافقين للعبث بعفاف زوجات رسول الله ﷺ، فأتهم زوجته الحبيبة بالفاحشة؛ نكاية بالمؤمنين والمؤمنات ... ولقد بيَّن الله كذبه وافتراءه ... فلولا عناية الله -عز وجل- وفضله؛ لكانت هذه الحادثة التي اختلقها هذا المنافق الأثيم قادرة على أن لا تبقي نفساً مستقرة مطمئنة لأنثى من بنات حواء إلى يوم الدين، فنزل الوحي الكريم؛ ليضع حدّاً لتلك المأساة، ويصيغ قواعد تربوية تنظم حركة المجتمع الإسلامي على أسس راسخة، لا تهزه إشاعة -ما إن تمسك بها- بعد ذلك إلى قيام الساعة.

وقد قام العالم السلفي، والإمام الأثري: الحافظ أبو محمد عبد الغني بن عبدالواحد المقدسي بجمع مرويات حديث الإفك بأسانيده؛ فرأيت أن أقوم على تحقيقها، وتوثيق نصوصها، وتخريج أحاديثها وآثارها، ضمن قواعد المنهج العلمي الذي حبّره علماء السلف تحبيراً، وبخاصة في زمن اشتدت حاجة المسلم إلى مثل هذه الدراسات التربوية؛ التي بها يستقيم الصف المسلم، ويشتد بنيانه.

وهانذا أشرع في توثيق هذه المقالة، وتوضيح دلالتها في هذه العجالة، فدونك هذه الرسالة التي تبرهن أن الحق ماكث في الأرض لا محالة.

أرجو الله أن يتقبلها بقبول حسن، ويجعلها للمتقين إماماً، ويدخر لي ثوابها إلى يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨و٨٩].

فمن وجد خيراً؛ فليحمد الله على توفيقه وهداه، ولا ينسانا من دعوة

صالحة في الأسحار تجبر ضعفنا، ويصلح الله بها شأننا، ومن وجد خللاً؛ فليصلحه بالتي هي أحسن للتي هي أقوم، وإني متقلد منته آخر عمري، وأبرأ إلى الله -تعالى- من كل ما خالف كتابه وسنة نبيه وفهم السلف، في حياتي وبعد موتي؛ ولكن قد يخطئ المرء في التأويل، فحسبي الله -مولاي- ونعم الوكيل، إنه بكل جميل كفيل، وعلى الله قصد السبيل.

قاله بفمه ورسمه بقلمه

حامداً لربه، ومصلياً ومسلماً على رسوله

أبو أسامة سليم بن عيد بن محمد بن حسين

الهلالي نسباً، السلفي الأثري عقيدة ومنهجاً وسلوكاً،

النجدي موطناً، الخليلي الفلسطيني مولداً، الأردني داراً وإقامة

ضحى الخامس من جمادى الآخرة، سنة (١٤٢٦) من هجرة

رسول الله ﷺ، في داري الكائنة في عمان البلقاء، عاصمة جند الأردن

من بلاد الشام -حرسها رب البرية من كل شر ومكر وسوء وبلية-

دراسة الكتاب

وتحتوي على الآتي:

* أولاً: تسمية الكتاب ونسْبته إلى مؤلفه.
* ثانياً: نسخة الكتاب.
* ثالثاً: منهج المؤلف في كتابه.
* رابعاً: المصنفات في حديث الإفك.
* خامساً: منهجي في تحقيق الكتاب.

دراسة الكتاب

* أولاً: تسمية الكتاب، ونسبته إلى مؤلفه:

اسم الكتاب: حديث الإفك.

هكذا ورد على صفحة الغلاف من المخطوط، وهو بخط مؤلفه.

ولا خلاف في نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه؛ بالنظر إلى صفحة عنوان المخطوط، وأسماء شيوخه.

* ثانيًا: نسخة الكتاب:

لم أعثر للكتاب إلا على نسخة واحدة فريدة، وهي مصورة عن الأصل الموجود في الظاهرية برقم (٣٧٦٧) مجموع.

وعدد أوراقها (١٧) ورقة، بدأت بورقة (١٢٢)، وانتهت بنهاية الورقة (١٣٨).

وعدد أسطر كل صفحة (١٦) سطرًا، تزيد أحيانًا وتنقص أخرى، وتتخللها بعض الصفحات البيضاء.

وخطها نسخي عادي مقروء، يقترب في رسم بعض الحروف من الخط الكوفي، لكنها تخلو من النَّقْط في كثير من الأحيان؛ مما سبب عسر قراءة بعض الكلمات -أو العبارات-، وليس فيها سماعات، ولا تمليكات.

والنسخة بخط المؤلف؛ كما قال صلاح المنجد في «معجم المؤرخين الدمشقيين» (ص ٦٩)، وهو مما يتأكد بمقارنته مع خطه في «كتاب الشعراء» لأبي نعيم الأصبهاني وغيره؛ كما في «كتاب الشعراء» تحقيق عبد العزيز المانع (ص ١١ -١٢)، ولم يبين -رحمه الله- تاريخ النسخ.

وقد حفظت زمناً في المدرسة الضيائية بسفح قاسيون، ثم انتقلت إلى دار الكتب الظاهرية، ثم استقرت في مكتبة الأسد.

وقد طبع الكتاب طبعتين:

الأولى: طبعة دار البشائر -بيروت، تحقيق إبراهيم صالح(!) وهي طبعةٌ مليئة بالأخطاء، والتصحيفات؛ فضلاً عن الأوهام الكثيرة، والقصور في التخريج.

وقد رمزت لها بـ (م).

الثانية: طبعة دار عالم الكتب-الرياض، تحقيق هشام السقا، وتقديم محمود الحداد، وهي طبعة أفحش من سابقتها بكثير، وقد حوت على كثير من الأوهام العلمية، والتصحيفات الطباعية، التي لا تليق بدعاوى المقدّم(!!) ولا ينبغي أن تقع ممن يدعي التحقيق(!)

وقد رمزت لها بـ (ح).

*** ثالثًا: منهج المؤلف في الكتاب:**

الكتاب مجموعة من الأحاديث والآثار التي تتحدث عن حادثة الإفك، ويروي المؤلف -رحمه الله- الحديث أو الأثر بإسناده المتصل إلى قائله، ويعطف المؤلف الحديث على الإسناد السابق أحيانًا.

وليس للكتاب ترتيب معين، فلم يجعل الأحاديث أولاً ثم الآثار، ولم يذكر المؤلف الصحيح، ثم الحسن، ثم الضعيف.

يكرر الحديث الواحد أحيانًا أكثر من مرة؛ لكن باختلاف الإسناد أو المتن؛ كما في حديث (رقم ٢و٣)، ولم يكرر حديثًا بإسناده ومتنه البتة.

يخرج المؤلف الحديث أحياناً، ويحكم عليه عقب روايته له بإسناده، وأحيانًا يترك ذلك، فليس له منهج ثابت في هذا الأمر.

ولا شك أن لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة، تتلخص في الآتي:

١- أنه جمع جملة من الأحاديث والآثار التي تتحدث عن موضوع الإفك في كتاب واحد، وهذا يسهل على الباحثين النظر والمراجعة؛ لا سيما إذا خرجت هذه الأحاديث والآثار، وحكم عليها حسب قواعد هذا العلم الشريف، فلا يخفى أن في ذلك خدمة عظيمة لهذا الموضوع.

٢- وتزداد قيمة الكتاب العلمية حيث أن المؤلف -رحمه الله- يروي

أحاديثه وآثاره بإسناده المتصل إلى قائله، ولا يعلم قيمة هذا الأمر إلا المشتغلون بهذا العلم؛ فمثلاً: روى المؤلف -رحمه الله- الحديث الأول والأخير من طريق الإسماعيلي في «المستخرج»، وهذا الكتاب في عداد المفقود، فحفظ لنا بذلك بعض الأسانيد والمتون التي لم تر النور بعد.

٣- جمع المؤلف للأحاديث والآثار الواردة في الإفك في مكان واحد سهل عناء البحث في ذلك، فلو أراد باحث جمعها لأخذ منه -بلا ريب- بعض الوقت.

* رابعاً: المصنفات في حديث الإفك:

سبق المصنف إلى التصنيف في هذا الباب:

١- عبد الكريم بن الهيثم الديرعاقولي، المتوفى سنة (٢٧٨ هـ)، له «جزء حديث الإفك»، وهو من محفوظات دار الكتب الظاهرية (تصوف ١٢١ -ق ٣٩/ أ -٤٧/ ب).

٢- محمد بن الحسين الآجري، المتوفى سنة (٣٦٠ هـ)، له «جزء حديث الإفك»، نسبه له الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٣٤٤)، و«المعجم المؤسس» (٧٣/ ١٨٤).

* خامساً: منهجي في تحقيق الكتاب.

وقد اتبعت في تحقيق الكتاب الخطوات الآتية:

١- ضبط نص الكتاب ضبطًا علميًّا، وتصحيحه على المخطوط، ومصادر التخريج.

٢- تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب وفق أصول وقواعد الصنعة الحديثية.

٣- تخريج الآثار الواردة في الكتاب تخريجاً حديثياً.

٤- التعليق على الأحاديث والآثار، وبيان معنى الغريب، وذكر الفوائد المستنبطة من الحديث، ورد الإشكالات الواردة فيها.

٥- ضبط ما يحتاج إلى ضبط؛ سواء أكان في المتن، أو الحاشية.

٦- التعريف بالأماكن والبلدان.

٧- ترقيم الأحاديث والآثار ترقيمًا عامًّا، وبلغ عددها في هذا السفر المبارك أحد عشر حديثًا وأثرًا.

٨- جمعت الأحاديث والآثار التي لم يذكرها المصنف -رحمه الله-؛ وجعلتها ذيلاً على هذا الجزء.

٩- عملت ترجمة وسيطة للمصنف.

١٠- صنعت بعض الفهارس العلمية؛ لتسهيل الإفادة من هذا الجزء المبارك، وهي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار السلفية.

٤- فهرس الرواة والأعلام المترجم لهم.

٥- فهرس الأشعار.

٦- فهرس الأماكن والبلدان.

٧- فهرس القبائل والفرق والجماعات والمذاهب والأنساب.

٨- فهرس الفوائد العلمية.

٩- فهرس المصادر والمراجع.

١٠- فهرس الموضوعات.

هذا ما تيسَّر لي عمله بتوفيق الله وفضله.

ترجمة المصنف

أولاً: حياته الشخصية:

* اسمه ونسبه:

هو الإمام العالم، الحافظ الكبير،الثقة، العابد، الفقيه، السلفي، الأثري، المتبع: تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع ابن حسن بن جعفر، المقدسي الأصل، الجمّاعيلي[١]، ثم الدمشقي المنشأ، الصالحي[٢]، المصري وفاة.

* مولده:

قال الحافظ ضياء الدين المقدسي -صاحب «الأحاديث المختارة»-: «ولد سنة إحدى وأربعين وخمس مئة بجمّاعيل، أظنه في ربيع الآخر. قالت والدتي: هو أكبر من أخيها الشيخ الموفق[٣] بأربعة أشهر، والموفق ولد في شعبان»[٤].

وقال الحافظ ابن كثير[٥]: «ولد بجمّاعيل في ربيع الآخر، سنة إحدى

(١) نسبة إلى جَمّاعيل - بفتح الجيم، وتشديد الميم المفتوحة، بعد الألف عين مهملة مكسورة-: قرية من جبل نابلس من فلسطين الحبيبة السليبة -أعادها الله لحوزة المسلمين، وقهر يهود المستعمرين-.

انظر: «معجم البلدان» (٢/ ١٥٩-١٦٠).

(٢) نسبة إلى الصالحية، وهي: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق، وفيها جماعة من الصالحين، ويسكنها -أيضًا- جماعة من الصالحين، ولا تكاد تخلو منهم، وأكثر أهلها ناقلة بيت المقدس على مذهب أحمد بن حنبل؛ قاله ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٣/ ٣٩٠).

(٣) المعروف بـ (ابن قدامة المقدسي).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٤٤٤)، و«تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٧٢).

(٥) «البداية والنهاية» (١٦/ ٧٢٣).

وأربعين وخمس مئة، وهو أسن من عميه: الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، والشيخ أبي عمر، بأربعة أشهر».

وقد قيل: إن الإمام عبد الغني المقدسي -رحمه الله- ولد سنة أربع وأربعين وخمس مئة، وقيل: سنة ثلاث وأربعين؛ والراجح الأول.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي[١]: «وذكر ابن النّجار في «تاريخه»: أنه سأل الحافظ عبد الغني المقدسي عن مولده، فقال: إما في سنة ثلاث، أو في سنة أربع وأربعين وخمس مئة، وأنه قال: الأظهر: أنه في سنة أربع».

وقال الحافظ المنذري[٢]: «وذكر عنه بعض أصحابه ما يدل على أن مولده سنة أربع وأربعين وخمس مئة».

والأقرب في ذلك إلى الصحة -والله أعلم- قول الحافظين: الضياء المقدسي، وابن كثير؛ وذلك لأسباب، منها:

١- عناية الحافظ الضياء المقدسي -رحمه الله- بأخبار شيخه الحافظ عبدالغني المقدسي، وصلته به، وقرابته منه، فهو من هذه الحيثية أعلم به من غيره، لا سيما وأن كثيرًا ممن ترجم للحافظ عبد الغني قد اعتمد على هذا التاريخ، ونقل جلّ مادة الترجمة من الحافظ الضياء المقدسي.

٢- أن الحافظ الضياء المقدسي نقل تاريخ ولادة الحافظ عبد الغني عن والدته، مع ضبطها التام له؛ إذ حددت الفرق بين ولادة الحافظ عبد الغني وولادة أخيها، وذكرت أن بينهما أربعة أشهر، وهذا الأمر مما تعتني به النساء -غالبًا- في البيوت أكثر من الرجال، والله أعلم.

٣- أن القولين الأخيرين ذكرا على سبيل التردد والشك، فلا يعدل عن اليقين الثابت إلى مجرد شك محتمل.

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٥).

(٢) «التكملة لوفيات النقلة» (٢/ ١٨).

* نشأته ورحلاته:

نشأ الحافظ عبد الغني المقدسي -رحمه الله- بجمّاعيل من أرض نابلس في بيت علم وأدب وصلاح، ونسب إلى بيت المقدس؛ لقرب جماعيل منه، وقد كانت مدينة نابلس وجميع أعمالها -قديمًا- من مضافات بيت المقدس، ثم انتقل مع أسرته من بيت المقدس إلى مسجد أبي صالح[١]، خارج الباب الشرقي لمدينة دمشق أولاً، ثم انتقلت أسرته إلى سفح جبل قاسيون، فبنوا دارًا تحتوي على عدد كبير من الحجرات، دعيت بدار الحنابلة، ثم بنوا أول مدرسة في جبل قاسيون، وهي المعروفة بالمدرسة العمرية، وعرفت تلك الناحية التي أسسوها بـ (الصالحية)؛ نسبة إليهم؛ فقد كانوا أهل علم وصلاح.

وقد كان لزوج خالته -الشيخ محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي[٢] - اليد البيضاء في نشأة هذا العالم الإمام نشأة علمية سلفية، فتتلمذ في سنٍّ مبكرة على يديه، وساعده على ذلك وجود ابن خالته: الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي -صاحب كتاب «المغني»-؛ فقد كان ندًّا قويًّا له، يماثله في السنِّ والطلب، فزاد ذلك في تقوية نشأته الدينية والعلمية.

ثم تتلمذ بعد ذلك على شيوخ دمشق وعلمائها، فأخذ عنهم معظم العلوم الشرعية، وكان من أبرزهم: الشيخ أبو المكارم بن هلال، وسلمان بن علي الرحبي، ومحمد بن حمزة القرشي، ثم رحل بعد ذلك إلى كثير من البلدان، وجاب الآفاق في طلب العلم ولقاء العلماء، وقد كانت رحلته الأولى في سنٍّ مبكرة:

قال الإمام الذهبي[٣]: «رحل إلى بغداد مرتين، وإلى مصر مرتين، سافر إلى بغداد هو وابن خالته الشيخ الموفق في أول سنة إحدى وستين، فكانا يخرجان معًا، ويذهب أحدهما في صحبة رفيقه إلى درسه وسماعه، كانا شابين مختطين،

(١) وهذا سبب نسبته لـ (الصالحي).

(٢) والد الإمام ابن قدامة المقدسي صاحب كتاب «المغني».

(٣) «السير» (٢١/ ٤٤٥).

وخوَّفهما الناس من أهل بغداد، وكان الحافظ ميله إلى الحديث، والموفق يريد الفقه، فتفقه الحافظ وسمع الموفق معه الكثير، فلما رآهما العقلاء على التصون وقلّة المخالطة؛ أحبوهما، وأحسنوا إليهما، وحصَّلا علمًا جمًّا، فأقاما ببغداد نحو أربع سنين، ونزلا أولاً عند الشيخ عبد القادر الجيلاني، فأحسن إليهما، ثم مات بعد قدومهما بخمسين ليلة».

قال الحافظ ابن رجب[1]: «ثم رحل إلى بغداد سنة إحدى وستين هو والشيخ الموفق، فأقاما ببغداد أربع سنين، وكان الموفق ميله إلى الفقه، والحافظ عبدالغني ميله إلى الحديث، فنزلا على الشيخ عبد القادر، وكان يراعيهما ويحسن إليهما، وقرآ عليه شيئًا من الحديث والفقه.

وحكى الشيخ الموفق: أنهما أقاما عنده نحوًا من أربعين يومًا ثم مات، وأنهما كانا يقرآن عليه كل يوم درسين من الفقه؛ فيقرأ هو من «الخرقي» من حفظه، والحافظ من «كتاب الهداية».

قال الحافظ الضياء المقدسي: وبعد ذلك اشتغلا بالفقه والخلاف على ابن المنِّي، وصارا يتكلمان في المسألة ويناظران، وسمعا من أبي الفتح بن البطي، وأحمد بن المقرئ الكرخي، وأبي بكر بن النقور، وهبة الله بن الحسن بن هلال الدقاق، وأبي زُرْعة، وغيرهم، ثم عادا إلى دمشق.

ثم رحل الحافظ سنة ست وستين إلى مصر والإسكندرية، وأقام هناك مدة، ثم عاد إلى دمشق، ثم رحل إلى الإسكندرية سنة سبعين، وأقام بها ثلاث سنين، وسمع بها من الحافظ السِّلَفي، وأكثر عنه؛ حتى قيل: لعله كتب عنه ألف جزء، وسمع من غيره أيضًا.

وسمع بمصر من أبي محمد بن بري النحوي وجماعة، ثم عاد إلى دمشق، ثم سافر بعد السبعين إلى أصبهان وكان قد خرج إليها وليس معه إلاَّ قليل فلوس،

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٥-٦).

فسهّل الله له مَن حمَلَهُ وأنفق عليه حتى دخل أصبهان، وأقام بها مدة، وسمع بها الكثير، وحصّل الكتب الجيدة، ثم رجع.

وسمع بهمذان من عبد الرزاق بن إسماعيل القرماني، والحافظ أبي العلاء، وغيرهما.

وبأصبهان من الحافظين: أبي موسى المديني، وأبي سعد الصائغ وطبقتهما.

وسمع بالموصل من خطيبها أبي الفضل الطوسي.

وكتب بخطه المتقن ما لا يوصف كثرةً، وعاد إلى دمشق، ولم يزل ينسخ ويصنف، ويحدث ويفيد المسلمين، ويعبد الله، حتى توفاه الله على ذلك».

* صفاته وأخلاقه:

١- صفاته الخَلْقيَّة:

قال الضياء المقدسي[(١)]: «وكان -رحمه الله- ليس بالأبيض الأمهق، بل يميل إلى السمرة، حسن الشعر، كث اللحية، واسع الجبين، عظيم الخلق، تام القامة، كأن النور يخرج من وجهه، وكان قد ضعف بصره؛ من كثرة البكاء، والنسخ، والمطالعة».

وقال: «وكان -رحمه الله- قويًّا في بدنه».

وقال[(٢)]: «كان يستعمل السواك كثيرًا؛ حتى كأن أسنانه البرد».

٢- صفاته الخُلُقيَّة:

أ- كرمه، وسخاؤه، ومحبة الناس له:

قال الضياء[(٣)]: «ما أعرف أحدًا من أهل السُّنة رأى الحافظ إلا أحبَّه حبًّا

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٤)، و«السير» (٢١/ ٤٤٦).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٢)، و«السير» (٢١/ ٤٥٣).

(٣) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٤)، و«السير» (٢١/ ٤٥٧-٤٥٧).

شديدًا، ومدحه مدحًا كثيرًا.

سمعت محمود بن سلامة الحراني بأصبهان؛ قال: كان الحافظ بأصبهان يصطف الناس في السوق ينظرون إليه.

وسمعته يقول: لو أقام الحافظ بأصبهان مدة، وأراد أن يملكها؛ لملكها -يعني: من حبهم له، ورغبتهم فيه-».

وقال[١]: «وكنا يومًا عنده نكتب الحديث ونحن جماعة أحداث، فضحكنا من شيء وطال الضحك، فرأيته يتبسم معنا، ولا يجرد علينا، وكان سخيًّا جوادًا كريمًا، لا يدخر دينارًا ولا درهمًا، ومهما حصَّل أخرجه، ولقد سمعت عنه أنه كان يخرج في بعض الليالي بقفاف الدقيق إلى بيوت المحتاجين، متنكرًا في الظلمة، فيدق عليهم، فإذا علم أنهم يفتحون الباب؛ ترك ما معه ومضى؛ لئلا يعرفه أحد.

وقد كان يفتح له بشيء من الثياب والبرد، فيعطي الناس وربما كان عليه ثوب مرقع.

وقد أوفى غير مرة -سرًّا- ما يكون على بعض أصحابه من الدَّين، ولا يُعْلِمُهم بالوفاء.

قال خالي الشيخ موفق الدين: كان الحافظ جوادًا، يؤثر بما تصل إليه يده سرًّا وعلانية».

وقال -أيضاً-[٢]: «وكان حسن الخلق، رأيته وقد ضاق صدر بعض أصحابه في مجلسه، وغضب، فجاء إلى بيته وترضّاه، وطيّب قلبه».

وقال[٣]: «وسمعت بدر بن محمد الجزري يقول: ما رأيت أحدًا أكرم من الحافظ؛ كنت أستدين -يعني: لأطعم به الفقراء-، فبقي لرجل عندي ثمانية

(١) «الذيل» (٢/ ١٤-١٥)، و«السير» (٢١/ ٤٥٧).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٤).

(٣) «السير» (٢١/ ٤٥٧).

وتسعون درهمًا، فلما تهيَّأ الوفاء أتيت الرجل، فقلت: كم لك؟ قال: ما لي عندك شيء، قلت: من أوفاه؟ قال: قد أوفي عنك، فكان وفاه الحافظ، وأمره أن يكتم عليه».

وقال[١]: «وقد فتح له بكثير من الذهب وغيره، فما كان يترك شيئًا حتى قال لي ابنه أبو الفتح: والدي يعطي الناس الكثير، ونحن لا يبعث إلينا شيئًا».

وقال[٢]: «وسمعت أبا الثناء محمود بن همام يحكي عن رجل كان بمسجد الوزير، فجرى بينه وبين أصحاب الموفق شيء، فلم يعطوه جامكية، قال: فبقينا ثلاثة أيام ليس لنا شيء، فدخلت يوم الجمعة أصلي، وسلمت بعد العصر على الحافظ، فقال لي: اقعد، فقعدت، فلما قام مشيت معه إلى خارج الجامع، فناولني نفقة، وقال: اشتر لبيتك شيئًا، ومضى.

فاشتريت نصف خروف مشوي، وخبزًا كثيرًا، وحلواء، واكتريت حمَّالاً، ومضيت إلى أهلي، فعددت ما بقي؛ فإذا هو خمسة وأربعون درهمًا.

وذكر غير واحد: أنه وقع بمصر غلاء وهو بها، فكان يؤثر بعشائه عدة ليالي ويطوي».

وقال[٣]: «رأيت يومًا قد أهدي إلى بيت الحافظ مشمش، فكانوا يفرقون؛ فقال من حينه: فرقوا؛ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]».

وقال ابن كثير[٤]: «قال السبط ابن العجمي: كان عبد الغني ورعًا زاهدًا، عابدًا، يصلي كل يوم ثلاث مئة ركعة كورد الإمام أحمد، ويقوم الليل، ويصوم

(١) «المصدر السابق».

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٥).

(٣) «السير» (٢١/ ٤٥٨).

(٤) «البداية والنهاية» (١٦/ ٧٣٤).

عامة السَّنة، وكان كريمًا جوادًا لا يدِّخر شيئًا، ويتصدق على الأرامل والأيتام، حيث لا يراه أحد، وكان يرقع ثوبه، ويؤثر بثمن الجديد، وكان قد ضعف بصره من كثرة المطالعة والبكاء».

وقال الضياء[١]: «وسمعت أبا محمد -عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار- المقدسي يحدث عن رجل -وأثنى عليه خيرًا-؛ قال: كنت مرة قد تخرقت ثيابي، فجئت يومًا بدمشق للحافظ، فقلت: يا سيدي! لك حاجة أحملها إلى جبل؟ قال: نعم، خذ معك هذا الثوب، فحملته إلى الجبل، فلما صعدت؛ جئت بالثوب إليه، فقال: اقعد فصُلْ لك ثوبين وسراويل، ففصَّلتُ ثوبين وسراويل، وفضلت فضلة، فأخذها».

ب- ورعه:

قال[٢]: «سمعت الحافظ أبا موسى بن الحافظ عبد الغني المقدسي -واسمه عبد الله- يقول: قالت لي والدتي: قدّمنا يومًا لوالدك طبيخًا من طبيخ فلان-لرجل سمّاه لي-، وكان الحافظ لا يشتهي أن يأكل من طعامه، فأخذ لقمة ورفعها إلى فيه، ثم نظر إليه وقال: هذا من طبيخ فلان، ارفعوه، ولم يأكل منه شيئًا.

قال الضياء: فسألت خالتي رابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامة -امرأة الحافظ- بعد ذلك عن هذه الحكاية، فحدثتني بها».

وقال[٣]: «سمعت أبا محمد -عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار- المقدسي؛ قال: كنت يومًا عند الحافظ بالقاهرة، فدخل رجل فسلَّم عليه، ثم أخرج دينارين فدفعهما الحافظ إليَّ، وقال: ما كان قلبي يطيب بهما، فسألت الرجل: إيش شغلك؟

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٨).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٧-٢٨).

(٣) المصدر السابق نفسه (٢/ ٢٨).

فقال: أنا أكتب على النطرون.

والنطرون بمصر: ماء يجمد مثل الملح وعليه ضمان».

ت- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

وكان -رحمه الله- إلى ذلك مجاهدًا صابرًا، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، وهذا هو حال العالم الداعي إلى الله، وله في ذلك -رحمه الله- مواقف مشرفة، وصورًا بهيَّة، وكان قد وضع الله له الهيبة في قلوب الخلق[١]:

قال الحافظ الضياء[٢]: «وكان الحافظ لا يرى منكرًا إلا غيَّره بيده، أو بلسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد رأيته مرة يهريق خمرًا، فجبذ صاحبه السيف، فلم يخف من ذلك، وأخذه من يده، وكان -رحمه الله- قويّاً في بدنه وفي أمر الله، وكثيرًا ما كان بدمشق ينكر المنكر، ويكسر الطنابير والشبابات».

وقال[٣]: «قال خالي الموفق: كان الحافظ لا يصبر عن إنكار المنكر إذا رآه، وكنا مرة أنكرنا على قوم وأرَقْنا خمرهم وتضاربنا، فسمع خالي -أبو عمر-، فضاق صدره، وخاصمنا، فلما جئنا إلى الحافظ طيَّب قلوبنا، وصوّب فعلنا، وتلا: ﴿وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان:١٧]».

وقال[٤]: «سمعت أبا بكر بن أحمد بن محمد الطحان؛ قال: كان بعض أولاد صلاح الدين قد عملت لهم طنابير، وحملت إليهم، وكانوا في بعض البساتين يشربون، فلقي الحافظ الطنابير تحمل إليهم، فكسرها ودخل المدينة.

قال: فحدثني الحافظ؛ قال: فلما كنت أنا وعبد الهادي عند حمام كافور إذا

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٣)، و«السير» (٢١/ ٤٥٥).

(٢) «السير» (٢١/ ٤٥٤)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٢-١٣).

(٣) «السير» (٢١/ ٤٥٤).

(٤) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٣)، و«السير» (٢١/ ٤٥٤-٤٥٥).

قوم كثير معهم عصي، فخففت المشي، وجعلت أقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فلما صرت عند الجسر لحقوا صاحبي، فقال: أنا ما كسرت لكم شيئًا، هذا هو الذي كسر، قال: فإذا فارس يركض؛ فترجل عن الفرس، وجاء إليَّ وقبَّل يدي، وقال: يا شيخ الصبيان ما عرفوك.

وكان الله قد وضع له هيبة في النفوس».

وقال -أيضًا-[1]: «كان في دولة الأفضل بن صلاح الدين قد جعلوا الملاهي عند درج جيرون، فجاء الحافظ فكسَّر شيئًا كثيرًا منها، ثم جاء فصعد المنبر يقرأ الحديث، فجاء إليه رسول من القاضي يأمره بالمشي إليه؛ ليناظره في الدف والشَّبابة، فقال الحافظ: ذاك عندي حرام، وقال: أنا لا أمشي إليه، إن كان له حاجة؛ يجيء هو، ثم قرأ الحديث، فعاد الرسول، فقال: قد قال: لا بد من المشي إليه، أنت قد بطَّلت هذه الأشياء على السلطان، فقال الحافظ: ضرب الله رقبته ورقبة السلطان، قال: فمضى الرسول، وخفنا أن تجيء فتنة، قال: فما جاء أحد بعد ذلك».

وقال الضياء[2]: «وسمعت بعض أصحابنا يحدث عن الأمير درباس المهراني؛ أنه كان دخل مع الحافظ إلى الملك العادل، فلما قضى الملك كلامه مع الحافظ؛ جعل يتحدث مع بعض الحاضرين في أمر ماردين وحصارها، وكان حاصرها قبل ذلك، فسمع الحافظ كلامه، فقال: إيش هذا، وأنت بعد تريد قتال المسلمين، ما تشكر الله فيما أعطاك إمامًا؟ قال: وسكت الملك العادل، فما أعاد ولا أبدى، ثم قام الحافظ وقمت معه، فلما خرجنا؛ قلت له: إيش هذا؟ نحن كنا نخاف عليك من هذا الرجل، ثم تعمل هذا العمل؟! فقال: أنا إذا رأيت شيئًا لا أقدر أصبر -أو كما قال-».

(١) «السير» (٢١/ ٤٥٦).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٣)، و«السير» (٢١/ ٤٥٥-٤٥٦).

ث- محنته:

أوذي الحافظ عبد الغني المقدسي -رحمه الله- في الله كثيرًا، وابتلي كغيره من علماء السلف أهل السنة والجماعة -أهل الحديث-، وقد كمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة وعداوتهم إياه، وقيامهم عليه، حتى بلغ الحال بهم -على عادتهم- أن وشوا بالحافظ إلى ولاة الأمر والحكام.

وبلغ الحال ببعض الحاقدين الحاسدين أن أرسل إلى الملك العادل يبذل في قتل الحافظ خمسة آلاف دينار!! سبحان الله.

وأكثر ما جر عليه البلاء: قيامه -رحمه الله- بنشر أحاديث النزول والصفات، فثارت ثائرة أهل الزيغ والبدع، وقامت قيامة الجهلة والضلال، ورموه -ببالغ حقد وجهل- بالتجسيم، وأنه من المشبهة!! على عادة الجهمية المعطلة -نفاة الصفات-.

قال الضياء المقدسي[(١)]: «سمعت أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار: سمعت الحافظ يقول: سألت الله أن يرزقني مثل حال الإمام أحمد، فقد رزقني صلاته، قال: ثم ابتلي بعد ذلك وأوذي».

وقال[(٢)]: «سمعت الحافظ يقول: كنا بالموصل نسمع «الجرح والتعديل»[(٣)] للعقيلي، فأخذني أهل الموصل، وحبسوني، وأرادوا قتلي من أجل ذكر أبي حنيفة فيه[(٤)]، قال: فجاءني رجل طويل ومعه سيف، فقلت: لعل هذا يقتلني وأستريح، قال: فلم يصنع شيئًا، ثم إنهم أطلقوني.

(١) «السير» (٢١/ ٤٥٨).

(٢) «السير» (٢١/ ٤٥٩)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٠).

(٣) وهو المعروف بـ «الضعفاء الكبير».

(٤) هكذا تفعل بدعة التعصب المذهبي: سجن وتعذيب ... فما بالك ببدعة أشد وأمر وأدهى وأضر: بدعة التعصب الحزبي: قتل وتدمير وتكفير وتفجير ...﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[الكهف: ١٠٤].

قال: وكان يسمع هو والإمام ابن البرني الواعظ، فأخذ ابن البرني الكراس التي فيها ذكر أبي حنيفة فاشتالها، فأرسلوا، وفتشوا الكتاب فلم يجدوا شيئاً؛ فهذا سبب خلاصة. والله أعلم».

وقال الحافظ الضياء المقدسي[1]: «كان الحافظ يقرأ الحديث بدمشق، ويجتمع الخلق عليه، ويبكّي الناس، وينتفعون بمجالسه كثيرًا، فوقع الحسد عند المخالفين بدمشق، وشرعوا يعملون وقتًا يجتمعون في الجامع، ويقرأ عليهم الحديث، ويجمعون الناس من غير اختيارهم؛ فهذا ينام، وهذا قلبه غير حاضر، فلم تشتف قلوبهم بذلك!

فشرعوا في المكيدة؛ بأن أمروا الإمام الناصح أبا الفرج- عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي- الواعظ بأن يجلس يعظ في الجامع تحت قبة النسر بعد الجمعة وقت جلوس الحافظ.

فلما بلغني ذلك قلت لبعض أصحابنا: هذه مكيدة والله، وما ذلك لحبهم الناصح، وإنما يريدون أن يعملوا شيئًا.

فأول ذلك: أن الحافظ والناصح أرادا أن يختلفا للوقت، ثم اتفقا على أن يجلس الناصح بعد صلاة الجمعة، ثم يجلس الحافظ بعد صلاة العصر، فلما كان بعض الأيام، والناصح قد فرغ من مجلسه -وكان قد ذكر الإمام أحمد -رحمه الله- في مجلسه-، فدسوا إليه رجلاً ناقص العقل من بيت ابن عساكر، فقال للناصح كلامًا معناه:

إنك تقول الكذب على المنبر، فضرب ذلك الرجل وهرب، فأتبع، وخبّئ في الكلاسة، فتمت لهم المكيدة بهذه الواقعة.

فمشوا إلى الوالي، وقالوا: هؤلاء الحنابلة ما قصدهم إلا الفتنة، واعتقادهم يخالف اعتقادنا.

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٠-٢١و٢٤-٢٦)، و«السير» (٢١/ ٤٥٩-٤٦٣).

ثم إنهم جمعوا كبراءهم، ومضوا إلى القلعة إلى الوالي، وقالوا: نشتهي أن يحضر الحافظ عبد الغني، وكان مشايخنا قد سمعوا بذلك، فانحدروا إلى دمشق؛ خالي الإمام موفق الدين، وأخي الإمام الشمس أبي العباس أحمد البخاري، وجماعة الفقهاء، وقالوا: نحن نناظرهم.

وقالوا للحافظ: اقعد أنت لا تجيء؛ فإنك حادٌّ، ونحن نكفيك، فاتفق أنهم أرسلوا إلى الحافظ من القلعة وحده فأخذوه، ولم يعلم أصحابنا بذلك، فناظروه، وكان أجهلهم يغرى به، فاحتد.

وكانوا قد كتبوا شيئًا من اعتقادهم، وكتبوا خطوطهم فيه، وقالوا له: اكتب خطك، فأبى، ولم يفعل.

فقالوا للوالي: الفقهاء كلهم قد اتفقوا على شيء وهو يخالفهم، وكان الوالي لا يفهم شيئًا، فاستأذنوه في رفع منبره، فأرسلوا الأسرى، فرفعوا ما في جامع دمشق من منبرٍ وخزانة ودرابزين. وقالوا: نريد أن لا تجعل في الجامع إلا صلاة أصحاب الشافعي، وكسروا منبر الحافظ، ومنعوه من الجلوس، ومنعوا أصحابنا من الصلاة في مقامهم في الجامع، ففاتهم صلاة الظهر!

ثم إن الناصح ابن الحنبلي جمع السوقة وغيرهم، وقال: إن لم يخلّونا نصلي باختيارهم صلينا بغير اختيارهم، فبلغ ذلك القاضي -محمد بن علي بن محمد القرشي، وهو كان صاحب الفتنة- فأذن لهم بالصلاة، وخاف أن يصلّى بغير إذنه! وكان الحنفية قد حموا مقصورتهم بالجند[1]!

ثم إن الحافظ ضاق صدره، ومضى إلى بعلبك، فأقام بها مدة يقرأ الحديث، وكان الملك العادل في بلاد الشرق، فقال أهل بعلبك للحافظ:

إن انتهيت جئنا معك إلى دمشق؛ نؤذي مَن آذاك، فقال: لا، ثم إنه توجه

(١) تدبر ما صنعت فتنة التعصب المذهبي: فرقت المسلمين شيعاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣] فاحذر أخا الإسلام المذهبية التي فرّخت الحزبية!

إلى مصر، ولم يعلم أصحابنا بسفره، فبقي مدة بنابلس؛ يقرأ الحديث.

وجاء شاب من أهل دمشق بفتاوى من أهلها إلى أصحاب الحافظ بمصر -وهو الملك العزيز عثمان-، ومعه كتب: أن الحنابلة يقولون كذا وكذا، مما يشنعون به ويفترونه عليهم، وكان ذلك الوقت قد خرج -أي: الملك- نحو الإسكندرية يتفرج، فقال: إذا رجعنا من هذه السفرة أخرجنا من بلادنا من يقول بهذه المقالة، فلم يرجع إلا ميتًا؛ فإنه عدا به الفرس خلف صيد، فشبَّ به الفرس وسقط عليه، وخسف صدره -كذا حدثني سيخنا يوسف بن الطفيل، وهو الذي تولى غسله-، فأقيم ابنه صبي موضعه، وأرسلوا إلى الأفضل بن صلاح الدين -وكان بصرخد-، فجاء وأخذ مصر، وعسكر وكرّ إلى دمشق، فلقي الحافظ عبد الغني في الطريق، فأكرمه إكرامًا كثيرًا، وبعث يوصي به بمصر.

فلما وصل الحافظ إلى مصر تُلُقِّيَ بالبشر والإكرام، وأقام بها يُسمع الحديث بمواضع منها وبالقاهرة، وقد كان بمصر كثير من المخالفين، لكن كانت رائحة السلطان تمنعهم من أذى الحافظ لو أرادوه.

ثم جاء الملك العادل، وأخذ مصر، وأكثر المخالفون عنده على الحافظ، وسمعت أن بعضهم بذل في قتل الحافظ خمسة آلاف دينار!! فاستدعي، وأكرمه العادل.

قال الضياء: قرأت بخط الحافظ كتبه إلى دمشق:

«والملك العادل اجتمعت به، وما رأيت منه إلا الجميل، فأقبل عليَّ، وأكرمني، وقام لي، والتزمني، ودعوت له، ثم قلت: عندنا قصور، هو الذي يوجب التقصير، فقال: ما عندك شيء تعاب به، لا في أمر الدين ولا الدنيا، ولا بد للناس من حاسدين».

فلما كان اليوم الثاني من دخوله عليه، إذا الأمراء مثل- سركس وأزكش- قد جاءوا إلى الحافظ، فقالوا: آمنا بكرامتك يا حافظ. وذكروا أن العادل قال: ما خفت من أحد ما خفت من هذا الرجل، فقلنا: أيها الملك! هذا رجل فقيه! إيش

خفت منه؟ قال: لما دخل ما خيل إليَّ إلا أنه سبع يريد أن يأكلني. فقلنا: هذه كرامة للحافظ[١].

قال: ثم سافر العادل إلى دمشق، وبقي الحافظ بمصر، والمخالفون لا يتركون الكلام فيه، فلما أكثروا عزم المَلك الكامل على إخراجه من مصر.

واعتقل في دار سبع ليال، فكان يقول: ما وجدت راحة بمصر مثل تلك الليالي[٢].

وقال: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الغني يقول: حدثني الشجاع ابن أبي زكريا الأمير قال: قال لي الملك الكامل يومًا: هاهنا رجل فقيه، قالوا: إنه كافر، قلت: لا أعرفه، قال: بلى، هو محدِّث! قلت: لعله الحافظ عبد الغني؟ فقال: نعم؛ هذا هو، فقلت: أيها الملك! العلماء أحدهم يطلب الآخرة، والآخر يطلب الدنيا، وأنت هاهنا باب الدنيا، فهذا الرجل جاء إليك، أو أرسل إليك شفاعة، أو رقعة؛ يطلب منك شيئًا؟ قال: لا، فقلت: أيها الملك! والله هؤلاء القوم يحسدونه، فهل في هذه البلاد أرفع منك؟ قال: لا، فقلت: هذا الرجل أرفع العلماء، كما أنت أرفع الناس هاهنا، فقال: جزاك الله خيرًا كما عرفتني هذا.

ثم إني أرسلت رقعة إلى الملك الكامل أوصيه به، فأرسل إليَّ: تجيء. فمضيت إليه، وإذا عنده جماعة، منهم شيخ الشيوخ -يعني: ابن حمويه- عز الدين الزنجاني الأمير، فقال لي الملك: نحن في أمر الحافظ، فقلت: أيها الملك! القوم

(١) ما أكثر كرامات علماء أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح، ولكنهم لا يتكثرون بها، ولا يتشبعون بما لم يعطوا؛ كأهل البدع الذين ملؤوا تراجم شيوخهم بكرامات مدعاة: من آمن بها ضل عمله وخاب مسعاه(!!)

(٢) إنها راحة القرب من مولاه، والأنس بجنة دنياه، فأنفاس الأنس تهب من نفحات حضرة القدس ... ورحم الله شيخ الإسلام وهو يقرر هذه المعاني الجميلة: «ماذا يفعل أعدائي بي ... جنتي وبستاني في صدري ... إن سجني خلوة، وقتلي شهادة، ونفيي سياحة».

إذا كنت بالله مستعصماً ... فماذا يضيرك كيد العبيد!!

يحسدونه، ثم بيننا هذا الشيخ -أعني: شيخ الشيوخ- وحلّفته: فقلت: هل سمعت من الحافظ كلامًا يخرج عن الإسلام؟ فقال: لا والله، ما سمعت عنه إلا كل جميل، وما رأيته قط.

ثم تكلم ابن الزنجاني، فمدح الحافظ مدحًا كثيرًا، ومدح تلامذته، وقال: أنا أعرفهم، فما رأيت مثلهم.

فقلت: وأنا أقول شيئًا آخر، فقال: ما هو؟ فقلت: لا يصل إليه شيء يكرهه حتى يقتل من الأكراد ثلاثة آلاف، قال: فقال الملك الكامل: لا يؤذى الحافظ، فقلت: اكتب خطك بذلك، فكتب[1].

وسمعت بعض أصحابنا يقول: طلب من الحافظ أن يكتب اعتقاده، فكتب: أقول كذا؛ لقول الله كذا، وأقول كذا؛ لقول رسول الله ﷺ كذا، حتى فرغ من المسائل التي يخالفونه فيها، فلما وقف عليها الملك الكامل؛ قال: إيش أقول في هذا؟ يقول بقول الله -عز وجل- وقول رسوله ﷺ.

قال: فخلى عنه»[2].

وقال -أيضًا-[3]: «سمعت شيخنا الإمام أبا محمد -عبد الله بن أبي الحسن- الجُبَّائيَّ بأصبهان يقول: كان الحافظ أبو نعيم قد أخذ على الحافظ أبي عبد الله ابن منده أشياء في كتاب «معرفة الصحابة»، وكان الحافظ أبو موسى المديني يشتهي أن يأخذ على أبي نعيم -يعني: في كتابه «معرفة الصحابة»-، فما كان يجسر، فلما جاء الحافظ عبد الغني إلى أصبهان أشار إليه ذلك، فأخذ على أبي نعيم في كتابه «معرفة الصحابة» نحوًا من مئتين وتسعين موضعًا. قال: فلما

(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج:٣٨].

(٢) هذا هو المنهج العلمي الإسلامي الصحيح، لا شنشنات الحزبية ولا تخرصات المذهبية.

ورحم الله ابن قيم الجوزية القائل:

والحق معرفة الهدى بدليله ... ما ذاك والتقليد يستويان

(٣) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٩-٢٠)، و«السير» (٢١/ ٤٥٨-٤٥٩).

سمع بذلك الصدر عبد اللطيف بن الخُجَنْدي طلب الحافظ عبد الغني، وأراد إهلاكه، فاختفى الحافظ.

وسمعت أبا الثناء -محمود بن سلامة- الحراني؛ قال: ما أخرجنا الحافظ من أصبهان إلا في إزار؛ وذلك أن بيت الخُجَنْدي أشاعرة، وكانوا يتعصبون لأبي نعيم، وكانوا رؤساء البلد».

قال الحافظ ابن رجب: «هذا في غاية الجهل والهوى، وإلا فما الذي يتعلق بهذا من المذاهب واختلاف المقالات؟!»[1].

* أولاده:

ولد للحافظ عبد الغني المقدسي -رحمه الله- عدد من الأولاد؛ هم: محمد، وعبد الله، وعبد الرحمن، وفاطمة.

قال الضياء المقدسي[2]: «تزوج الحافظ بخالتي رابعة- ابنة خاله الشيخ أحمد ابن محمد بن قدامة-، فهي أم أولاده: محمد، وعبد الله، وعبد الرحمن، وفاطمة، ثم تسرَّى بمصر».

قال الذهبي[3]: «أولاده علماء: فمحمد؛ هو: المحدث، الحافظ، الإمام، الرحَّال، عز الدين أبو الفتح، مات سنة ثلاث عشرة وست مئة، كهلاً، وكان كبير القدر.

وعبد الله؛ هو: المحدث، الحافظ، المصنف، جمال الدين أبو موسى، رحل وسمع من ابن كليب، وخليل الراراني، مات كهلاً في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وست مئة.

وعبد الرحمن؛ هو: المفتي، أبو سليمان، ابن الحافظ، سمع من البوصيري وابن الجوزي، عاش بضعًا وخمسين سنة، توفي في صفر سنة ثلاث وأربعين وست مئة».

(١) انظر ما تقدم (ص ٢٥و ٢٧).

(٢) «السير» (٢١/ ٤٦٨).

(٣) «السير» (٢١/ ٤٦٨).

* وفاته:

بعد حياة علمية زاخرة بالطلب، والتحصيل، والجد، والعمل، والتدريس، والإفتاء؛ وافت المنيَّة الإمام العالم، والحافظ الزاهد: عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي، في يوم الاثنين، الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة ست مئة للهجرة، وله تسع وخمسون سنة.

وقد دفن بمقبرة القرافة بمصر، بجوار الشيخ أبي عمرو بن مرزوق.

قال الضياء المقدسي[1] -نقلاً عن أبي موسى ابن الحافظ عبد الغني المقدسي-: «مرض والدي -رحمه الله- في ربيع الأول سنة ست مئة مرضًا شديدًا منعه من الكلام والقيام، واشتد به مدة ستة عشر يومًا، وكنت كثيرًا ما أسأله: ما تشتهي؟ فيقول: أشتهي الجنة، أشتهي رحمة الله -تعالى-، لا يزيد على ذلك.

فلما كان يوم الاثنين جئت إليه، وكان عادتي أبعث من يأتي كل يوم بُكرةً بماء حارٍّ من الحمام؛ يغسل أطرافه، فلما جئنا بالماء على العادة مدَّ يده، فعرفت أنه يريد الوضوء، فوضأته وقت صلاة الفجر، ثم قال: يا عبد الله! قم فصل بنا وخفِّف.

فقمت فصليت بالجماعة، وصلَّى معنا جالسًا، فلمَّا انصرف النَّاس جئت، فجلست عند رأسه وقد استقبل القبلة، فقال لي: اقرأ عند رأسي سورة يس[2]، فقرأتها، فجعل يدعو الله، وأنا أؤمِّن.

فقلت: هاهنا دواء قد عملناه تشربه.

فقال: يا بني! ما بقي إلا الموت.

فقلت: ما تشتهي شيئًا؟

قال: أشتهي النظر إلى وجه الله -تعالى-.

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٨-٢٩)، و«السير» (٢١/ ٤٦٧-٤٦٨).

(٢) الحديث الوارد في قراءة هذه السورة عند المحتضر ضعيف جدًا، لا يصح البتة، وانظر -لزاماً- رسالة صديقنا الوفي الشيخ السلفي علي بن حسن الحلبي -حفظه الله- «القول المبين».

فقلت: ما أنت عني راضٍ؟

قال: بلى. والله أنا عنك راضٍ، وعن إخوتك، وقد أجزت لك ولإخوتك، ولابن أختك إبراهيم.

وأوصاني أبي عند موته، قال: لا تضيعوا هذا العلم الذي تعبنا عليه -يعني: علم الحديث-[1].

فقلت: ما توصي بشيء؟

قال: ما لي على أحد شيء، ولا لأحد عليَّ شيء.

قلت: توصيني بوصيَّة؟

قال: يا بني! أوصيك بتقوى الله، والمحافظة على طاعته.

فجاء جماعة يعودونه، فسلموا عليه، فرد عليهم، وجعلوا يتحدثون ففتح عينيه، وقال: ما هذا؟! اذكروا الله -تعالى-، قولوا: لا إله إلا الله . فقالوها، ثم قاموا، فجعل يذكر الله، ويحرك شفتيه بذكره، ويشير بعينيه، فدخل رجل فسلَّم عليه. وقال له: ما تعرفني يا سيدي؟!

فقال: بلى.

فقمت لأناوله كتابًا من جانب المسجد، فرجعت وقد خرجت روحه، وذلك يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ست مئة.

وبقي ليلة الثلاثاء في المسجد، واجتمع من الغد خلق كثير؛ من الأئمة والأمراء ما لا يحصيهم إلا الله -عز وجل-.

ودفنَّاه يوم الثلاثاء بالقرافة، مقابل قبر الشيخ أبي عمرو بن مرزوق في مكان ذَكَرَ لي خادمه عبد المنعم أنه كان يزور ذلك المكان، ويبكي فيه إلى أن يبل

(١) ما أحوج أهل الحديث في زماننا -وهم على ما فيهم خير الناس- إلى هذه الوصية، فلا يضيعوا علم الحديث الذي تعب عليه مشايخنا -رحمهم الله- وأحيوه بعد ما كان نسياً منسياً، فقد كان يسميه البطالون: صناعة المفاليس.

الحصى، ويقول: قلبي يرتاح إلى هذا المكان»[١].

رحمه الله رحمةً واسعة، ورضي عنه، وأسكنه -بمنِّه وكرمه- بحبوحة الجنة. آمين.

قال ابن رجب الحنبلي في «ذيل طبقات الحنابلة»[٢]: «ووقع لابن الحنبلي في وفاته وهم، فقال: سنة خمس وتسعين وخمس مئة!».

* رثاؤه:

بكى الناس الحافظ، وأسفوا على رحيله، ورثاه غير واحد، منهم أبو محمد ابن سعد المقدسي الأديب بقصيدة طويلة، أولها[٣]:

هذا الذي كنت يوم البين أحتسب ... فليقضين دمعي عنك بعض ما يجب

يا سائرين إلى مصر بربكم ... رفقًا عليَّ فإنَّ الأجر مكتسب

قولوا لساكنها حييت من سكن ... يا منية النفس ماذا الصد والغضب

بالشام قوم وفي بغداد قد أسفوا ... لا البعد أخلق بلوام ولا الحقب

قد كنت بالكتب أحيانًا تعللهم ... فاليوم لا رسل تأتي ولا كتب

* ثانيًا: حياته العلميَّة:

* طلبه للعلم:

كان الحافظ عبد الغني المقدسي -رحمه الله- من طلاب العلم المبرزين، وقد ذكرنا فيما مضى نشأته العلمية، وتلقيه عن العلماء؛ لكن مما ينبغي ذكره هنا: أن الذي ساعده على ذلك أمران مهمان:

الأول: سعة حفظه، وقوّة ضبطه؛ فقد كان -رحمه الله- وافر الفطنة، متوقد الذكاء، كامل الفهم؛ حتى صار لا يبارى في وقته.

(١) انظر (ص ٢٩).

(٢) (٢/ ٢٩).

(٣) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٩-٣١).

قال الحافظ الضياء المقدسي[١]: «كان شيخنا الحافظ لا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا ذكره له وبيَّنه، وذكر صحته وسقمه، ولا يسأل عن رجل إلا قال: هو فلان ابن فلان الفلاني، ويذكر نسبه، وأنا أقول: كان عبد الغني أمير المؤمنين في الحديث.

قال: وسمعت شيخنا الحافظ عبد الغني المقدسي يقول: كنت يومًا بأصبهان عند الحافظ أبي موسى -محمد بن أبي بكر- المديني الأصبهاني، فجرى بيني وبين بعض الحاضرين منازعة في حديث، فقال: هو في «صحيح البخاري»، فقلت: ليس هو فيه، قال: فكتب الحديث في رقعة، ورفعها إلى الحافظ أبي موسى يسأله عنه، قال: فناولني الحافظ أبو موسى الرقعة، وقال: ما تقول؟ هل هذا الحديث في البخاري، أم لا؟ فقلت: ما هو في «البخاري»، فخجل الرجل وسكت».

وقال[٢]: «وسمعت أبا الطاهر-إسماعيل بن ظفر- النابلسي يقول: قال: جاء رجل إلى الحافظ عبد الغني، فقال: رجل حلف بالطلاق أنك تحفظ مئة ألف حديث، قال: لو قال أكثر؛ لصدق».

وقال[٣]: «شاهدت الحافظ غير مرة بجامع دمشق يسأله بعض الحاضرين وهو على المنبر، يقولون له: اقرأ لنا أحاديث من غير كتاب، فيقرأ أحاديث بأسانيدها من حفظه».

وقال[٤]: «سمعت أبا سليمان عبد الرحمن ابن الحافظ يقول: سمعت بعض أهلنا يقول: إن الحافظ سئل: لم لا تقرأ من غير كتاب؟ قال: إنني أخاف العجب».

وقال أبو اليُمن الكندي[٥]: «لم يكن بعد الدارقطني مثل الحافظ عبد الغني».

(١) «السير» (٢١/ ٤٤٨)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٦-٧).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٧)، و«السير» (٢١/ ٤٤٨).

(٣) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٧)، و«السير» (٢١/ ٤٤٩).

(٤) المصدر السابق.

(٥) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٨)، و«السير» (٢١/ ٤٤٩).

وقال: «لم ير الحافظ -يعني: عبد الغني- مثل نفسه».

وقال: «رأيت ابن ناصر، والحافظ أبا العلاء الهمداني، وغيرهما من الحفاظ؛ ما رأيت أحفظ من عبد الغني المقدسي».

وقال أبو عبد الله -محمد بن أميرك- الجويني[١]: «ما سمعت السِّلفي يقول لأحد: الحافظ؛ إلا لعبد الغني المقدسي».

وقال أبو الربيع -سليمان بن إبراهيم- الإسعردي[٢]: «سمعت عبد القادر الرهاوي الحافظ يقول للحافظ عبد الغني: سمعت وسمعنا، وحفظت ونسينا».

وقال ابن النجار في «تاريخه»[٣]: «وكان غزير الحفظ، من أهل الإتقان».

وقال الضياء المقدسي[٤]: «سمعت الحافظ عبد الغني يقول: كنت عند ابن الجوزي يومًا، فقال: وريرة بن محمد الغساني، فقلت: إنما هو (وزيرة)، فقال: أنتم أعرف بأهل بلدكم».

وقال[٥]: «وسمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن الحافظ؛ قال: سمعت علي بن فارس الزجاج العلثي -الشيخ الصالح-؛ قال: لما جاء الحافظ من بلاد العجم؛ قلت: يا حافظ! ما حفظت بعد مئة ألف حديث؟ فقال: بلى -أو ما معناه-».

وقال السبط ابن العجمي: «وكان أوحد زمانه في علم الحديث والحفظ»[٦].

وقال الإمام ربيعة بن الحسن اليمني الشافعي[٧]: «قد رأيت السِّلفي، والحافظ

(١و٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٠).

(٣و٤) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٩).

(٥) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٧).

(٦) «البداية والنهاية» (١٦/ ٧٣٤).

(٧) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٨).

أبا موسى المديني، فكان الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد أحفظ منهما».

وبالجملة؛ قال الضياء المقدسي[١]: «وكل من رأينا في زماننا من المحدثين ممن رأى الحافظ عبد الغني، وجرى ذكر حفظه ومذاكرته؛ قال: ما رأينا مثله -أو نحو هذا-».

الثاني: محافظته على وقته:

قال الحافظ الضياء المقدسي[٢]: « كان شيخنا الحافظ -رحمه الله- لا يضيع شيئًا من زمانه بلا فائدة؛ فإنه كان يصلي الفجر، ويلقن الناس القرآن، وربما أقرأ شيئًا من الحديث؛ فقد حفظنا منه أحاديث جمة تلقينًا، ثم يقوم فيتوضأ، ويصلي ثلاث مئة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل وقت الظهر، ثم ينام نومة يسيرة إلى وقت الظهر، ويشتغل إما للتسميع بالحديث أو النسخ إلى المغرب».

قال أخوه الشيخ عماد الدين[٣]: «ما رأيت أحدًا أشد محافظة على وقته من أخي الحافظ عبد الغني».

وقال[٤]: «سمعت أبا الثناء -محمد بن سلامة- التاجر الحراني بأصبهان غير مرة يقول: كان الحافظ عبد الغني نازلاً عندي بأصبهان، وما كان ينام من الليل إلا القليل، بل يصلي ويقرأ ويبكي، حتى ربما منعنا النوم إلى السحر».

وقال[٥]: «سألت خالي الإمام موفق الدين -ابن قدامة المقدسي- عن الحافظ؟ فكتب بخطه، وقرأته عليه: كان جامعًا للعلم والعمل، وكان رفيقي في الصبا، وفي طلب العلم، وما كنا نستبق إلى خير إلا سبقني إليه؛ إلا القليل، وكمَّل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة، وعداوتهم إياه، وقيامهم عليه، ورزق

(١) المصدر السابق (٢/ ٩).

(٢) المصدر السابق نفسه (٢/ ١١-١٢)، و«السير» (٢١/ ٤٥٢-٤٥٣).

(٣) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١١)، و«السير» (٢١/ ٤٥٣).

(٤) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٢)، و«السير» (٢١/ ٤٥٣).

(٥) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١١)، و«السير» (٢١/ ٤٥٣).

العلم، وتحصيل الكتب الكثيرة؛ إلا أنه لم يعمر حتى يبلغ غرضه في روايتها ونشرها، رحمه الله -تعالى-».

وقال[١]: «سمعت نصر بن رضوان المقرئ يقول: ما رأيت أحدًا على سيرة الحافظ؛ كان مشتغلاً طول زمانه».

* إفادته:

وكان الحافظ -رحمه الله- إزاء هذه الحياة -المليئة بالطلب والتحصيل- معلّمًا مربيًا، وموجّهًا فاضلاً، حريصًا على تعليم الناس الخير وإفادتهم.

قال الحافظ الضياء المقدسي[٢]: «وكان -رحمه الله- مجتهدًا على طلب الحديث، وسماعه للناس من قريب وغريب، فكان كل غريب يأتي يسمع عليه -أو يعرف أنه يطلب الحديث- يكرمه ويبره، ويحسن إليه إحسانًا كثيرًا، وإذا صار عنده طالب يفهم شيئًا؛ أمرَهُ بالسفر إلى المشايخ بالبلاد، وأحيا الله به حديث رسول الله ﷺ ... وكان يفرح لهم بسماع ما يحصلونه، وبسببه سمع أصحابنا الكثير».

وقال[٣]: «سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد العرافي الحافظ يقول: ما رأيت الحديث في الشام كله إلا ببركة الحافظ عبد الغني؛ فإنني كل من سألته يقول: أول ما سمعت على الحافظ عبد الغني، وهو الذي حرضني».

وقال: «وحرضني على السفر إلى مصر، وسافر معنا ابنه أبو سليمان -عبد الرحمن- ابن عَشْرٍ، فبعث معنا «المعجم الكبير» للطبراني، وكتاب «البخاري»، و«السيرة»، وكتب إلى زين الدين علي بن نجا يوصيه بنا، وسفّر ابن ظفر إلى أصبهان، وزوّده، ولم يزل على هذا».

(١) «السير» (٢١/ ٤٥٤).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٠)، و«السير» (٢١/ ٤٥٠).

(٣) المصدر السابق.

وقال[١]: «كان -رحمه الله- يقرأ الحديث يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع دمشق، وليلة الخميس بالجامع -أيضًا-، ويجتمع خلق كثير، وكان يقرأ ويَبكي ويُبكي الناس بكاءً كثيرًا، حتى إن من حضر مجلسه مرة لا يكاد يتركه؛ بكثرة ما يطيب قلبه، وينشرح صدره فيه، وكان يدعو بعد فراغه دعاءً كثيرًا».

* مجالسه:

قال الحافظ الضياء المقدسي[٢]: «سمعت شيخنا أبا الحسن -علي بن نجا- الواعظ بالقرافة يقول على المنبر: قد جاء الإمام الواعظ، وهو يريد أن يقرأ الحديث، فأشتهي أن تحضروا مجلسه -ثلاث مرات-، وبعدها أنتم تعرفونه، ويحصل لكم الرغبة. فجلس أول يوم وكنت حاضرًا بجامع القرافة، فقرأ أحاديث بأسانيدها عن ظهر قلبه، وقرأ جزءًا، ففرح الناس بمجلسه فرحًا كثيرًا.

فقال ابن نجا: قد حصل الذي كنت أريده في أول مجلس».

وقال[٣]: «وسمعت بعض من حضر مجلسه بمصر بمسجد المصنع يقول: إن الناس بكوا؛ حتى غشي على بعضهم، قال: وقال بعض المصريين: ما كنا إلا مثل الأموات، حتى جاء الحافظ، فأخرجنا من القبور».

وقال: «سمعت الإمام أبا الثناء- محمود بن همام -الأنصاري يقول: سمعت الفقيه نجم بن عبد الوهاب الحنبلي يقول -وقد حضر مجلس الحافظ-: ياتقي الدين! والله؛ لقد جملت الإسلام، وأقسم بالله، لو أمكنني ما فارقت مجلسًا من مجالسك».

* مذهبه الفقهي:

لا شك أن الإمام عبد الغني المقدسي -رحمه الله- من الأئمة المجتهدين،

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٠)، و«السير» (٢١/ ٤٥٢).

(٢و٣) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١١)، و«السير» (٢١/ ٤٥٢).

وكان من العلماء المعظمين للدليل والسُّنَّة، فلم يلتزم -كما شاع عنه- بالمذهب الحنبلي؛ لكن كان له من الآثار والاجتهادات ما وافق فيها مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، وكان -رحمه الله- من المعظمين والمعجبين بالإمام أحمد؛ حتى كان يدعو أن يرزقه الله مثل حاله.

وكتابه «العمدة»[١] من أعظم الأدلة على أنه لم يلتزم -كما قيل فيه- بمذهب معين.

ومع ذلك وصفه جميع من ترجم له بـ «الحنبلي»[٢].

* فتاويه:

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي -رحمه الله- في «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٣-٣٤):

* «ذكر شيء من فتاوى الحافظ عبد الغني ومسائله نقلته من خط السيف بن المجد:

- سئل عن حديث: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة»، هل هو منسوخ؟

فأجاب: بل هو محكم ثابت، لكن زيد فيه وضم إليه شروط أخر، وفرائض فرضها الله على عباده. وذكر قول الوهري في ذلك[٣].

- وسئل عمن كان في زيادة من أحواله، فحصل له نقص؟

فأجاب: أما هذا فيريد المجيب عنه أن يكون من أرباب الأحوال وأصحاب المعاملة. وأنا أشكو إلى الله تقصيري وفتوري عن هذا وأمثاله من أبواب الخير، وأقول، وبالله التوفيق:

إن من رزقه الله خيرًا من عمل أو نور قلب، أو حالة مرضية في جوارحه

(١) ولنا شرح وسيط عليه، هو: «زبدة الأفهام بفوائد عمدة الأحكام».

(٢) انظر -لزاماً- (ص ٢٩).

(٣) وانظر -غير مأمور- «كلمة الإخلاص» للحافظ ابن رجب الحنبلي -رحمه الله-.

وبدنه، فليحمد الله عليها، وليجتهد في تقييدها بكمالها، وشكر الله عليها، والحذر عن زوالها بزلة أو عثرة. ومن فقدها فليكثر من الاسترجاع، ويفزع إلى الاستغفار والاستقالة، والحزن على ما فاته، والتضرع إلى ربه، والرغبة إليه في عودها إليه، فإن عادت، وإلا عاد إليه ثوابها وفضلها إن شاء الله -تعالى-.

- وسئل مرة أخرى في معنى ذلك؟

فأجاب: أما فقدان ما نجده من الحلاوة واللذة، فلا يكون دليلاً على عدم القبول؛ فإن المبتدئ يجد ما لا يجد المنتهي، فإنه ربما ملت النفس وسئمت؛ لتطاول الزمان، وكثرة العبادة. وقد روي عن رسول الله ﷺ: أنه كان ينهى عن كثرة العبادة والإفراط فيها، ويأمر بالاقتصاد خوفًا من الملل. وقد روي؛ أن أهل اليمن لما قدموا المدينة جعلوا يبكون، فقال أبو بكر -رضي الله عنه-: هكذا كنا حتى قست القلوب.

- وسئل عن يزيد بن معاوية؟

فأجاب: خلافته صحيحة. قال: وقال بعض العلماء: بايعه ستون من أصحاب رسول الله ﷺ، فيلتزم محبتهم إكرامًا لصحبتهم، وليس ثم أمر يمتاز به عن غيره من خلفاء التابعين، كعبد الملك وبنيه.

وإنما يمنع من التعرض للوقوع فيه؛ خوفًا من التسلق إلى أبيه، وسدًا لباب الفتنة.

وقال: روي عن إمامنا أحمد؛ أنه قال: من قال: الإيمان مخلوق؛ فهو كافر، ومن قال قديم؛ فهو مبتدع.

قال عبد الغني: وإنما كفّر من قال بخلقه؛ لأن الصلاة من الإيمان، وهي تشتمل على قراءة، وتسبيح، وذكر الله -عز وجل-، ومن قال بخلق ذلك كفر.

وتشتمل على قيام، وقعود، وحركة، وسكون، ومن قال بقدم ذلك ابتدع.

- وسئل عن دخول النساء الحمام؟

فأجاب: إذا كان للمرأة عذر، فلها أن تدخل الحمام؛ لأجل الضرورة،

والأحاديث في هذا أسانيدها متقاربة. قد جاء النهي والتشديد في دخولهن، وجاءت الرخصة للنفساء والسقيمة.

والذي يصح عندي: أنها إذا دخلت من عذر فلا بأس إن شاء الله، وإن استغنت عن الدخول، وكان له عنها غناء؛ فلا تدخل. وهذا رأينا في أهلنا، ومن يأخذ بقولنا. نسأل الله التوفيق والعفو والعافية».

* عقيدته:

كان الإمام المقدسي سلفي المعتقد، فسار على منهج أهل السنة والجماعة -أهل الحديث- في معتقده كله، لا سيما في باب الأسماء والصفات: إثبات بلا تأويل، وتنزيه بلا تعطيل.

ومع سلامة معتقده، وصحة منهجه؛ أوذي كثيرًا من قبل أهل البدع المنحرفين عن أهل السنة والجماعة.

قال ابن النجار في «تاريخه»[1]: «وكان كثير العبادة، ورعًا، متمسكًا بالسنة على قانون السلف، ولم يزل بدمشق يحدث وينتفع به الناس إلى أن تكلم في الصفات والقرآن بشيء أنكره عليه أهل التأويل من الفقهاء، وشنَّعوا به عليه، وعقد له مجلس بدار السلطان، حضره القضاة والفقهاء، فأصرَّ على قوله، وأباحوا إراقة دمه!! فشفع فيه جماعة إلى السلطان من الأمراء والأكراد، وتوسطوا في أمره على أن يخرج من دمشق إلى ديار مصر، فأخرج إلى مصر، وأقام بها إلى حين وفاته».

وقال الحافظ الضياء المقدسي[2]: «سمعت بعض أصحابنا يقول: إن الحافظ أُمِرَ أن يكتب اعتقاده فكتب: أقول كذا؛ لِقَولِ الله كذا، وأقول كذا لقول رسول الله ﷺ، حتى فرغ من المسائل التي يخالفون فيها، فلما وقف عليها الملك الكامل قال: إيش في هذا؟ يقول بقول الله -عز وجل- وقول رسول الله ﷺ،

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٩).

(٢) «السير» (٢١/ ٤٦٣)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٦).

هذا وربِّ الكعبة هو الحق المبين، فالله أعلم بنفسه مِن خلقهِ، ومحمد ﷺ أعرف بربه من الفقهاء، قال: فخلِّي عنه»[١].

وقال الحافظ ابن كثير[٢]: «لما ورد دمشق كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة برواق الحنابلة من جامع دمشق، فاجتمع الناس عليه، وكان رقيق القلب سريع الدمعة؛ فحصل له قبول من الناس جدًّا، وانتفع الناس بمجالسته كثيرًا، فوقع الحسد عند المخالفين من أهل دمشق؛ فجهزوا الناصح الحنبلي فتكلم تحت قبة النسر، وأمروه أن يجهر بصوته مهما أمكنه حتى يشوش عليه، فحول عبد الغني ميعاده إلى بعد العصر، فذكر يومًا عقيدته؛ فثار عليه القاضي ابن الزكي وضياء الدين الولعي، وعقدوا له مجلسًا في القلعة يوم الاثنين، الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة، سنة خمس وتسعين وخمس مئة، وتكلموا معه في مسألة العلو، والنزول، ومسألة الحرف والصوت، وطال الكلام وظهر عليهم بالحجة، فقال له برغش نائب القلعة: كل هؤلاء على الضلالة وأنت على الحق؟ قال: نعم.

فغضب برغش من ذلك، وأمرَهُ بالخروج من البلد، فارتحل بعد ثلاث إلى بعلبك، ثم إلى القاهرة فنزل عند الطحانين، وصار يقرأ الحديث، فثار عليه الفقهاء أيضًا، فكتبوا إلى الصفي بن شكر -وزير العادل- أنه قد أفسد عقيدة الناس، ويذكر التجسيم على رؤوس الأشهاد!! فكتب إلى والي مصر بنفيه على المغرب، فمات قبل وصول الكتاب إليه».

وقال الضياء[٣]: «وكان المبتدعة قد أوغروا صدر العادل على الحافظ، وتكلموا فيه عنده، وكان بعضهم يقول: ربما يقتله إذا دخل عليه، فسمعت أن بعضهم بذل في قتل الحافظ خمسة الآف دينار».

قال الإمام الذهبي: «جر هذه الفتنة نشر الحافظ أحاديث النزول والصفات

(١) انظر ما تقدم (ص ٢٩و٣٩).

(٢) «البداية والنهاية» (١٦/ ٧٣٣-٧٣٤)، وانظر ما سياتي (ص٥٢-٥٣).

(٣) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٧٦)، و«السير» (٢١/ ٤٥٥)، وغيرها.

فقاموا عليه، ورموه بالتجسيم!! فما دارى كما كان يداريهم الشيخ الموفق».

قلت: هذا الاتهام قديم حديث، وهو لا يصدر إلا من جاهل متبع للهوى، أو من حاسد حاقد، أو من مفتر خاذل، أو من متعصب مذهبي، أو مقلد أعمى، أو قليل ورع، وإلا؛ فإن معتقد الإمام عبد الغني المقدسي -رحمه الله- كان سليمًا صحيحًا، لا شائبة فيه، ولا تخفى صحته إلا على فاقد القلب والعينين، وكان -رحمه الله- في اعتقاده على طريقة الإمام أحمد بن حنبل، فحقيقة الطعن لا ترد عليه فحسب، بل على كل من تقدم الحافظ المقدسي -رحمه الله-، وعلى رأسهم إمام أهل السنة والجماعة؛ أحمد بن حنبل.

ولا أدل على ما أقول كثرة مؤلفات الحافظ المقدسي -رحمه الله- في جانب العقيدة، فقد ألف في العقيدة مؤلفات وكتبًا عديدة، على مذهب السلف الصالح -رضي الله عنهم-، فله -رحمه الله- «كتاب التوحيد» -وكله آثار-، و«كتاب الصفات»، و«كتاب الأربعين من كلام رب العالمين»، و«كتاب اعتقاد الشافعي»، و«الاقتصاد في الاعتقاد»، وغيرها.

فهو -رحمه الله- سلفي قح، أثري متبع.

وقد غلا بعضهم؛ فنسب إلى الحافظ المقدسي -رحمه الله- أشياء في هذا الباب لا تصحُّ، ولا تليق به؛ من ذلك:

ما ذكره أبو المظفَّر -سبط ابن الجوزي- الواعظ في «مرآة الزمان»، قال[1]:

«كان الحافظ عبد الغني يقرأ الحديث بعد الجمعة، قال: فاجتمع القاضي محيي الدين، والخطيب ضياء الدين، وجماعة، فصعدوا إلى القلعة، وقالوا لواليها: هذا قد أضل الناس، ويقول بالتشبيه! فعقدوا له مجلسًا، فناظرهم، فأخذوا عليه مواضع؛ منها: قوله: «لا أنزهه تنزيهًا ينفي حقيقة النُّزول»، ومنها: «كانَ اللهُ ولا مكان، وليس هو اليوم على ما كان»، ومنها:

(١) «السير» (٢١/ ٤٦٣).

مسألة الحرف والصوت، فقالوا: إذا لم يكن على ما كان؛ فقد أثبت له المكان، وإذا لم تنزهه عن حقيقة النزول؛ فقد جوَّزت عليه الانتقال، وأما الحرف والصوت؛ فلم يصح عن إمامك -يعني: الإمام أحمد بن حنبل-، وإنما قال: إنه كلام الله؛ يعني: غير مخلوق، وارتفعت الأصوات، فقال والي القلعة الصارم برغش: كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق؟

قال: نعم.

فأمر بكسر منبره.

قال أبو المظفَّر: وخرج الحافظ إلى بعلبك، ثم سافر إلى مصر ... إلى أن قال: فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، وقالوا: يفسد عقائد الناس، ويذكر التجسيم، فكتب الوزير بنفيه إلى المغرب، فمات الحافظ قبل وصول الكتاب».

وقال[1]: «وفي ذي القعدة سنة ست وتسعين وخمس مئة كان ما اشتهر من أمر الحافظ عبد الغني وإصراره على ما ظهر من اعتقاده، وإجماع الفقهاء على الفتيا بتكفيره، وأنه مبتدع لا يجوز أن يترك بين المسلمين، فسأل أن يُمْهَل ثلاثة أيام لينفصل عن البلد فأجيب».

قال الإمام الذهبي[2]: «قد بلوت على أبي المظفر المجازفة وقلَّة الورع فيما يؤرِّخه، والله الموعد، وكان يترفَّض، رأيت له مصنَّفًا في ذلك فيه دواءٍ، ولو أجمعت الفقهاء على تكفيره -كما زعم-؛ لما وسعهم إبقاؤه حيًّا، فقد كان على مقالته بدمشق أخوه الشيخ العماد، والشيخ موفق الدين، وأخوه القدوة الشيخ أبو عمر، والعلامة شمس الدين البخاري، وسائر الحنابلة، وعدة من أهل الأثر، وكان بالبلد -أيضًا- خَلْقٌ من العلماء لا يكفِّرونه. نعم؛ ولا يُصرِّحون بما أطلقه من العبارة لمَّا ضايقوه، ولو كف عن تلك العبارات، وقال بما وردت به

(١) «السير» (٢١/ ٤٦٤).

(٢) «السير» (٢١/ ٤٦٤-٤٦٥).

النصوص؛ لأجاد، ولسلم، فهو الأولى، فما في توسيع العبارات المُوهمَة خيرٌ، وأسوأ شيء قاله: إنه ضلل العلماء الحاضرين، وأنه على الحق؟!

فقال كلمة فيها شرٌ وفسادٌ وإثارة للبلاء، ورحم الله الجميع، وغفر لهم، فما قصدهم إلا التعظيم والتنزيه والوقوف مع ألفاظ الكتاب والسنة، وهذا هو مذهب السَّلف -رضي الله عنهم-.

وبكل حال؛ فالحافظ عبد الغني من أهل الدين، والعلم، والتألُّه، والصَّدع بالحق، ومحاسنه كثيرة، فنعوذ بالله من الهوى والمراء والعصبية والافتراء، ونبرأ من كل مُجَسِّم ومُعَطِّل».

وقال في «تاريخ الإسلام» (ق ٢٧٣):

«وإجماع الفقهاء على الفتيا بتكفيره كلام ناقص، وهو كذب صريح، إنما أفتى بذاك بعض الشافعية الذين تعصَّبوا عليه، وأما الشيخ موفق الدين وأبو اليمن الكندي -شيخا الحنفية والحنابلة-؛ فكانا معه، ولكن نعوذ بالله من الظلم والجهل».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي[1]: «فأما قولهم: (أجمع الفقهاء على الفتوى بكفره، وأنه مبتدع)؛ فيا لله العجب! كيف يقع الإجماع، وأحفظ أهل وقته للسنة، وأعلمهم بها هو المخالف؟ وما أحسن ما قال أبو بكر قاضي القضاة الشامي الشافعي، لما عقد له مجلس ببغداد، وناظره الغزالي، واحتج عليه بأن الإجماع منعقد على خلاف ما عملت به، فقال الشامي: إذا كنت أنا الشيخ في هذا الوقت أخالفكم على ما تقولون، فبمن ينعقد الإجماع؟ بك، وبأصحابك؟! هذا مع مخالفة فقيه الإسلام في وقته الذي يقال: إنه لم يدخل الشام بعد الأوزاعي أفقه منه، ومعه خلق من أئمة الفقهاء، والمناظرين والمحدثين، هذا في الشام خاصة، دع المخالفين لهؤلاء، المجتمعين في سائر بلاد المسلمين- بغداد، ومصر، وغيرهما من أمصار المسلمين- مع إجماع السلف المنعقد على موافقة هؤلاء المخالفين لهم، ولم يكن في المخالفين للحافظ

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٣).

من له خبرة بالسنة والحديث والآثار.

ولقد عقد مرة مجلس لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية، فتكلم فيه بعض أكابر المخالفين، وكان خطيب الجامع، فقال الشيخ شرف الدين عبد الله -أخو الشيخ-: كلامنا مع أهل السنة، وأما أنت؛ فأنا أكتب لك أحاديث من «الصحيحين»، وأحاديث من الموضوعات- وأظنه قال: وكلامًا من سيرة عنترة -فلا تميز بينها- أو كما قال-؛ فسكت الرجل!».

وقال[1]: «قرأت بخط الإمام الحافظ الذهبي ردًّا على من نقل الإجماع على تكفيره: أما قوله: «أجمعوا»؛ فما أجمعوا، بل أفتى بذلك بعض أئمة الأشاعرة ممن كفّروه وكفّرهم هو، ولم يبد من الرجل أكثر مما يقوله خلق من العلماء الحنابلة والمحدثين: من أن الصفات الثابتة محمولة على الحقيقة لا على المجاز، أعني: أنها تجري على مواردها، لا يعبر عنها بعبارات أخرى؛ كما فعلته المعتزلة، أو المتأخرون من الأشعرية، هذا مع أن صفاته -تعالى- لا يماثلها شيء».

*** مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:**

لا شك أن للحافظ عبد الغني المقدسي -رحمه الله- المكانة العلمية الكبيرة، والمنزلة العالية؛ شهد له بذلك القاصي والداني، المؤالف والمخالف، من عاصره ومن جاء بعده.

قال ابن النجار[2]: «حدث بالكثير، وصنف تصانيف حسنة في الحديث، وكان غزير الحفظ، من أهل الإتقان والتجويد، قيمًا بجميع فنون الحديث، عارفًا بقوانينه، وأصوله، وعلله، وصحيحه وسقيمه، وناسخه ومنسوخه، وغريبه، ومشكله، وفقهه، ومعانيه، وضبط أسماء رواته، ومعرفة أحوالهم، وكان كثير العبادة، ورعًا، متمسكًا بالسنة على قانون السلف».

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٤).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٩)، و«تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٧٣).

وقال أبو اليمن الكندي[١]: «رأيت ابن ناصر والحافظ أبا العلاء الهمداني وغيرهما من الحفاظ، ما رأيت أحفظ من عبد الغني المقدسي».

وقال[٢]: «لم يكن بعد الدارقطني مثل الحافظ عبد الغني».

وقال الضياء المقدسي: «وشاهدت بخط الحافظ أبي موسى المديني على كتاب «تبيين الإصابة لأوهام حصلت في معرفة الصحابة»، الذي أملاه الحافظ عبد الغني، وقد سمعه عليه أبو موسى، وأبو سعد الصائغ، وأبو العباس ابن ينال الترك وخلق كثير، يقول أبو موسى -عفا الله عنه-: قَلَّ من قدم علينا مِن الأصحاب يفهم هذا الشأن كفهم الشيخ الإمام ضياء الدين أبي محمد عبد الغني ابن عبد الواحد المقدسي، زاده الله توفيقًا، وقد وفق لتبيين هذه الغلطات، ولو كان الدارقطني وأمثاله في الأحياء؛ لصوّبوا فعله، وقلَّ من يفهم في زماننا لما فهم، زاده الله علمًا وتوفيقًا».

وقال يوسف بن خليل -بحلب-[٣]: «كان ثقة، ثبتًا، دينًا، مأمونًا، حسن التصنيف، دائم الصيام، كثير الإيثار.

كان يصلي كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة، ويأمر بالمعروف وينهى المنكر، دعى إلى أن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فأبى، فمنع من التحديث، بدمشق».

وقال أبو عبد الله -محمد بن أميرك- الجويني المحدث[٤]: «ما سمعت السِّلفي يقول لأحد: «الحافظ»؛ إلا لعبد الغني المقدسي».

وقال الإمام العالم نجم ابن الإمام عبد الوهاب بن الإمام أبي الفرج

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٨).

(٢) «السير» (٢١/ ٤٤٩)، و«الذيل» (٢/ ٨-٩).

(٣) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٩-١٠).

(٤) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٠).

الحنبلي -وقد حضر مجلس الحافظ-[١]: «يا تقي الدين! والله؛ لقد جملت الإسلام، وأقسم بالله لو أمكنني ما فارقت مجلسًا من مجالسك».

وقال ابن الدبيثي في «تاريخه»[٢]: «وكان زاهدًا، عابدًا، أمَّارًا بالمعروف، نهَّاءً عن المنكر، أثنى الحفَّاظ والأئمة على فهمه وحذقه وحفظه».

وقال الإمام الحافظ أبو إسحاق -إبراهيم بن محمد- العراقي الحافظ[٣]: «ما رأيت الحديث في الشام كله إلا ببركة الحافظ عبد الغني؛ فإنني كل من سألته من يقول: أول ما سمعت عليه، وهو الذي حرضني ...».

وقال المنذري[٤]: «الفقيه الحافظ ... كتب الكثير، وله تصانيف مفيدة، ولم يزل يجمع، ويسمَع، ويُسمع».

وقال الضياء[٥]: «كان الحافظ عبد الغني أمير المؤمنين في الحديث».

وقال ابن عبد الهادي[٦]: «الإمام، الحافظ الكبير، محدِّث الإسلام، وأوحد الأئمة الأعلام، صاحب التصانيف النافعة».

وقال الحافظ ابن كثير[٧]: «صاحب التصانيف المشهورة ... فلقد كان نادرًا في زمانه في الرجال؛ حفظًا، وإتقانًا، سماعًا، وسردًا للمتون، وأسماء الرجال».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي[٨]: «الحافظ، الزاهد، أبو محمد، ويلقب

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١١)، و«السير» (٢١/ ٤٥٢).

(٢) (ق ١٧٩).

(٣) «السير» (٢١/ ٤٥٠)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٠).

(٤) «التكملة لوفيات النقلة» (٢/ ٧١).

(٥) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٧).

(٦) «طبقات المحدثين» (٤/ ١٤٧).

(٧) «البداية والنهاية» (١٦/ ٧٣٤-٧٣٥).

(٨) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٥).

تقي الدين، حافظ الوقت، ومحدثه».

وقال الإمام الذهبي[١]: «الإمام العالم، والحافظ الكبير الصادق، القدوة العابد، الأثري المتبع، عالم الحفاظ، تقي الدين ... ».

وقال[٢]: «الحافظ الإمام، محدث الإسلام... صاحب التصانيف».

وقال[٣]: «وصنّف التصانيف، ولم يزل يسمع ويكتب إلى أن مات، وإليه انتهى حفظ الحديث متنًا وإسنادًا، ومعرفة بفنونه، مع الورع والعبادة والتمسك بالأثر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

وقال ابن الملقن[٤]: «هو الحافظ، الإمام، محدث الإسلام، تقي الدين ... صاحب التصانيف ... وكتب ما لا يوصف كثرة، وما زال ينسخ ويصنف ويحدّث ويعبد الله حتى أتاه اليقين ... وحدَّث بالكثير، وصنَّف في الحديث تصانيف حسنة، وكان غزير الحفظ مِن أهل الإتقان والتجويد، وكان كثير العبادة، ورعًا، متمسّكًا بالسنّة على قانون السلف».

وقال أبو المحاسن بن تغري بردي[٥]: «كان إمامًا، حافظًا، متقنًا، ثقةً، عابدًا، زاهدًا، ورعًا، سمع الكثير، ورحل إلى البلاد، وكتب الكثير، وهو أحد أكابر أهل الحديث وأعيان حفاظهم».

وقال ابن العماد الحنبلي[٦]: «وإليه انتهى حفظ الحديث متنًا وإسنادًا، ومعرفة بفنونه، مع الورع والعبادة، والتمسك بالأثر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

(١) «السير» (٢١/ ٤٤٣-٤٤٤).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٧٢).

(٣) «العبر» (٣/ ١٢٩).

(٤) «الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» (١/ ٧٥-٧٦).

(٥) «النجوم الزاهرة» (٦/ ١٨٥).

(٦) «شذرات الذهب» (٤/ ٣٤٥).

وخلاصة القول فيه: ما ذكره الحافظ الضياء المقدسي: «وكل مَن رأينا في زماننا مِن المحدثين ممن رأى الحافظ عبد الغني، وجرى حفظه ومذاكرته؛ قال: ما رأينا مثله -أو نحو هذا-».

* شيوخه:

حرص الحافظ عبد الغني المقدسي على طلب العلم مبكرًا، فسمع من كثير من الشيوخ، وحرص على التحصيل، ورحل وجاب الآفاق للقاء الشيوخ، والإفادة منهم، وذكروا في ترجمته كثيرًا من شيوخه:

سمع بدمشق من أبي المكارم عبد الواحد بن محمد بن هلال، وأبي علي الحسن بن مكي بن جعفر الصوفي، وأبي المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن صابر، وأبي عبد الله محمد بن حمزة بن أبي جميل، وغيرهم.

وسمع بالموصل من الخطيب أبي الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي.

وسمع ببغداد من الفقيه أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، وأبي طالب المبارك بن المبارك بن صدقة السمسار، وأبي الفتوح عبد القاهر بن محمد ابن عبد الله بن الوكيل، وأبي بكر أحمد بن المقرب الكرخي، وأبي المعالي أحمد ابن عبد الغني بن محمد الباجسرائي، وأبي الحسن سعد الله بن نصر بن الدجاجي، والحافظ أبي أحمد معمر بن عبد الواحد بن الفاخر، وأبي الفتح محمد ابن عبد الباقي بن سلمان، وأبي المظفر يحيى بن علي بن خطاب الخيمي، وأبي بكر عبد الله بن محمد بن النقور، وأبي القاسم يحيى بن ثابت بندار، وأبي زرعة طاهر بن محمد بن المقدسي، وأبي المكارم المبارك بن محمد بن المعمر البادرائي، وأبي الحسن علي بن المبارك بن الحسين بن نغوبا الواسطي، وأبي محمد عبد الله ابن أحمد بن أحمد بن الخشاب، وجماعة كبيرة.

وسمع بهمذان من أبي المحاسن عبد الرزاق بن إسماعيل، وأبي سعيد المطهر بن عبد الكريم، وأبي الفرج إسماعيل بن محمد بن إسماعيل القومسانيين، وغيرهم.

وسمع بأصبهان من الحافظين: أبي موسى محمد بن أبي بكر المديني، وأبي سعد محمد بن عبد الواحد بن عبد الوهاب الصائغ، وأبي الفتح عبد الله بن أحمد ابن أبي الفتح الخرقي، وأبي العباس أحمد بن أبي منصور أحمد بن محمد بن ينال، وأبوي رشيد حبيب بن إبراهيم بن عبد الله المقرئ، وإسماعيل بن غانم بن خالد البيع، وأبي غالب محمد بن محمد بن ناصر، وأبي عبد الله سفيان، وأبي القاسم علي ابني أبي الفضل بن أحمد بن طاهر الخرقي، وأبي بكر بن يمان بن أبي الفوارس ابن أبي الفتح السباك، وجماعة سواهم.

وسمع بمصر من العلامة أبي محمد بن بري، وأبي عبد الله محمد بن علي الرحبي، وأبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد الصمد الكاملي، وجماعة سواهم.

وسمع بالإسكندرية من الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني السِّلفي، وأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن العثماني، وأبي القاسم عبد الرحمن ابن خلف الله المقرئ، وأبي الحسين؛ يحيى بن أبي عبد الله محمد بن أحمد الرازي، وغيرهم[1].

* تلاميذه:

نظرًا لمكانة الحافظ العلمية، وسماعه المبكر، وحرصه، واجتهاده، وبلوغه الأقطار؛ فقد تتلمذ عليه الكثير من طلاب العلم، منهم:

الشيخ موفق الدين ابن قدامة، والحافظ عز الدين محمد، والحافظ أبو موسى عبد الله، والفقيه أبو سليمان -أولاده-، والحافظ الضياء المقدسي، والخطيب سليمان ابن رحمة الأسعردي، والبهاء عبد الرحمن، والشيخ الفقيه محمد اليونيني، والزين بن عبد الدائم، وأبو الحجاج بن خليل، والتقي اليلداني، والشهاب القوصي، وعبد العزيز بن عبد الجبار القلانسي، والواعظ عثمان بن مكي الشارعي،

(١) «التكملة لوفيات النقلة» (٢/ ١٨-١٩)، و«السير» (٢١/ ٤٤٤-٤٤٥)، و«ذيل طبقات الحفاظ» (٢/ ٥-٧).

وأحمد بن جاد الأتارحي، وإسماعيل بن عبد القوي بن عزون، وأبو عيسى؛ عبد الله بن علاق الرزاز، وخلق، وآخرهم موتًا سعد الدين محمد بن مهلهل الجيني، وروى عنه بالإجازة أحمد بن أبي الخير الحداد[١]،والحافظ المنذري[٢].

* مصنفاته:

١- كتاب «المصباح في عيون الأحاديث الصحاح» مشتمل على أحاديث «الصحيحين»، ذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي أنه ثمانية وأربعون جزءاً.

٢- كتاب «الذكر» جزآن.

٣- كتاب «الفرج» جزآن.

٤- كتاب «تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين».

٥- كتاب «الآثار المرضية في فضائل خير البرية» أربعة أجزاء.

٦- كتاب «الروضة» أربعة أجزاء.

٧- كتاب «نهاية المراد من كلام خير العباد» لم يبيض، كله في السنن، نحو مئتي جزء.

٨- كتاب «اليواقيت الفاخرة» مجلد.

٩- كتاب «الصلات من الأحياء إلى الأموات» جزآن.

١٠- كتاب «الصفات» جزآن.

١١- كتاب «محنة الإمام أحمد»، مطبوع.

١٢- كتاب «الترغيب في الدعاء»، مطبوع.

١٣- كتاب «فضائل مكة» أربعة أجزاء.

١٤- كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، مطبوع.

(١) «السير» (٢/ ٤٤٦).

(٢) «التكملة» (٢/ ١٩).

١٥- كتاب «فضائل رمضان» جزء.

١٦- كتاب «الأربعين».

١٧- كتاب «الأربعين» نوع آخر.

١٨- كتاب «ذم الرياء» جزء كبير.

١٩- كتاب «الأربعين من كلام رب العالمين».

٢٠- كتاب «الأربعين» بسند واحد.

٢١- كتاب «اعتقاد الإمام الشافعي» جزء كبير.

٢٢- كتاب «الحكايات» سبعة أجزاء.

٢٣- كتاب «غنية الحفاظ في تحقيق مشكل الألفاظ» في مجلدين.

٢٤- كتاب «من صبر ظفر» خمسة أجزاء، لم يتمه.

٢٥- كتاب «الجامع الصغير لأحكام البشير النذير».

٢٦- «مناقب الصحابة» عدة أجزاء.

٢٧- «مناقب عمر بن عبد العزيز».

٢٨- «جزء من ذكر القبور».

٢٩- كتاب «الكمال في معرفة الرجال».

٣٠- كتاب «النصيحة في الأدعية الصحيحة» جزء.

٣١- كتاب «الاقتصاد في الاعتقاد».

٣٢- كتاب «أشراط الساعة».

٣٣- كتاب «عمدة الأحكام الكبرى»، مطبوع.

٣٤- كتاب «عمدة الأحكام مما اتفق عليه البخاري ومسلم» -وهو الصغرى-، مطبوع.

٣٥- «الأسرار» جزءان.

٣٦- «التهجد» جزءان.

٣٧- «ذم الغيبة».

٣٨- «ذكر النار»، مطبوع.

٣٩- «أحاديث الأنبياء»، مطبوع.

٤٠- «ذكر الإسلام»، مطبوع.

٤١- «فضائل رجب» جزء.

٤٢-«درر الأثر على حروف المعجم» تسعة أجزاء.

٤٣- «الأقسام التي أقسم بها النبي ﷺ» جزء.

٤٤- «وفاة النبي ﷺ» جزء.

٤٥- «حديث الإفك» وهو كتابنا هذا، وقد تقدم التعريف به (ص ١١-١٢).

٤٦- «أحاديث الشعر»، مطبوع.

٤٧- «أخبار الدجال»، مطبوع.

٤٨- «مناقب النساء الصحابيات»، مطبوع.

٤٩- «أخبار في الصلاة».

٥٠- «جزء فيه من أخبار الحسن البصري».

٥١- «الجزء فيه مسألة في صلاة النبي ﷺ بالأنبياء -عليهم السلام- ليلة الإسراء».

٥٢- «فوائد حسان ومقتل عثمان بن عفان -رضي الله عنه-».

٥٣- «جواب عن سؤال في الأئمة الأربعة».

٥٤- «الفوائد».

٥٥- «الكنى»، أو «تلخيص الكنى» لأبي أحمد الحاكم.

٥٦- «الجواهر».

٥٧- «زواج أبي العاص بن الربيع زينب بنت رسول الله ﷺ».

٥٨- «تحريم القتل وتعظيمه».

٥٩- «كتاب التوحيد لله -عز وجل-».

٦٠- «حديث أبي بكر القطيعي وغيره».

٦١- «الإسراء».

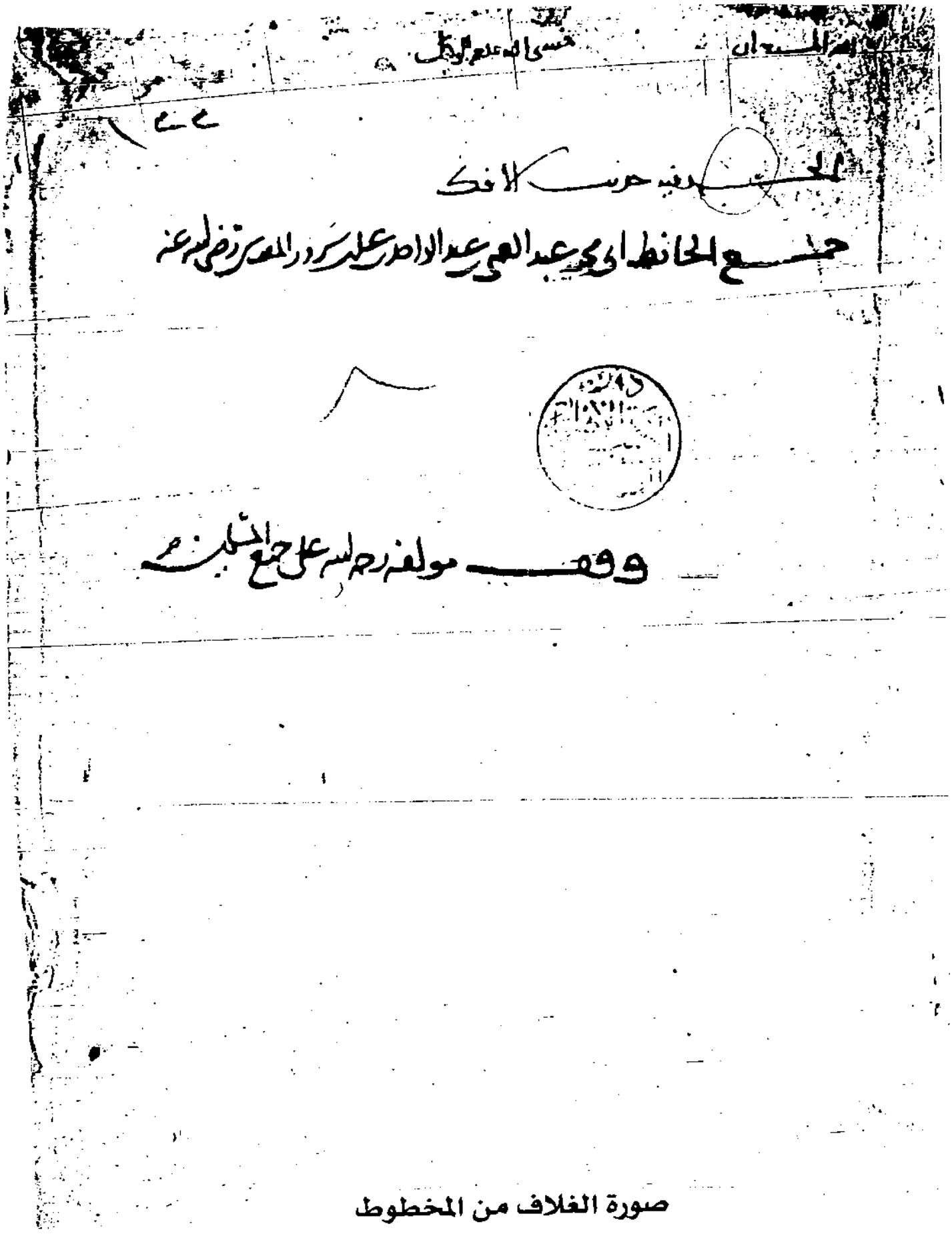
٦٢- «فضائل الصدقة».

٦٣- كتاب «سيرة النبي ﷺ» جزء كبير.

٦٤- «كتاب فيه مختصر السيرة»، مطبوع.

٦٥- «الأنساب».

صور صفحات من المخطوط

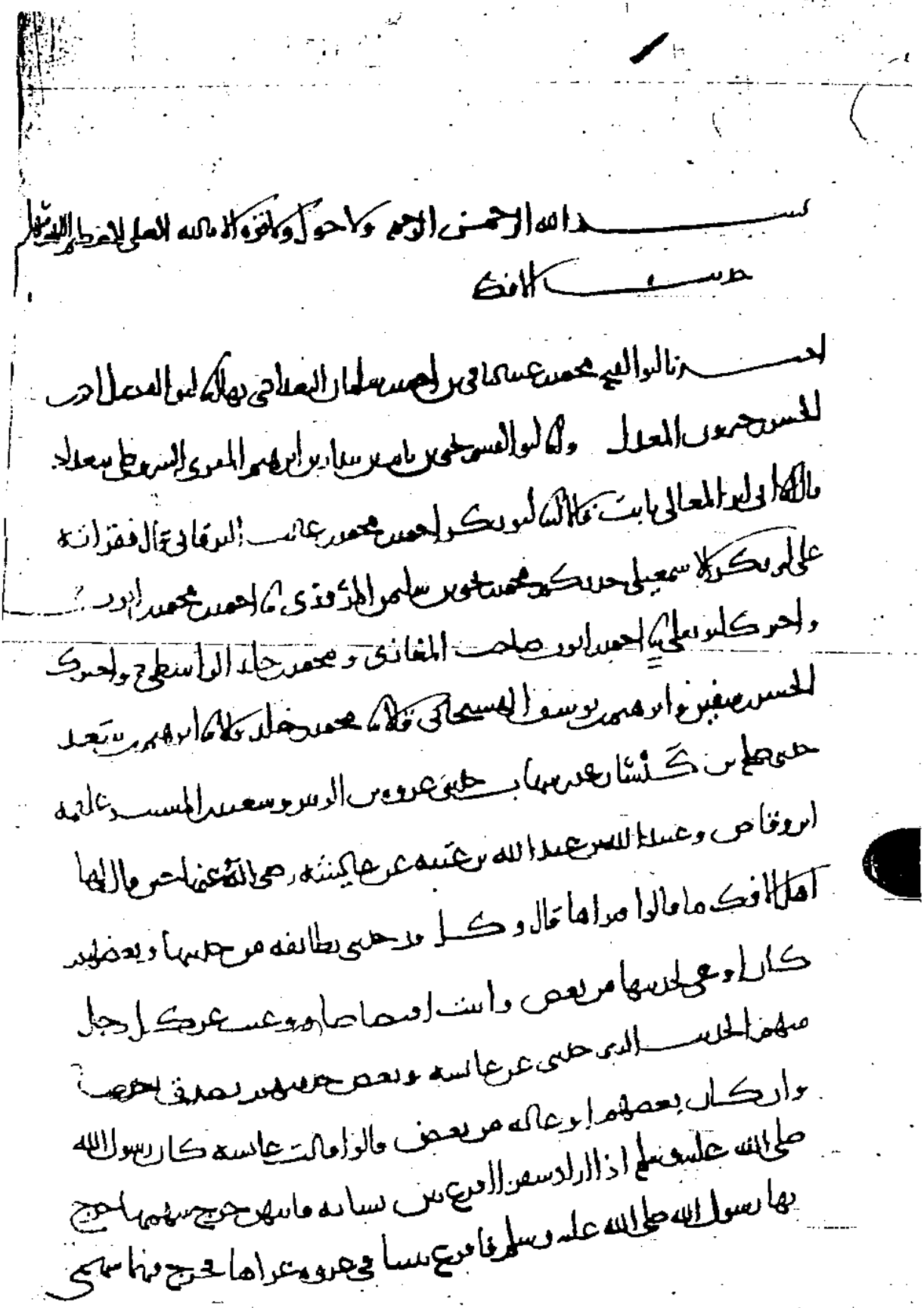

حسبي الله ونعم الوكيل

حديث الإفك

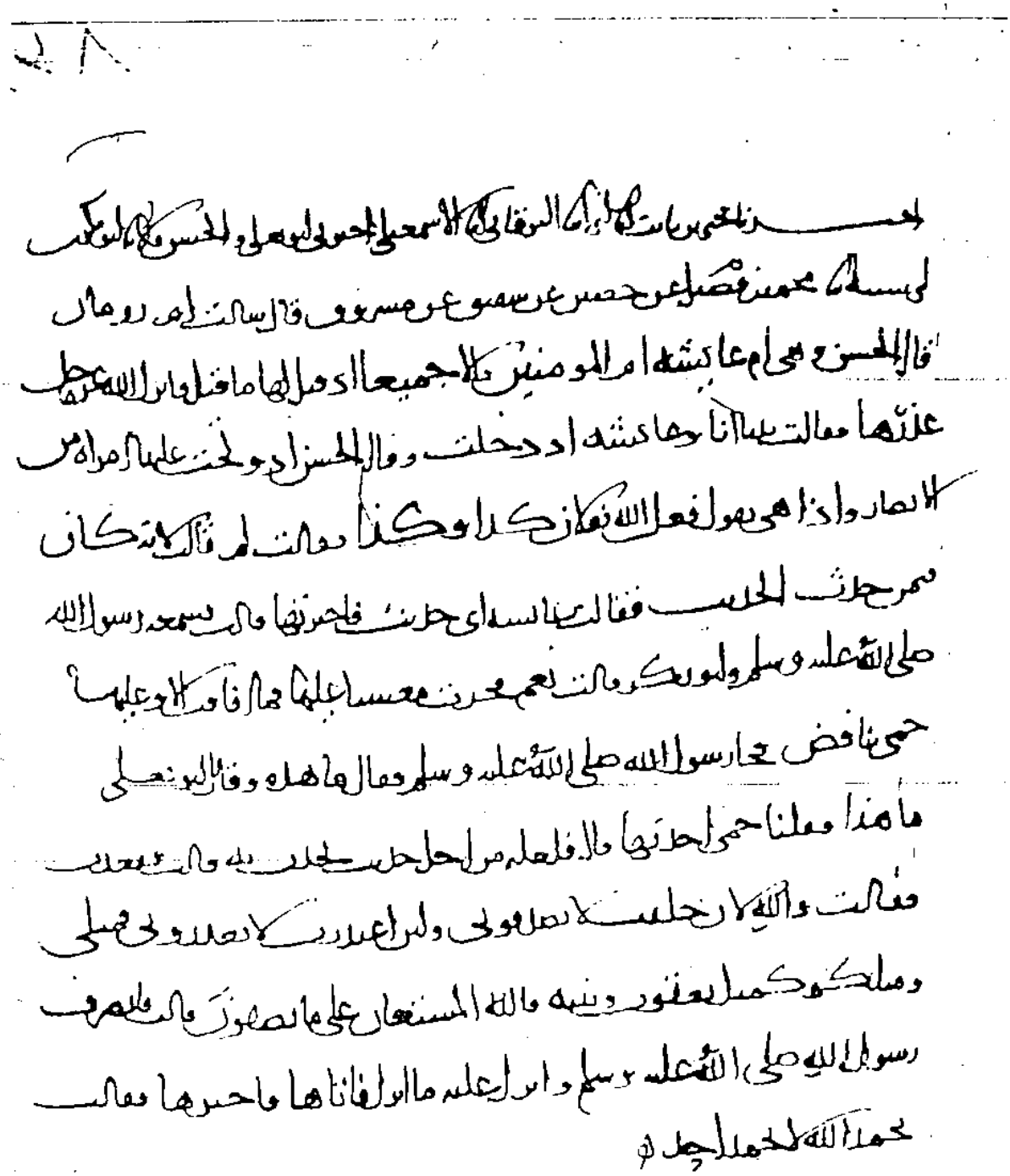
جمع الحافظ أبي محمد عبد الغني عبد الواحد على سيدنا المصطفى رضي الله عنه

وقف مولفه رحمه الله على جميع المسلمين

صورة الغلاف من المخطوط



صورة الورقة الأولى من المخطوط



صورة الورقة الأخيرة من المخطوط

مدخل إلى حديث الإفك

ويحتوي على الآتي:

أولاً: تعريف الإفك.

ثانياً: خطورة النفاق، وأثره على المجتمع.

ثالثاً: ضرر الإشاعة، وخطرها على الأمة.

رابعاً: مكانة البيت النبوي في ضوء حادثة الإفك.

خامساً: حكم سبِّ زوجات النبي ﷺ، والوقوع في أعراضهن.

سادساً: قصيدة ابن بهيج الأندلسي في الذب عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-.

سابعاً: نظم حديث الإفك.

مدخل إلى حديث الإفك

* أولاً: تعريف الإفك:

الإفك -لغة-: أبلغ ما يكون من الكذب الذي يتحير الشخص من شدته، والافتراء والبهتان الذي لا تشعر به حتى يفجأك[١].

قال النووي[٢]: «الإفك: بكسر الهمزة، وإسكان الفاء؛ هذا هو المشهور، وحكى القاضي [عياض في«إكمال المعلم»(٨/ ٢٨٦)] فتحهما جميعًا -الأَفَك-، هما لغتان، كنجْس ونَجَس؛ وهو: الكذب».

وقال ابن الجوزي[٣]: «والإفك: الكذب، قال ابن قتيبة [في «غريب الحديث» (٢/ ٢٨٠)]: سمي إفكًا؛ لأنه كلام قلب عن الحق، وأصله من (أفكت الرجل)؛ إذا صرفته عن رأي كان عليه».

وقال ابن الأثير[٤]: «الإفك في الأصل: الكذب، وأراد به هاهنا: ماكذب عليها مما رميت به».

وقال الحافظ ابن كثير[٥]: «الإفك؛ أي: الكذب والبهت والافتراء».

قلت: لما سمى الله -عز وجل- ما رمى المنافقون به الصديقة بنت الصديق من الفاحشة، وراج على نفر من المسلمين في غزوة بني المصطلق (الإفك)؛ صار اسم تلك الحادثة علمًا على ذلك.

(١) انظر: «لسان العرب» (١٠/ ٣٩٠).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٧/ ١١٧-١١٨).

(٣) «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤/ ٣٢٧).

(٤) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٥٦).

(٥) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٣٢).

قال الرازي[1]: «وأجمع المسلمون على أن المراد: ما أفك به على عائشة، وإنما وصف الله -تعالى- ذلك الكذب بكونه إفكاً؛ لأن المعروف من حال عائشة خلاف ذلك؛ لوجوه:

أحدها: أن كونها زوجة للرسول ﷺ المعصوم يمنع من ذلك؛ لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار؛ ليدعوهم ويستعطفونهم، فوجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم، وكون الإنسان بحيث تكون زوجته مسافحة من أعظم المنفرات.

فإن قيل: كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة؛ كامرأة نوح ولوط، ولم يجز أن تكون فاجرة.

وأيضاً: فلو لم يجز ذلك؛ لكان الرسول أعرف الناس بامتناعه، ولو عرف ذلك؛ لما ضاق قلبه، ولما سأل عائشة عن كيفية الواقعة.

قلنا:

الجواب عن الأول: أن الكفر ليس من المنفرات، أما كونها فاجرة؛ فمن المنفرات.

والجواب عن الثاني: أنه -عليه السلام- كثيراً ما كان يضيق قلبه من أقوال الكفار مع علمه بفساد تلك الأقوال، قال -تعالى-:﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر:٩٧].

فكان من هذا الباب.

وثانيها: أن المعروف من حال عائشة قبل تلك الواقعة إنما هو الصون والبعد عن مقدمات الفجور، ومن كان كذلك؛ كان اللائق إحسان الظن به.

وثالثها: أن القاذفين كانوا من المنافقين وأتباعهم، وقد عرف أن كلام العدو المفترى ضرب من الهذيان.

(١) «تفسير الفخر الرازي» (١٢/ ١٧٤).

فلمجموع هذه القرائن؛ كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحي».

* ثانياً: خطورة النفاق، وأثره على المجتمع:

إن الذي افتعل حادثة الإفك المؤلمة هو رأس المنافقين: عبد الله بن أُبي ابن سلول، والمتتبع للتاريخ الإسلامي يجد أن مفتاح كل أذية، وسبب كل بلية، وحدوث كل رزية إنما كان جراء هذه الشرذمة القليلة، التي عكرت صفو الإسلام وكدرت بهاءه.

قال الإمام ابن قيم الجوزية[1]: «وأما النفاق: فالداء العضال الباطن، الذي يكون الرجل ممتلئاً منه، وهو لا يشعر، فإنه أمر خفي على الناس، وكثيراً ما يخفى على من تلبس به، فيزعم أنه مصلح وهو مفسد...

وقد هتك الله -سبحانه- أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن، وجلى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها وأهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ لكثرتهم، وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جداً؛ لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب، يظن الجاهل أنه عِلْمٌ وإصلاح، وهو في غاية الجهل والإفساد.

فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟! وكم من عَلَمٍ له قد طمسوه؟! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟! وكم ضربوا بمعاول الشُّبَهِ في أصول غراسه ليقلعوها؟! وكم عَمُّوا

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٤٧-٣٥٩).

عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟!

فلا يزال الإسلام وأهله في محنة وبلية، ولا يزال يَطْرُقُه من شبههم سَرِيَّة بعد سَرِيَّة، ويزعمون أنهم بذلك مصلحون: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٢]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨].

اتفقوا على مفارقة الوحي، فهم على ترك الاهتداء به مجتمعون: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣]، ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢]. ولأجل ذلك: ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:٣٠].

درست معالمُ الإيمان في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها، وأفلَت كواكبه النيِّرة من قلوبهم فليسوا يحيونها، وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وأفكارهم فليسوا يبصرونها، لم يقبلوا هدى الله الذي أرسل به رسوله، ولم يرفعوا به رأساً، ولم يروا بالإعراض عنه إلى آرائهم وأفكارهم بأساً، خلعوا نصوص الوحي عن سلطنة الحقيقة، وعزلوها عن دلالة اليقين، وشنوا عليها غارات التأويلات الباطلة، فلا يزال يخرج عليها منهم كمين بعد كمين، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لئام، فقابلوها بغير ما ينبغي لها من القبول والإكرام، وتلقوها من بعيد، ولكن بالدفع في الصدور منها والإعجاز، وقالوا: مالك عندنا من عبور—وإن كان لا بد؛فعلى سبيل الاجتياز—، أعدوا لدفعها أصناف العُدَدِ وضروب القوانين، وقالوا —لما حلَّت بساحتهم-: ما لنا ولظواهر لفظية لا تفيدنا شيئاً من اليقين، وعوامُّهم قالوا: حسبنا ما وجدنا عليه خلفنا من المتأخرين، فإنهم أعلم بها من السلف الماضين، وأقوم بطرائق الحجج والبراهين، وأولئك غلبت عليهم السذاجة وسلامة الصدور، ولم يتفرغوا لتمهيد قواعد النظر، ولكن صرفوا هممهم إلى فعل المأمور وترك المحظور،

فطريقة المتأخرين أعلم وأحكم، وطريقة السلف الماضين: أجهل؛ لكنها أسلم!

أنزلوا نصوص السنة والقرآن منزلة الخليفة في هذا الزمان؛ اسمه على السكة وفي الخطبة فوق المنابر مرفوع، والحكم النافذ لغيره، فحكمه غير مقبول ولا مسموع.

لبسوا ثياب أهل الإيمان، على قلوب أهل الزيغ والخسران والغل والكفران، فالظواهر ظواهر الأنصار، والبواطن قد تحيزت إلى الكفار، فألسنتهم ألسنة المسالمين، وقلوبهم قلوب المحاربين، ويقولون: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨].

رأس مالهم: الخديعة والمكر، وبضاعتهم: الكذب والخَتْرُ، وعندهم العقل المعيشي: أن الفريقين عنهم راضون، وهم بينهم آمنون: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٩].

قد نَهَكَت أمراض الشبهات والشهوات قلوبهم فأهلكتها، وغلبت القصود السيئة على إراداتهم ونياتهم فأفسدتها، ففسادهم قد ترامى إلى الهلاك، فعجز عنه الأطباء العارفون: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠].

من علقت مخالب شكوكهم بأديم إيمانه مزّقته كل تمزيق، ومن تعلق شرر فتنتهم بقلبه ألقاه في عذاب الحريق، ومن دخلت شبهات تلبيسهم في مسامعه حال بين قلبه وبين التصديق، ففسادهم في الأرض كثير، وأكثر الناس عنه غافلون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١١-١٢].

المتمسك عندهم بالكتاب والسنة صاحب ظواهر مبخوسٌ حَظُّه من المعقول، والدائر مع النصوص عندهم كحمار يحمل أسفاراً، فَهَمُّه في حمل المنقول، وبضاعة تاجر الوحي لديهم كاسدة وما هو عندهم بمقبول، وأهل

الاتباع عندهم سفهاء فهم في خلواتهم ومجالسهم بهم يتطيَّرون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٣].

لكل منهم وجهان: وجه يلقى به المؤمنين، ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين، وله لسانان: أحدهما: يقبله بظاهره المسلمون، والآخر: يترجم به عن سره المكنون: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:١٤].

قد أعرضوا عن الكتاب والسنة استهزاءً بأهلهما واستحقاراً، وأبوا أن ينقادوا لحكم الوحيين فرحاً بما عندهم من العلم الذي لا ينفع الاستكثار منه أشراً واستكباراً، فتراهم أبداً بالمتمسكين بصريح الوحي يستهزئون: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥].

خرجوا في طلب التجارة البائرة في بحار الظلمات، فركبوا مراكب الشُّبَهِ والشكوك تجري بهم في موج الخيالات، فلعبت بسفنهم الريح العاصف، فألقتها بين سفن الهالكين: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٦].

أضاءت لهم نار الإيمان فأبصروا في ضوئها مواقع الهدى والضلال، ثم طُفئ ذلك النور وبقيت ناراً تأجَّجُ ذات لهب واشتعال، فهم بتلك النار معذبون، وفي تلك الظلمات يعمهون: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:١٧].

أسماع قلوبهم قد أثقلها الوَقْرُ، فهي لا تسمع منادي الإيمان، وعيون بصائرهم عليها غشاوة العمى، فهي لا تبصر حقائق القرآن، وألسنتهم بها خرس عن الحق فهم به لا ينطقون: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨].

صاب عليهم صيِّب الوحي، وفيه حياة القلوب والأرواح؛ فلم يسمعوا منه

إلا رعد التهديد والوعيد والتكاليف التي وُظِّفت عليهم في المساء أو الصباح؛ فجعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وجَدّوا في الهرب، والطلب في آثارهم والصياح، فنودي عليهم على رؤوس الأشهاد، وكشفت حالهم للمستبصرين، وضُرِبَ لهم مثلان بحسب حال الطائفتين منهم: المناظرين، والمقلدين؛ فقيل: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:١٩].

ضعفت أبصار بصائرهم عن احتمال ما في الصيب من بروق أنواره وضياء معانيه، وعجزت أسماعهم عن تلقي رعود وعوده وأوامره ونواهيه، فقاموا عند ذلك حيارى في أودية التيه لا ينتفع بسمعه السامع، ولا يهتدي ببصره البصير: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

لهم علامات يعرفون بها مُبَيَّنَةٌ في السنة والقرآن، بادية لمن تدبرها من أهل بصائر الإيمان، قام بهم -والله- الرياء، وهو أقبح مقام قامه الإنسان، وقعد بهم الكسل عما أمروا به من أوامر الرحمن، فأصبح الإخلاص عليهم لذلك ثقيلاً: ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء:١٤٢].

أحدهم كالشاة العائرة بين الغنمين، تيعر إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، ولا تستقر مع إحدى الفئتين، فهم واقفون بين الجمعين، ينظرون أيُّهم أقوى وأعز قبيلاً: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَـؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء:١٤٣].

يتربصون الدوائر بأهل السنة والقرآن، فإن كان لهم فتح من الله؛ قالوا: ألم نكن معكم؟ وأقسموا على ذلكَ بالله جهد أيمانهم، وإن كان لأعداء الكتاب والسنة من النصرة نصيب؛ قالوا: ألم تعلموا أن عقد الإخاء بيننا محكم، وأن

النَّسبَ بيننا قريب؟ فيا من يريد معرفتهم؛ خذ صفاتهم من كلام رب العالمين، فلا تحتاج بعده دليلاً: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١].

يعجب السامع قول أحدهم لحلاوته ولينه، ويُشْهد الله على ما في قلبه من كذبه ومَيْنه، فتراه عند الحق نائماً، وفي الباطل على الأقدام؛ فخذ وصفهم من قول القدوس السلام: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

أوامرهم التي يأمرون بها أتباعهم متضمنة لفساد البلاد والعباد، ونواهيهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد، وأحدهم تلقاه بين جماعة أهل الإيمان في الصلاة والذكر والزهد والاجتهاد: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

فهم جنس بعضه يشبه بعضاً، يأمرون بالمنكر بعد أن يفعلوه، وينهون عن المعروف بعد أن يتركوه، ويبخلون بالمال في سبيل الله ومرضاته أن ينفقوه، كم ذكَّرهم الله بنعمه فأعرضوا عن ذكره ونسوه؟ وكم كشف حالهم لعباده المؤمنين ليتجنبوه؟ فاسمعوا أيها المؤمنون:﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

إن حاكمتهم إلى صريح الوحي؛ وجدتهم عنه نافرين، وإن دعوتهم إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ رأيتهم عنه معرضين، فلو شهدت حقائقهم؛ لرأيت بينها وبين العدى أمداً بعيداً، ورأيتها معرضة عن الوحي إعراضاً شديداً: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ

عَنكَ صُدُوداً﴾ [النساء: ٦١].

فكيف لهم بالفلاح والهدى بعد ما أصيبوا في عقولهم وأديانهم؟ وأنى لهم التخلص من الضلال والرّدى، وقد اشتروا الكفر بإيمانهم؟ فما أخسر تجارتهم البائرة وقد استبدلوا بالرحيق المختوم حريقاً: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً﴾ [النساء: ٦٢].

نشب زقوم الشُّبَهِ والشكوك في قلوبهم، فلا يجدون له مسيغاً: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾ [النساء: ٦٣].

تباً لهم ما أبعدهم عن حقيقة الإيمان، وما أكذب دعواهم للتحقيق والعرفان، فالقوم في شأن وأتباع الرسول في شأن، لقد أقسم الله -جل جلاله- في كتابه بنفسه المقدسة قسماً عظيماً، يعرف مضمونه أولوا البصائر، فقلوبهم منه على حذر إجلالاً له وتعظيماً، فقال -تعالى- تحذيراً لأوليائه، وتنبيهاً على حال هؤلاء وتفهيماً: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥].

تسبق يمين أحدهم كلامه من غير أن يعترض عليه؛ لعلمه أن قلوب أهل الإيمان لا تطمئن إليه، فيتبرأ بيمينه من سوء الظن به وكشف ما لديه، وكذلك أهل الريبة يكذبون ويحلفون؛ ليحسب السامع أنهم صادقون، قد: ﴿اتَّخَذُواْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢].

تباً لهم! برزوا إلى البيداء مع ركب الإيمان، فلما رأوا طول الطريق وبُعْد الشُّقَّة؛ نكصوا على أعقابهم ورجعوا، وظنوا أنهم يتمتعون بطيب العيش ولذّة المنام في ديارهم، فما مُتِّعوا به ولا بتلك الهجعة انتفعوا، فما هو إلا أن صاح بهم الصائح فقاموا عن موائد أطعمتهم والقوم جياع ما شبعوا، فكيف حالهم عند اللقاء؟ وقد عرفوا ثم أنكروا، وعموا بعدما عاينوا الحق وأبصروا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٣].

أحسن الناس أجساماً، وأخلبهم لساناً، وألطفهم بياناً، وأخبثهم قلوباً، وأضعفهم جَناناً، فهم كالخُشب المسندة التي لا ثمر لها، قد قلعت من مغارسها، فتساندت إلى حائط يقيمها؛ لئلا يطأها السالكون: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤].

يؤخرون الصلاة عن وقتها الأول إلى شرق الموتى: فالصبح عند طلوع الشمس، والعصر عند الغروب، وينقرونها نقر الغراب؛ إذ هي صلاة الأبدان لا صلاة القلوب، ويلتفتون فيها التفات الثعلب إذ يتيقن أنه مطرود مطلوب، ولا يشهدون الجماعة، بل إن صلى أحدهم ففي البيت أو الدكان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، هذه معاملتهم للخلق، وتلك معاملتهم للخالق، فخذ وصفهم من أول المطففين، وآخر ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ فلا ينبئك عن أوصافهم مثل خبير: ﴿يأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣].

فما أكثرهم وهم الأقلون، وما أجبرهم وهم الأذلون، وما أجهلهم وهم المتعالمون، وما أغرهم بالله إذ هم بعظمته جاهلون: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [التوبة:٥٦].

إن أصاب أهل الكتاب والسنة عافية ونصر وظهور: سائهم ذلك وغمَّهم، وإن أصابهم ابتلاء من الله وامتحان يمحص به ذنوبهم ويكفر به عنه سيئاتهم: أفرحهم ذلك وسرهم، وهذا يحقق إرثهم وإرث من عداهم، ولا يستوي من موروثه الرسول ومن موروثهم المنافقون: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ * قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[التوبة: ٥٠-٥١].

وقال -تعالى- في شأن السَّلَفين المختلفين، والحق لا يندفع بمكابرة أهل الزيغ والتخليط: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

كره الله طاعاتهم؛ لخبث قلوبهم، وفساد نياتهم، فثبَّطهم عنها وأقعدهم، وأبغض قربهم منه وجواره؛ لميلهم إلى أعدائه، فطردهم عنه وأبعدهم، وأعرضوا عن وحيه فأعرض عنهم، وأشقاهم وما أسعدهم، وحكم عليهم بحكم عدل لا مطمع لهم في الفلاح بعده؛ إلا أن يكونوا من التائبين، فقال -تعالى-:﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

ثم ذكر حكمته في تثبيطهم وإقعادهم، وطردهم عن بابه وإبعادهم، وأن ذلك من لطفه بأوليائه وإسعادهم، فقال -وهو أحكم الحاكمين-:﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

ثقلت عليهم النصوص فكرهوها، وأعياهم حملها فألقوها عن أكتافهم ووضعوها، وتفلتت منهم السنن أن يحفظوها فأهملوها، وصالت عليهم نصوص الكتاب والسنة فوضعوا لها قوانين ردوها بها ودفعوها، ولقد هتك الله أستارهم، وكشف أسرارهم، وضرب لعباده أمثالهم، وأعلم أنه كلما انقرض منهم طوائف خلفهم أمثالهم، فذكر أوصافهم لأوليائه؛ ليكونوا منها على حذر، وبينها لهم، فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

هذا شأن من ثقلت عليه النصوص، فرآها حائلة بينه وبين بدعته وهواه، فهي في وجهه كالبنيان المرصوص، فباعها بمحصِّل من الكلام الباطل، واستبدل

منها بـ «الفصوص»؛ فأعقبهم ذلك أن أفسد عليهم إعلانهم وإسرارهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُواْ مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٦-٢٨].

أسروا سرائر النفاق، فأظهرها الله على صفحات الوجوه منهم وفلتات اللسان، ووسمهم لأجلها بسيماء لا يخفون بها على أهل البصائر والإيمان، وظنوا أنهم إذ كتموا كفرهم وأظهروا إيمانهم راجوا على الصيارف والنقاد، كيف والناقد البصير قد كشفها لكم: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٢٩-٣٠].

فكيف إذا جمعوا ليوم التلاق، وتجلى الله -جل جلاله- للعباد وقد كشف عن ساق، ودعوا إلى السجود فلا يستطيعون: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣]؟

أم كيف بهم إذا حشروا إلى جسر جهنم؟ وهو أدق من الشعرة وأحَدُّ من الحسام، وهو دحض مَزَلَّة، مظلم لا يقطعه أحد إلا بنور يبصر به مواطئ الأقدام، فَقُسِّمت بين الناس الأنوار، وهم على قدر تفاوتها في المرور والذهاب، وأُعطوا نوراً ظاهراً مع أهل الإسلام؛ كما كانوا بينهم في هذه الدار يأتون بالصلاة والزكاة والحج والصيام، فلما توسطوا الجسر عصفت على أنوارهم أهوية النفاق، فأطفأت ما بأيديهم من المصابيح، فوقفوا حيارى لا يستطيعون المرور، فضرب بينهم وبين أهل الإيمان بسور له باب، ولكن قد حيل بين القوم وبين المفاتيح، باطنه -الذي يلي المؤمنين- فيه الرحمة، وما يليهم من قبلهم العذاب والنقمة، ينادون من تقدمهم من وفد الإيمان، ومشاعل الركب تلوح على بعد كالنجوم تبدو لناظر الإنسان:

﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣].

لنتمكن في هذا المضيق من العبور، فقد طفئت أنوارنا، ولا جواز اليوم إلا بمصباح من النور: ﴿قِيلَ ارْجِعُواْ وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُواْ نُوراً﴾ [الحديد:١٣].

حيث قسمت الأنوار، فهيهات الوقوف لأحد في مثل هذا المضمار كيف نلتمس الوقوف في هذا المضيق؟ فهل يلوي اليوم أحد على أحد في هذا الطريق؟ وهل يلتفت اليوم رفيق إلى رفيق؟ فذكّروهم باجتماعهم معهم وصحبتهم لهم في هذه الدار، كما يذكر الغريب صاحب الوطن بصحبته له في الأسفار: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [الحديد:١٤]؟ نصوم كما تصومون، ونصلي كما تصلون، ونقرأ كما تقرؤن، ونتصدق كما تصدقون، ونحج كما تحجون؟ فما الذي فرق بيننا اليوم، حتى انفردتم دوننا بالمرور؟ ﴿قَالُواْ بَلَى﴾ [الحديد:١٤].

ولكنكم كانت ظواهركم معنا وبواطنكم مع كل ملحد، وكل ظلوم كفور: ﴿وَلَـكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد:١٤و١٥].

لا تستطل أوصاف القوم، فالمتروك -والله- أكثر من المذكور، كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم؛ لكثرتهم على ظهر الأرض وفي أجواف القبور، فلا خلت بقاع الأرض منهم؛ لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات، وتتعطل بهم أسباب المعايش، وتخطفهم الوحوش والسباع في الفلوات، سمع حذيفة -رضي الله عنه- رجلاً يقول: اللهم! أهلك المنافقين، فقال: «يا ابن أخي! لو هلك المنافقون؛ لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك».

تالله لقد قَطَّع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين، لعلهم بدقّه وجُلّه وتفاصيله وجمله، ساءت ظنونهم بنفوسهم حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين.

قال عمر بن الخطاب لحذيفة -رضي الله عنهما-: «يا حذيفة! نشدتك

بالله؛ هل سمّاني لك رسول الله منهم؟»، قال: «لا، ولا أزكى بعدك أحداً».

وقال ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل» ذكره البخاري.

وذُكر عن الحسن البصري: «ما أمِنه إلا منافق، وما خافه إلا مؤمن».

ولقد ذكر عن بعض الصحابة: أنه كان يقول في دعائه: «اللهم! إني أعوذ بك من خشوع النفاق»، وقيل: وما خشوع النفاق؟ قال: «أن يُرى البدنُ خاشعاً والقلب ليس بخاشع».

تالله لقد ملئت قلوب القوم إيماناً ويقيناً، وخوفهم من النفاق شديد، وهمُّهم لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وهم يدَّعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل.

زَرْع النفاق ينبت على ساقيتين: ساقية الكذب، وساقية الرياء، ومخرجهما من عينين: عين ضعف البصيرة، وعين ضعف العزيمة، فإذا تمت هذه الأركان الأربع: استحكم نبات النفاق وبنيانه؛ ولكنه بمدارج السيول على شفا جُرُف هار، فإذا شاهدوا سيل الحقائق يوم تبلى السرائر، وكشف المستور، وبعثر ما في القبور، وحُصِّل ما في الصدور، كالسراب: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[النور: ٣٩].

قلوبهم عن الخيرات لاهية، وأجسادهم إليها ساعية، والفاحشة في فجاجهم فاشية، وإذا سمعوا الحق كانت قلوبهم عن سماعه قاسية، وإذا حضروا الباطل وشهدوا الزور انفتحت أبصار قلوبهم، وكانت آذانهم واعية.

فهذه -والله- أمارات النفاق، فاحذرها أيها الرجل قبل أن تنزل بك القاضية: إذا عاهدوا لم يفوا، وإن وعدوا أخلفوا، وإن قالوا لم ينصفوا، وإن دُعوا إلى الطاعة وقفوا، وإذا قيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صَدَفوا، وإذا دعتهم أهواؤهم إلى أغراضهم أسرعوا إليها وانصرفوا، فذرهم وما اختاروا لأنفسهم من

الهوان والخزي والخسران؛ فلا تثق بعهودهم، ولا تطمئن إلى وعودهم؛ فإنهم فيها كاذبون، وهم لما سواها مخالفون: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]».ا.هـ.

ولا أدل على ذلك: أن ظهور أول فرقة ضلالة -الخوارج- كان على يد منافق أثيم، ثم توالى بعد ذلك خروج الفرق وأهل الضلال، فهؤلاء المنافقون يستغلون الأخطاء العفوية، وينتهزون الفرص للطعن في هذا الدين، والتنقيص من كبار هذه الأمة وحماتها.

قال الإمام الطحاوي[1]: «ومَن أحْسَنَ القولَ في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنَسٍ، وذرياته المقدسين من كل رجس؛ فقد برئ من النفاق».

قال ابن أبي العز الحنفي: «وإنما قال الشيخ -رحمه الله-: «فقد برئ من النفاق»؛ لأن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق، قصده إبطال دين الإسلام، والقدح في الرسول ﷺ؛ كما ذكر ذلك العلماء: فإن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام؛ أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولص بدين النصرانية، فأظهر التنسك، ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلو في علي والنصر له؛ ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك عليًّا، فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيس، وخبره معروف في التاريخ».

لقد رأى أعداء الإسلام أنه من الصعب إسقاط دولة الإسلام من الخارج على هيئة اجتياح عسكري شامل؛ كما فعلوا في غزوة الأحزاب؛ فرأوا إيجاد عناصر موالية لهم داخل الدولة الإسلامية، وتقويتها ودعمها؛ لزرع الشقاق في

(١) «العقيدة الطحاوية» (ص ٤٩٠).

الصف المسلم، وإثارة الفتن في المجتمع المؤمن، والتشكيك في القيادة النبوية.

وكان المرشح لهذا الدور الخبيث هي حركة النفاق، بقيادة رأسها والعقل المدبر لها: عبد الله بن أبي ابن سلول؛ فقام بدور مخلب القط في داخل جسم المجتمع الإسلامي.

وقد تم لقوى المكر والكفر والخديعة المحيطة بالمدينة النبوية الاتصال بقيادة المنافقين في جنح ليل بهيم، وتوظيفها لهذه المهمة الخبيثة، حيث لجأ ابن سلول إلى جميع أساليب الخسة والحقد، وبدأ بالطعن في أهلية قيادة الرسول ﷺ للدولة؛ كما قال -تعالى-:﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة:٦١].

وكذلك الطعن في مصداقية توجهه ﷺ بقولهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة:٥٨]، والتشكيك في وعده ﷺ:﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ [الأحزاب:١٢].

ولقد ثبت اتصال حركة النفاق بقوى الاستكبار والمكر والطغيان في جزيرة العرب: -مشركي مكة ويهود المدينة-، وقبول حركة النفاق ما أملته عليها تلك القوى من إعلان الكيد للإسلام.

وبدأت حركة النفاق تعمل من وراء وراء؛ حتى ظنوا أنهم قد وصلوا إلى القدرة على الإعلان والظهور، وظهر هذا جلياً في غزوة بني المصطلق، حيث خرجوا مع المسلمين كجماعة كبيرة؛ ليقوموا بدورهم المأجور، فبعد نهاية المعركة وانتصار المسلمين انتصاراً مبيناً؛ قام المنافقون بتأليب الأنصار على المهاجرين، وإحياء النعرات القبلية والترويج للطائفية، وذلك لضرب الأخوة الإيمانية؛ لينهار المجتمع المسلم.

لقد قام زعيم حركة النفاق وبصورة علنية بتحريض الأنصار -الأوس والخزرج- ضد المهاجرين، وإعلان الحرب عليهم، وتعالت أصوات الفتنة: يا معشر الأنصار! ... يا معشر المهاجرين! ... ورسول الله بين ظهرانيهم يقول لهم: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ ... دعوها؛ فإنها منتنة -وفي رواية: خبيثة-».

أفاق المسلمون على صوت النبوة يناديهم، فخسر هنالك المبطلون، ولكنهم لم ييأسوا؛ فبعد فشلهم علانية عقدوا اجتماعات سرية حددوا فيها الاستراتيجية العدائية ضد رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان شعارهم: سمِّن كلبك يأكلك... لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فها هو المنافق الخبيث ابن سلول، لا يحلو له أن يبقى صف المسلمين متماسكًا وقلوبهم متآلفة... نعم؛ لا يحلو له ذلك، ولا يهدأ له بال، فبعد أن فشل في إثارة النعرة القبلية؛ عمد إلى اختلاق أمر الإفك:

أخرج البخاري في «صحيحه» (٣٥١٩)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-؛ قال: كنا في غزاة -وفي لفظ: في جيش-، فكسع[١] رجل [لعّاب][٢] من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟!»، قالوا: يا رسول الله! كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال ﷺ: «دعوها[٣] فإنها منتنة».

فسمع بذلك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فبلغ النبي ﷺ، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق -وفي رواية: الخبيث-، فقال النبي ﷺ: «دعه؛ لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه».

وهذه الغزوة هي غزوة بني المصطلق التي حدثت فيها حادثة الإفك؛ كما عند أحمد (٣/ ٣٩٢-٣٩٣)، وابن أبي عمر العدني في «مسنده» -وعنه الترمذي (٥/ ٤١٧

(١) أي: ضرب الدبر بيده -أو رجله-.

(٢) أي: بطال.

(٣) أي: دعوى الجاهلية.

-٤١٨/ ٣٣١٥)، والإسماعيلي في «المستخرج»؛ كما في «الفتح» (٨/ ٦٤٩)-.

فهذا صريح أن رأس المنافقين حاول إثارة دعوى الجاهلية؛ وبالتالي يفرق كلمة المسلمين ووحدتهم، فيفعل عندئذ ما يحلو له؛ لكن النبي ﷺ سرعان ما قضى على هذه الفتنة: التي كادت أن تفكك وحدة المسلمين، وتمزق شملهم، وتشتت كلمتهم، وتجعلهم شيعًا وأحزابًا، وآلف بين قلوب المهاجرين والأنصار، فكانت التربية الإيمانية التي تلقوها في مدرسته ﷺ أقوى من تلك المكيدة التي صنعها ابن سلول، فما أن سمع المسلمون كلمته ﷺ: «دعوها؛ فإنها منتنة»؛ حتى خمدت الفتنة، وطفئت النار التي أوقدها المنافق ابن سلول.

لكن هذه النهاية لم تعجب ابن سلول، ولم ترق له، فما انفك يرصد السوانح؛ ليغتنم الفرص؛ لتحقيق طموحه الرديء، وأهدافه الخبيثة، حين أدرك أن مشروعه الطائفي قد تجاوزه الزمن واستقر في سلة المهملات.

فبعد رجوعه ﷺ من غزوة بني المصطلق، ودنوه من المدينة، جلسوا ساعة من نهار للراحة، فمشت عائشة -رضي الله عنها- حتى جاوزت الجيش لقضاء بعض شأنها، فلما رجعت لمست صدرها، فإذا العقد الذي تلبسه قد انقطع، فرجعت تلتمس عقدها فلم تجده، وحبسها ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين يحملون هودجها فحملوه ووضعوه على البعير، وهم يحسبون أن عائشة فيه، فرحل الجيش وساروا، فأقبلت عائشة -رضي الله عنها- بعدما ذهب الجيش، وإذا منازلهم ليس فيها داع ولا مجيب، فجلست في منزلها الذي كانت فيه على أمل أن يفقدوها فيرجعوا إليها، فلم يحصل ما تمنته، فبقيت مكانها حتى الصباح، فمر بها صفوان بن المعطّل -رضي الله عنه-، فحملها على بعيره، وانطلق يقود الراحلة، حتى لحقوا الجيش وأدركوه في نحر الظهيرة، فلما رأى ذلك المنافق ابن سلول، حاول بنفسيته المريضة في هذا الجو المشحون أن يلقي بعبارات ضبابية حيث النفوس متعبة من مسيرة الجهاد؛ فولغ في عرض عائشة -رضي الله عنها-، واتهمها بما هي منه بريئة، وأخذ يستوشيه وينشره بين المسلمين؛ حتى ينفضوا عن

رسول الله ﷺ، وبخاصة أن أمر العرض عند المسلمين كان ذا أهمية بالغة؛ فانقسم المسلمون وقتئذ إلى ثلاث طوائف:

- طائفة كذبت الفرية، وصانت جناب أم المؤمنين؛ وهم القلّة.
- وطائفة صدقت الكذب، واغترت بما أشاعه ذاك الخبيث.
- وطائفة -وهو الأكثرون- توقفوا في الأمر.

وكان من آثار هذه الفتنة: أن قام سعد بن معاذ -وهو سيد الأوس- وطلب من النبي ﷺ أن يضرب عنق الذي افترى هذا الإفك، وقال: إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

فقام سعد بن عبادة -وهو سيد الخزرج- فاحتملته الجاهلية، وقال لسعد: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير -وهو ابن عم سعد بن معاذ-، فقال: كذبت لعمر الله، لنقتلنه؛ فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان: الأوس والخزرج، ونهضوا للنزاع والعصبية، وارتفعت الأصوات حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا.

وهكذا حاول الخبيث مرة أخرى إثارة دعوى الجاهلية، ولم يكتف الخبيث بهذا فحسب؛ بل طعن في بيت النبوة، وفي عرض النبي ﷺ؛ لكن لم يستطع الخبيث التصريح بذلك، فعمل على إقلاق راحة النبي ﷺ، وإشغال باله، وتشكيك الناس، وزرع الفتنة والبلبلة في نفوسهم، وإزعاج خواطرهم، ولا يبعد عن الخبيث أن يكون قصد -أيضًا- النيل من أبي بكر الصديق نفسه، فهو من كبار رجال الدولة الإسلامية، وثاني أركانها، فالعمل على التنقيص من أول رجلين في الدولة؛ يعني: القضاء عليها، وبداية انهيارها؛ ولكن﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

ومع ذلك كله لم ينزل الوحي مباشرة لبيان زغل ابن سلول، بل أراد الله الحكيم الخبير تأخيره؛ لحكمة عظيمة، وغاية جسيمة:

قال الإمام ابن قيم الجوزية[1]: «واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حُبِسَ الوحي عن رسول الله ﷺ شهرًا لا يوحى إليه في ذلك شيء؛ وذلك لتتم الحكمة التي قدرها وقضاها، وتظهر على أكمل وجه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيمانًا وثباتًا على العدل والصدق، وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكًا ونفاقًا، ويظهر لرسوله ﷺ وللمؤمنين سرائرهم، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها ...» الخ.

وجملة القول: إننا من خلال دراستنا لحادثة الإفك نجد أن ابن سلول أراد أن يسلك أسلوبًا جديدًا في محاربة الإسلام، وذلك من خلال محاولة تدمير بيت رسول الله ﷺ، وإسقاط مكانة أقرب الرجال إليه، وأراد إلى ذلك أن يدع جمهور المسلمين في حيرة واضطراب. فعرف الخبيث كيف يصيب مقتلاً، فعكّر -لعنه الله- الماء الصافي -بظنه- ليصطاد فيه! وذلك بنشر الفتنة في صفوف المسلمين، وبلغ من خبث تلك الفرية أن تموج المدينة بها شهرًا كاملاً -وازيد-؛ حتى أظهر الله الحق، وأوضح السبيل، وأنزل براءة الصديقة -رضي الله عنها-، وطهر بيت نبيه ﷺ، وبين إفك المنافقين وزغلهم، والله المستعان.

*** ثالثاً: الإشاعة وأثرها السيئ على الأمة:**

حادثة الإفك إشاعة؛ فالإشاعة: رواية مختلقة عن فرد أو جماعة أو أمة، يتم تداولها بوسائل مختلفة دون الرمز لمصدرها، أو ما يدل على صحتها، تتعرض أثناء تداولها للتحريف، وتميل غالباً للزيادة.

وقد حذرنا الإسلام من إشاعة الخبر الكذب أو تناقل كل ما تناهى إلى أسماعنا، فقد وصف ربنا -تعالى- مبتدع الإشاعة بالفاسق: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٢٦١-٢٦٢).

وجعل مُرَوِّجَ الكذب مفترياً: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

وهذا ينبئ عن أثر الإشاعة السيئ على الأمة، فكم من إشاعة أطلقها مغرض، وصدَّرها متربص، وصدقها متعجل؛ أدت إلى تباغض الإخوان، وتفرق الخلان، وإساءة سمعة الفضلاء، وجر ذيول النبلاء، وتشتت أسر، وتفريق جماعة، ونكبة شعوب، وهزيمة جيوش، وانهيار أمم؟ فترك ذلك جراحاً عميقة لا تندمل، وفرقة دائمة لا تجتمع.

وإذا طلبت برهان ما ذكرت ودليل ما أشرت إليه ... فانظر إلى الكذب المصنوع والإفك المختلق الموضوع ضد الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، كانت آثاره مدمرة، ونتائجه السيئة على الأمة كلها حتى يوم الناس هذا.

لقد تجمع أخلاط من المنافقين وأوباش من المتمردين، وأصبحت لهم شوكة، وقتل على إثرها خليفة المسلمين وأمير المؤمنين ذو النورين بعد حصاره في بيته وقطع الماء عنه ... بل كانت آثار هذه الفتنة حروباً طاحنة بين الصحابة -رضي الله عنهم- في موقعتي الجمل وصفين.

من كان يتخيل أن هذه الإشاعات تفعل كل هذه الأفاعيل، وتظهر تلك الأباطيل؛ حيث خرجت على إثرها حركة الخوارج، وبدعة المرجئة والقدرية الأولى، وتزندقت الرافضة، وأطلت فتن لم تزل الأمة الإسلامية تصطلي بنيرانها إلى يومنا هذا.

... نعم؛ إن الانشغال بإشاعة الأخبار السيئة، وتضخيم أخطاء الناس، والحرص على تصيدها ومتابعتها، وعرضها في المجالس: يشيع الاضطراب والقلق في النفوس، ويوقع الناس في الإحباط واليأس، ويؤدي إلى نشر الفتنة، وتهوين الوقوع فيها.

ولذلك قال الله -تعالى- في الآيات التي رصدت حادثة الإفك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ امَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩].

ولذلك كله: وجه الشارع الحكيم المسلمين توجيهات عميقة، وأمرهم باتباع خطوات دقيقة؛ لقمع الإشاعة، وحفظ بنيان الجماعة وكيانها:

١- حسن الظن بالمسلمين أفراداً وجماعات، ممن تتناولهم الشائعات وتتعرض لهم الأراجيف:﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـذَا سُبْحَانَكَ هَـذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦].

٢- الموقف الحاسم الحازم الجازم في ضرورة إثبات هذه الإشاعة: ﴿لَّوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَـئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور:١٣].

٣- رفض الإشاعة وردها، وعدم السماح برواجها والتكلم بها: ﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـذَا سُبْحَانَكَ هَـذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦].

* رابعاً: مكانة البيت النبوي في ضوء حادثة الإفك:

البيت النبوي خير البيوت وأطهرها، ويكفيه فضلاً وشرفاً: أن الله -تعالى- تولى الدفاع عنهم، واقتضت إرادته أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب:٣٣].

وهذه المنزلة العالية كان السلف -رضي الله عنهم- يجعلونها هدية بينهم: عن عبد الرحمن بن أبي ليلى؛ قال: لقيني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى؛ فأهدها لي.

فقال: سألنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله! كيف الصلاة عليكم أهل البيت؛ فإن الله قد علمنا كيف نسلم، فكيف نصلي؟ قال: «قولوا: اللهم! صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم! بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم،

وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[(١)].

وكذلك تواتر النقل عن أئمة السلف وأهل العلم وجوب محبة أهل البيت، وإكرامهم، وتوقيرهم، والعناية بهم، وحفظ وصية رسول الله ﷺ فيهم.

قال الصديق الأكبر: «ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته»[(٢)].

إذا كان البيت النبوي بهذه المنزلة؛ فلا غرو: أن تظهر مكانته في حادثة الإفك بوضوح، وتبرز بجلاء.

١- ففي حادثة الإفك نرى مكانة البيت النبوي بإبراز فضله، وإظهار شرفه، والتنبيه على عظمة شأنه، والمبالغة في نفي التهمة عن جنابه وحجابه؛ حيث تولى الله -عز وجل- الدفاع عن بيت رسول الله ﷺ وزوجاته.

قال الزمخشري[(٣)]: «لو فلّيت القرآن كله، وفتشت عما أوعد به العصاة؛ لم تر الله -تعالى- قد غلّظ في شيء تغليظه في إفك عائشة -رضوان الله عليها-، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه: ما أنزل فيه؛ على طرق مختلفة، وأساليب مفتنة، كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث؛ لكفى بها؛ حيث جعل القذفة ملعونيين في الدارين جميعاً، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوافيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله؛ حتى يعلموا عند ذلك أن الله هو الحق المبين، فأوجز في ذلك وأشبع، وفصّل وأجمل، وأكدّ وكرر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين -عبدة الأوثان- إلا ما هو دونه في الفظاعة، وما ذاك إلا لأمر...

ولقد برأ الله -تعالى- أربعة بأربعة: برأ يوسف بلسان الشاهد﴿وَشَهِدَ

(١) البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦).

(٢) البخاري (٣٤٣٦).

(٣) «الكشاف» (٣/ ٢٢٨).

وانظر: «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٦٧).

شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف:٢٦]، وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه، وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم:٣٠]، وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز، المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات، فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك؟ وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ، والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم، وخيرة الأولين والآخرين، وحجة الله على العالمين.

ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه ﷺ، وتقدم قدمه، وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق؛ فليتلق ذلك من آيات الإفك، وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه».

٢- وكذلك أنزل الله في ذلك قرآناً يتلى، لم يكن في حسبان أحد.

قالت عائشة -رضي الله عنها-: «ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بوحي يتلى؛ ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها».

* خامساً: حكم سب زوجات النبي ﷺ، والوقوع في أعراضهن:

لاشك أن أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- مَلَكْنَ الفضل من طرفيه:

فهن داخلات في آل البيت؛ لقوله تعالى: ﴿يا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً* يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً* وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ

اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٠-٣٤].

وداخلات في عموم الصحابة؛ فإنهن منهم، وكل آية، أو حديث، أو أثر فيه فضل للصحابة -رضي الله عنهم-؛ فإن ذلك يشملهن، مع ما لهن من المنزلة العظيمة التي أعطاهن الله إياها بقوة اتصالهن وقربهن من سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ، فهن أمهات المؤمنين بنص كلام رب العالمين: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

وزادت عائشة -الصديقة بنت الصديق- رضي الله عنها- درجة وفضلاً دون من سواها مِن أمهات المؤمنين؛ بمزيد حب النبي ﷺ لها، ودفاع الحق -جل ثناؤه- عنها، والغيرة على عرض حبيبه وخليله ونبيه ﷺ.

لذا اعتنى علماء أهل السنة والجماعة -قديمًا وحديثًا- بذكر فضائلها على غيرها، والاهتمام بذلك، وتأصيله وتفصيله.

قال الإمام محمد بن الحسين الآجرِّيُّ في «الشريعة» (٥/ ٢٣٩٣-٢٣٩٤): «اعلموا -رحمنا الله وإياكم-: أن عائشة -رضي الله عنها- وجميع أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، فضلهن الله -عز وجل- برسوله ﷺ، أولهن خديجة -رضي الله عنها-، وبعدها عائشة -رضي الله عنها-، شرفها عظيم وخطرها جليل.

فإن قال قائل: فلم صار الشيوخ يذكرون فضائل عائشة -رضي الله عنها- دون سائر أزواج النبي ﷺ ممن كان بعدها؟

قيل له: لما أن حسدها قوم من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ، فرموها بما قد برأها الله -تعالى- منه، وأنزل فيه القرآن، وأكذب فيه من رماها بباطله، فستر الله الكريم به رسوله ﷺ، وأقر به أعين المؤمنين، وأسخن به أعين المنافقين؛ عند ذلك عني العلماء بذكر فضائلها -رضي الله عنها- زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة.

روي أنه قيل لعائشة -رضي الله عنها-: إن رجلاً قال: إنك لست بأم، فقالت: صدق؛ أنا أم المؤمنين، ولست بأم المنافقين.

وبلغني عن بعض الفقهاء من المتقدمين: أنه سئل عن رجلين حلفا بالطلاق؛ أحدهما: أن عائشة أمه، وحلف الآخر: أنها ليست بأمه؟ فقال: إن كلاهما لم يحنث، فقيل له: كيف هذا؟! لا بد أن يحنث أحدهما، فقال: إن الذي حلف أنها أمه؛ هو مؤمن لم يحنث، والذي حلف أنها ليست أمه؛ هو منافق لم يحنث.

قال الآجري: فنعوذ بالله ممن شنأ عائشة -حبيبة رسول الله ﷺ-، الطيبة، المبرأة، الصديقة ابنة الصديق، أم المؤمنين -رضي الله عنها- وعن أبيها خليفة رسول الله ﷺ».

وقال (٥/ ٢٤١٨-٢٤١٩): «إن الله -عز وجل- لم يزد عائشة -رضي الله عنها- في قصة الإفك إلا شرفاً ونبلاً وعزًا، وزاد من رماها من المنافقين ذلاً وخزيًا، ووعظ من تكلم فيها من غير المنافقين من المؤمنين بأشد ما يكون من الموعظة، وحذرهم أن يعودوا لمثل ما ظنوا مما لا يحل الظن فيه، فقال -عز وجل-:﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـذَا سُبْحَانَكَ هَـذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور:١٦-١٧].

ميّزوا -رحمكم الله- من هذا الموضع؛ حتى تعلموا أن الله -عز وجل- سبَّح نفسه تعظيمًا لما رموها به، ووعظ المؤمنين موعظة بليغة.

سمعت أبا عبد الله بن شاهين -رحمه الله- يقول: إن الله -تبارك وتعالى- لم يذكر أهل الكفر بما رموه إلا سبح نفسه؛ تعظيمًا لما رموه به؛ مثل: قوله -عز وجل-:﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَـنُ وَلَداً﴾ [مريم:٨٨ والأنبياء: ٢٦]، قال: فلما رميت عائشة -رضي الله عنها- بما رميت به من الكذب؛ سبح نفسه تعظيمًا لذلك، فقال -عز وجل-: ﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـذَا سُبْحَانَكَ هَـذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[النور:١٦]؛ فسبح نفسه -جل وعز- تعظيمًا لما رميت به عائشة -رضي الله عنها-.

قال الآجري: فوعظ الله المؤمنين موعظة بليغة، ثم قال الله -عز وجل-:﴿إِنَّ

الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

فأعلمنا الله -عز وجل- أن عائشة -رضي الله عنها- لم يضرها قول من رماها بالكذب، وليس هو بشرٌ لها؛ بل هو خير لها، وشرّ على مَن رماها، وهو عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه من المنافقين، وإن كان قد مضَّها وأقلقها وتأذى النبي ﷺ وغمه ذلك؛ إذ ذكرت زوجته، وهو لها محب مكرم، ولأبيها -رضي الله عنه-.

فكل هذه درجات لهم عند الله -عز وجل-، حتى أنزل الله -عز وجل- براءتها وَحْيًا يتلى، وسرَّ الله الكريم به قلب رسوله ﷺ وقلب عائشة وأبيها وأهلها وجميع المؤمنين، وأسخن به أعين المنافقين.

رضي الله عنها، وعن أبيها، وعن جميع الصحابة، وعن جميع أهل البيت الطاهرين».

وقال (٥/ ٢٤٢٨): «لقد خاب وخسر من أصبح وأمسى وفي قلبه بغض لعائشة -رضي الله عنها-، أو لأحد من أصحاب الرسول ﷺ، أو لأحد من أهل بيت رسول الله ﷺ، فرضي الله عنهم أجمعين، ونفعنا بحبهم».

ولهذا كله لم يغفل أهل العلم السابقين -رحمهم الله أجمعين- عن هذه القضية الخطيرة، بل أولَوْها جُلَّ اهتمامهم، وذكروها في كتبهم وشروحاتهم، فبيَّنوا حكم من سبَّ واحدة من زوجاته ﷺ، أو طعن في عرضها، أو انتقص من شأنها.

وقد اتفقت كلمات علماء أهل السنة والجماعة، وأجمعوا قاطبة على أن من طعن في السيدة عائشة -أم المؤمنين، رضي الله عنها- بما برّأها الله منه، وبما رماها به المنافقون من الإفك؛ فهو كافر مرتد، مكذب للقرآن، ومعاند لما أخبر الله -سبحانه- في كتابه من براءتها وطهارتها وعفتها، وحكموا عليه بوجوب قتله ردّة.

قال الإمام مالك بن أنس[١]: «من سبَّ أبا بكر وعمر جُلدَ، ومن سبَّ عائشة قتل، قيل له: لم يقتل في عائشة؟ قال: لأن الله -تعالى- يقول في عائشة -رضي الله عنها-:﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور:١٧].

قال مالك: فمن رماها؛ فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن؛ قتل».

قال الإمام ابن حزم الظاهري -معلقًا-: «قول مالك هاهنا صحيح، وهي ردّة تامة، وتكذيب لله -تعالى- في قطعه ببراءتها».

وقال أبو الخطاب ابن دحية في «أجوبة المسائل»[٢]: «ويشهد لقول مالك كتاب الله؛ فإن الله -تعالى- إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون؛ سبَّح نفسه لنفسه، قال -تعالى-: ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَـنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ﴾ [الأنبياء:٢٦]، في آي كثيرة، وذكر -تعالى- ما نسبه المنافقون إلى عائشة، فقال: ﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـذَا سُبْحَانَكَ هَـذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[النور:١٦]، فسبَّح نفسه في تبرئتها من السوء، كما سبح نفسه في تبرئته من السوء، وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة.

ومعنى هذا -والله أعلم-: أن الله لما عظم سبّها كما عظّم سبّه، وكان سبّها سبًا لنبيه، وقرن سبّ نبيه وأذاه بأذاه -تعالى-، وكان حكم مؤذيه -تعالى- القتل؛ كان مؤذي نبيه كذلك».

وقال أبو بكر بن العربي[٣]: «إن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة؛ فبرأها الله، فكل من سبَّها بما برّأها الله منه؛ فهو مكذب لله، ومَن كذب الله؛ فهو كافر.

(١) «المحلى» (١٣/ ٥٠٤)، و«الصارم المسلول» (٣/ ١٠٥٠).

(٢) «الشفا» (٢/ ٣٠٩-٣١٠)، و«الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» (ص ٤٥-٤٦).

(٣) «أحكام القرآن» (٣/ ١٣٥٦).

فهذا طريق قول مالك، وهي سبيل لائحة لأهل البصائر، ولو أن رجلاً سبَّ عائشة بغير ما برّأها الله منه؛ لكان جزاؤه الأدب».

وقال القاضي أبو يعلى[١]: «من قذف عائشة بما برأها الله منه؛ كفر بلا خلاف».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم».

وقال القاضي أبو علي محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي[٢]: «ومن رمى عائشة -رضي الله عنها- بما برأها الله منه؛ فقد مرق من الدِّين، ولم ينعقد له نكاح على مسلمة».

وقال النووي[٣]: «الفائدة الحادية والأربعون: براءة عائشة -رضي الله عنها- من الإفك، وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان -والعياذ بالله-؛ صار كافرًا مرتدًا بإجماع المسلمين. قال ابن عباس وغيره: لم تزن امرأة نبي من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، وهذا إكرام من الله -تعالى- لهم».

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي[٤]: «ومن السُّنَّة: الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ، أمهات المؤمنين، المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن: خديجة بنت خويلد، وعائشة -الصديقة بنت الصديق- التي برّأها الله فيه كتابه، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برّأها الله منه؛ فقد كفر بالله العظيم».

قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين -معلقًا-[٥]: «قذف عائشة بما

(١) «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (٣/ ١٠٥٠).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٠٥٨).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٧/ ١١٧-١١٨).

(٤) «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» (١٥٢/ ٨٨).

(٥) (ص ١٥٥).

برّأها الله منه كفر؛ لأنه تكذيب للقرآن».

وقال الإمام الفذ ابن قيم الجوزية[١]: «واتفقت الأمة على كفر قاذفها».

وقال الحافظ ابن كثير[٢]: «أجمع العلماء -رحمهم الله- قاطبة على أن من سبها بعد هذا، ورماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية؛ فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن».

وقال[٣] : «ومن قذف عائشة -أم المؤمنين- قتل إجماعاً؛ حكاه السهيلي وغيره؛ لنص القرآن على براءتها».

وقال الزركشي[٤]: «من قذفها؛ فقد كفر؛ لتصريح القرآن الكريم ببراءتها. قال الخوارزمي في «الكافي» -من أصحابنا- في (كتاب الرِّدَّة): لو قذف عائشة بالزنى؛ صار كافرًا، بخلاف غيرها من الزوجات؛ لأن القرآن نزل ببراءتها».

وقال السيوطي[٥]- بعد أن ذكر آيات الإفك-: «نزلت في براءة عائشة فيما قذفت به، فاستدل الفقهاء على أن قاذفها يقتل؛ لتكذيبه لنص القرآن.

قال العلماء: قذف عائشة كفر؛ لأن الله سبح نفسه عند ذكر الإفك، فقال: ﴿سُبْحَانَكَ هَـٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾، كما سبح نفسه عند ذكر ما وصفه به المشركون من الزوجة والولد».

وقال صدّيق حسن خان[٦]: «وهذه فرقة الرافضة[٧] -لحاهم الله تعالى-

(١) «زاد المعاد» (١/ ١٠٦).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٤١).

(٣) «الفصول في سيرة الرسول ﷺ» (ص ٤٩٤- بتحقيقي)

(٤) «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» (ص ٤٥).

(٥) «الإكليل في استنباط التنزيل» (ص ١٩٠).

(٦) «الدين الخالص» (٣/ ٥٠٦).

(٧) وقد ذهبت جماعة من محققيهم وكبرائهم إلى تبرئة عائشة -رضي الله عنها- من حادثة الإفك، منهم:

١- أبو جعفر الطوسي في «التبيان في تفسير القرآن» (٧/ ٤١٤). =

كيف يسيئون الأدب فيها، ويذكرونها بما هم أحق به منها، وقد نزل القرآن ببراءتها مما رماها به جماعة.

فمن اعتقد فيها سوءًا، وذكرها بسوء؛ فهو كافر بنص الكتاب وأدلة السنة الصحيحة الصريحة المحكمة، لا شك في كفره وضلاله، نعوذ بالله».

ولا بأس هنا بذكر بعض الوقائع التي قتل فيها من قذف ورمى عائشة -رضي الله عنها- بما برأها الله منه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: «وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري: سمعت القاسم بن محمد يقول لإسماعيل بن إسحاق: أتي المأمون بالرقة برجلين؛ شتم أحدهما فاطمة، والآخر عائشة، فأمر بقتل الذي شتم فاطمة، وترك الآخر.

قال إسماعيل: ما حكمها إلا أن يقتلا؛ لأن الذي شتم عائشة ردّ القرآن».

قال شيخ الإسلام: «وعلى هذا مضت سيرة أهل الفقه والعلم من أهل البيت وغيرهم».

وقال أبو السائب القاضي[2]: «كنت يومًا بحضرة الحسن بن زيد -الداعي- بطبرستان، وكان بحضرته رجل، فذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة!!

= ٢- الطبرسي في «مجمع البيان في تفسير القرآن» (٢/ ١٣٠).

٣- محمد حسين فضل الله في «من وحي القرآن» (١٦/ ٢٨٢).

٤- محمد جواد مغنية في «الكاشف» (٥/ ٤٠٢).

٥- ميرزا سيد علي الحائري في «مقتنيات الدر وملتقطات الثمر» (٧/ ٢٢٠).

٦- محمد الكرمي في «التفسير لكتاب الله المنير» (٦/ ٩٦).

وهؤلاء حجة على بقية قومهم؛ فلعلهم يرعوون، وعن غيهم يرجعون.

(١) «الصارم المسلول» (٣/ ١٠٥٠-١٠٥١).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧/ ١٢٦٨/ ٢٣٩٦)، و«الصارم المسلول» (٣/ ١٠٥٢-١٠٥٣).

فقال: معاذ الله؛ هذا رجل طعن على النبي ﷺ، قال الله -تعالى-:﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَـئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور:٢٦]: فإن كانت عائشة خبيثة؛ فالنبي ﷺ خبيث، فهو كافر؛ فاضربوا عنقه، فضربوا عنقه وأنا حاضر».

وروي عن محمد بن زيد -أخي الحسن بن زيد-[(١)]: «أنه قدم عليه رجل من العراق، فذكر عائشة بسوء، فقام إليه بعمود فضرب به دماغه؛ فقتله. فقيل له: هذا من شيعتنا ومن بني الآباء، فقال: هذا سمى جدي قرنان[(٢)]، و من سمى جدي قرنان؛ استحق القتل، فقتله».

وأما حكم من سب ووقع في غير عائشة من أزواجه ﷺ؛ ففيه قولان لأهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)]: «وأما من سب غير عائشة من أزواجه ﷺ؛ ففيه قولان:

أحدهما: أنه كسّاب غيرهن من الصحابة.

والثاني -وهو الأصح-: أن من قذف واحدة من أمهات المؤمنين؛ فهو كقذف عائشة -رضي الله عنها-؛ وذلك لأن هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده ... والأمر فيه ظاهر».

قلت: قال الإمام ابن حزم[(٤)]: «وهي -يعني: سبَّ عائشة ورميها بالإفك-ردة تامة، وتكذيب لله -تعالى- في قطعه ببراءتها، وكذلك القول في سائر أمهات المؤمنين

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٧/ ١٢٧٠/ ٢٤٠٣)، و«الصارم المسلول» (٣/ ١٠٥٣-١٠٥٤).

(٢) قرنان -على وزن سكران-؛ هو: الديوث، الذي لا غيرة له.

انظر: «المصباح المنير» (٢/ ٥٠١).

(٣) «الصارم المسلول» (٣/ ١٠٥٤).

(٤) «المحلى» (١٣/ ٥٠٤).

ولا فرق؛ لأن الله -تعالى- يقول: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَـئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾[النور:٢٦]؛ فكلهن مبرآت من قول إفك، والحمد لله ربّ العالمين».

وقال الحافظ ابن كثير[(١)]: -بعد ذكره قول الحق- تبارك وتعالى-:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُواْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور:٢٣]-: «هذا وعيد من الله -تعالى- للذين يرمون المحصنات الغافلات، خرج مخرج الغالب للمؤمنات، فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول؛ وهي عائشة -رضي الله عنها- المتقدم ذكره، ثم قال: «وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما: أنهنّ كهي، والله أعلم».

وكذا ذكر محمد بن القاسم بن شعبان -كما نقله عنه القاضي عياض[(٢)]-؛ قال: «ومن سب غير عائشة من أزواج النبي ﷺ؛ ففيها قولان:

أحدهما: يقتل؛ لأنه سبّ النبي ﷺ بسَبِّ حليلته.

الآخر: أنها كسائر الصحابة؛ يجلد حدَّ المفتري ... وبالأول أقول».

وقال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-[(٣)]: «وفي قذف غير عائشة من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم، أصحهما: أنه كفر؛ لأنه قدح في النبي ﷺ، فإن الخبيثات للخبيثين»[(٤)].

وقد أبدى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- الحكمة في ذلك -يعني: إجماع أهل العلم وقطعهم بكفر من قذف عائشة -رضي الله عنها- بما رماها به

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٤١).

(٢) «الشفا» (٢/ ٣١١).

(٣) «شرح لمعة الاعتقاد» (ص١٥٥).

(٤) وانظر غير مأمور: «السيف المسلول» للسبكي (ص ٣٣٤-٣٣٧ -بتحقيقي).

أهل الإفك-، فقال[1]: «لما في قذفِهنَّ من الطعن على رسول الله ﷺ، وعيبه؛ فإن قذف المرأة أذى لزوجها، كما هو أذى لابنها؛ لأنه نسبة له إلى الدياثة، وإظهار لفساد فراشه، فإن زناء امرأته يؤذيه أذى عظيمًا؛ ولهذا جوّز له الشارع أن يقذفها إذا زنت، ودَرْءِ الحد عنه باللعان، ولم يبح لغيره أن يقذف امرأة بحال».

قلت: ومعلوم أن أذى الله ورسوله كفر موجب للقتل، وبهذا يظهر الفرق بين أذى زوجات النبي ﷺ، وأذى سائر المسلمات، لا سيما وأنه ﷺ مات وهو عنهن راضٍ، وقد اخترنه ﷺ على مَن سواه من الرجال، فالواقع في أعراضهن أراد -حقيقة- القدح في النبي ﷺ؛ لكن لمّا لم يمكنهم ذلك: قدحوا في أهل بيته وعرضه، حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحًا؛ لكانت نساؤه صالحات، عيادًا بالله﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ [الأحزاب:٥٧-٥٨].

قال الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٣٧) -عند تفسير قوله -تعالى-: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥]-: «أي: تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين، وتحسبون ذلك يسيرًا سهلاً، ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هينًا؛ فكيف وهي زوجة النبي الأمي، خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين؟! فعظيم عند الله أن يقال في زوجة رسوله ما قيل! فإن الله -سبحانه وتعالى- يغار لهذا، وهو -سبحانه وتعالى- لا يُقدِّر على زوجة نبي من أنبيائه ذلك؛ حاشا وكلا، ولما لم يكن ذلك؛ فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء، وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة؟! ولهذا قال -تعالى-:﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾، وفي الصحيحين: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يدري ما تبلغ؛ يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض»، وفي رواية: «لا يلقي لها بالاً»».

وقال (٦/ ٤٥-٤٦): «وهذا -أيضًا- يرجع إلى ما قاله أولئك باللازم؛ أي: ما

(١) «الصارم المسلول» (٢/ ٩٥).

كان الله ليجعل عائشة زوجةً لرسول الله ﷺ إلا وهي طيِّبة؛ لأنه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة: لما صلحت له؛ لا شرعًا ولا قدرًا، ولهذا قال -تعالى-: ﴿أُولَـٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾؛ أي: هم بعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾؛ أي: بسبب ما قيل فيه من الكذب،﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾؛ أي: عند الله في جنات النعيم، وفيه وعد بأن تكون زوجة النبي ﷺ في الجنة».

* سادساً: قصيدة ابن بهيج الأندلسي[1] في الذب عن أم المؤمنين عائشة الصِّدِّيقة -رضي الله عنها-.

ما شانُ أمِّ المؤمنين وشاني ... هُديَ المحبُّ لها وضَلَّ الشَّاني

إنِّي أقُول مُبيِّناً عن فضلها ... ومُتَرجِماً عن قولها بلساني

يا مبغضي لا تأتِ قبرَ محمدٍ ... فالبيتُ بيتي والمكانُ مكاني

إنِّي خُصِصْتُ على نساءِ مُحمدٍ ... بصفاتِ برٍّ تحتهنَّ معاني

وسبقتُهن إلى الفضائل كُلِّها ... فالسَّبقُ سَبْقي والعِنانُ عناني

مرضَ النَّبيُّ ومات بين ترائبي ... فاليومُ يَومِي والزَّمانُ زماني

زوجي رسولُ الله لم أر غيْرَهُ ... اللهُ زوَّجني به وحَبَاني

وأتاهُ جبريلُ الأمينُ بصورتي ... فأحبَّني المختارُ حين رآني

أنا بِكْرُهُ العذراءُ عندي سِرُّهُ ... وضجيعُهُ في منزلي قمرَانِ

وتكلَّم اللهُ العظيمُ بحجَّتي ... وبراءتي في محكم القرآن

والله خفَّرني وعظَّم حُرمتي ... وعلى لسان نبيِّه برّاني

والله في القرآن قد لعنَ الذي ... بَعْدَ البراءة بالقبيح رماني

والله وبّخ من أراد تنقّصي ... إفكاً وسبّح نفسه في شاني

إنِّي لحصنةُ الإزار بريئة ... ودليل حُسن طهارتي إحصاني

والله أحصنني بخاتم رُسْلِه ... وأذلَّ أهلَ الإفكِ والبهتانِ

(١) هو موسى بن عبد الله الأندلسي، كان من أهل العلم والأدب، وله أشعار حملت عنه. انظر «التكملة لكتاب الصلة» (١/ ٣٢٩).

وسمعت وحي الله عند مُحَمّدٍ ... من جبرئيل ونورُهُ يغشاني
أوحى إليه وكنتُ تحت ثيابهِ ... فحنا عليَّ بثوبه خبّاني
مَنْ ذا يفاخرني وينكر صُحبتي ... ومحمد في حجره رباني؟
وأخذت عن أبويَّ دين مُحَمّدٍ ... وهما على الإسلام مصطحبانِ
وأبي أقام الدين بَعْدَ مُحمّدٍ ... فالنّصلُ نَصْلي والسِّنان سناني
والفخرُ فخري والخلافَةُ في أبي ... حَسْبي بهذا مَفْخَراً وكفاني
وأنا ابنةُ الصِّدّيقِ صاحب أحمد ... وحبيبه في السِّرِّ والإعلانِ
نصر النّبيَّ بمالِهِ وفعالِهِ ... وخروجِه مَعَهُ من الأوطان
ثانيه في الغار الذي سدَّ الكوى ... بردائه أكرم به من ثان
وجفا الغنى حتى تخلّل بالعَبا ... زهداً وأذعن أيما إذعانِ
وتخللت معه ملائكةُ السَّما ... وأتته بشرى الله بالرضوانِ
وهو الذي لم يخشَ لومةَ لائمٍ ... في قتل أهلَ البَغي والعدوانِ
قتل الألى منعوا الزكاة بكفرهم ... وأذلَّ أهل الكفرِ والطغيانِ
سَبَقَ الصحابة والقرابة للهدى ... هو شيخُهم في الفضل والإحسان
والله ما استبقوا لنيل فضيلةٍ ... مثلَ استباق الخيلِ يوم رهانِ
إلا وطار أبي إلى عليائها ... فمكانه منها أجلُّ مكانِ
ويلٌ لعبد خان آل محمدٍ ... بعداوةِ الأزواجِ والأختانِ
طوبى لمنْ والى جماعةَ صحبهِ ... ويكون من أحبابه الحَسَنانِ
بين الصحابةِ والقرابةِ ألفةٌ ... لا تستحيل بنزغة الشيطانِ
هم كالأصابع في اليدينِ تواصلاً ... هل يستوي كفٌّ بغير بنانِ
حصرت صدور الكافرين بوالدي ... وقلوبُهُمْ ملئت من الأضغانِ
حُبُّ البَتُولِ وبعلِها لم يختلِفْ ... من ملةِ الإسلامِ فيه اثنانِ
أكرمْ بأربعةٍ أئمةِ شَرْعِنَا ... فهُم لبيت الدين كالأركانِ
نُسِجَت مودَّتُهم سدى في لُحمةٍ ... فبناؤها من أثبتِ البُنيانِ

اللهُ ألّـــفَ بـــين ودِّ قلوبهـــم ... ليغـــيظَ كـــلَّ مـــنافقٍ طعّـــان
رحمـــاءُ بيـــنهم صَـــفَتْ أخلاقُهـــم ... وخَلَـــتْ قلوبُهـــم مـــن الشّـــنآنِ
فدخولهـــم بـــين الأحـــبة كُلْفَـــةٌ ... وسِـــبابُهم سَـــبَبٌ إلى الحـــرمانِ
جَمـــع الإلـــهُ المســـلمين عـــلى أبـــي ... واســـتبْدلوا مـــن خوفهـــم بأمـــانِ
وإذا أرادَ اللهُ نصـــــرةَ عـــــبدهِ ... مـــن ذا يطـــبق لـــه عـــلى خـــذلانِ؟!
مَـــنْ حـــبَّني فليجْتَنِـــب مـــن ســـبَّني ... إنْ كـــان صـــان محـــبّتي ورعـــانِي
وإذا محـــبِّي قـــد ألـــظَّ بمبغضـــي ... فكلاهمـــا في الـــبغض مســـتويانِ
وإنـــي لطيـــبةٌ خلقـــتِ لطيـــبٍ ... ونســـاءُ أحمـــدَ أطيـــبُ النســـوانِ
إنّـــي لأم المؤمـــنين فَمَـــنْ أبـــى ... حـــبي فســـوفَ يـــبوءُ بالخســـرانِ
الله حبَّـــــبني لقَلْـــــبِ نبـــــيِّه ... وإلى الصـــراطِ المســـتقيمِ هدانـــي
والله يُكـــرم مـــن أرادَ كـــرامتي ... ويهـــينُ ربّـــي مَـــنْ أرادَ هوانـــي
والله أســـألهُ زيـــادةَ فضـــلهِ ... وحَمَدْتُـــه شُـــكراً لِمـــا أوْلانـــي
يـــا مَـــنْ يلـــوذ بـــأهل بيـــت مُحَمّـــد ... يـــرجو بذلـــك رَحْمَـــةَ الـــرّحمانِ
صِـــلْ أمهـــاتِ المؤمـــنين ولا تَحِـــدْ ... عـــنا فتُســـلب حلّـــةَ الإيمـــانِ
مَـــنْ ذا يفاخـــرُني ويـــنكِرُ صـــحبَتي ... ومحمـــــدٌ في حجـــــره ربّـــــاني؟
إنـــي لصـــادقةُ المقـــالِ كـــريمةٌ ... إيْ والـــذي ذلّـــت لـــه الـــثّقلانِ
خُذْهـــا إليـــك فإنّمـــا هـــي روضـــةٌ ... محفوفـــــةٌ بالـــــروح والـــــرّيحانِ
صـــلّى الإلـــهُ عـــلى الـــنّبيِّ وآلِـــه ... فـــيهم تُشَـــمُّ أزاهـــرُ البســـتانِ

سابعاً: نظم حديث الإفك[1]:

حَمْـداً لمـن بالصِّـدقِ في القـول أمـرْ ... كُـلُّ العِـبَادِ وعـن الإفـك زَجَـرْ
صـلٌ وسـلّم عـلى خـير البشـرْ ... والآل والصـحب الأجلّـة الغُـررْ
وبعـــدُ ذي مـــنظومةٌ مختصـــةْ ... بقصـــة الإفـــكِ تفـــي بالقصّـــةْ

(١) نظم الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله اليعقوبي.

مِـــن كُتْـــبِ الـــصَّحيح تَـــسْتَوفيها خوفـــاً مِـــنْ أن يَقَـــعَ إفـــكٌ فيهـــا
مثـــل الـــذي وردَ في البخـــاري ومـــسلمٍ فيهـــا مِـــن الأخبـــارِ
والافـــكُ في سَـــنَةِ ســـتٍّ وقعَـــا لـــمَّا غَـــزا خـــيرُ الـــورَى المُرَيْـــسِعَا
وكـــان مِـــن دأبِ شـــفيع الـــشُّفَعَا إذا أرادَ ســـــفراً أن يُقْرعـــــا
بـــين نـــسائِه فمَـــنْ مِـــنْ نِـــسْوَتِهِ خـــرج ســـهمُهَا مـــضَتْ في صُـــحْبَتِهِ
فَـــأقرَعَ الـــنَّبيُّ لـــدى إرادتـــهْ لهـــذه بـــين النِّـــسَا كعادتِـــهْ
فَخَـــرَجَ الـــسَّهمُ هنـــا لعائـــشهْ ولم تكـــن ذاتِ سِـــهَام طائِـــشَهْ
وكـــان ذا فيمـــا روى الأنجـــابُ مِـــنْ بعـــد مـــا قَـــدْ نَـــزَلَ الحجـــابُ
وكانـــت أمُّ المـــؤمنين تُحْمَـــلُ في هَـــوْدجٍ لهـــا وفيـــه تَنْـــزلُ
فَنَـــزَلَ الـــنَّبيُّ بـــذاك الجَـــيْشِ أثنـــا قُفُـــولِهِمْ بـــذات الجَـــيْشِ
وبـــاتَ بـــالمنزل بعـــضَ الليْـــلِ وبعـــــد ذا أذن بالرحيـــــلِ
فخرَجَـــتْ لحاجـــةٍ ورجعـــتْ والنـــاسُ في الرحيـــلِ كانـــت شَـــرَعَتْ
وفقـــدتْ عِقـــداً لهـــا وذهبـــتْ تَطْلُبـــه هنـــاك فيمـــا قَـــدْ ثَبَـــتْ
ولم يكونـــوا عَلِمُـــوا خروجَهَـــا فـــاحتملُوا مِـــنْ بعـــدِها هَوْدَجَهَـــا
وحـــسبُوهَا فيـــه، إذ ذاك الـــزَّمنْ نـــساؤُه لم يَتَّـــسِمْنَ بالـــسِّمَنْ
وأخـــذوا مِـــنْ ذا خـــروج الأهـــلِ لحاجـــةٍ بـــدون إذْنِ البَعْـــلِ
فرجعـــت إلى مكـــان العَـــسْكَر إذ وجـــدَتْ ومـــا بـــه مـــن بَـــشَرِ
فقـــصَدَتْ مكانهـــا إذ رجعـــتْ وضَـــرَبتْ جِلْبَابهـــا واضْـــطَجَعَتْ
تظـــنُّ أن القـــوم يَفْقِـــدُونها وســـوفَ يَرْجِعُـــون يطلبُونَهَـــا
فغلبتْهَـــا عينُهَـــا فنامَـــتِ فَمَـــرَّ صـــفوانُ بـــني سَـــلَمةِ
نَجْـــلُ المعطَّـــل الحنيـــفُ الـــسالكْ سُـــبْلَ الهـــدى بأمِّنـــا هنالـــكْ
كـــان لـــبعض شـــأنِهِ تَخَلّفـــا ولم يَبِـــتْ مـــع الهُـــداة الحُنَفـــا

عـــرفَها ولـــيس ذاك بِعُجَـــابْ لأنَّـــه أبصـــرَها قَـــبْلَ الحِجَـــابْ
مـا سمعـتْ منه سـوى اسـترجاعِهِ فاسـتيقظتْ في الحـين مـن سماعِـهِ
فركبـــتْ بعـــيرَهُ إذ قـــرَّبهْ مـــنها وقـــد أمســـكَهُ لتركَـــبَهْ
فقـــادَ مســـرِعاً بهـــا لـــيَلْحقا بالجـيشِ لكـنْ جَـيْشُ طـه[1] سـبَقَا
وبَعْـــدَ مـــا بِطِيْـــبَةٍ الجـيشُ نـزلْ طلـعَ وهـو قـائدٌ بهـا الجَمَـلْ
ثـم أشـاعَ أهـلُ الافـك الفاحِشَـهْ وذاك لا عِلْـم بـه لعائِشَـهْ
فمرضَـتْ بعـدَ القـدوم بقليلْ وبلـغ الحديـثُ صَـفْوَةَ الجلِيلْ
ووَالـديْ عائشـةَ ومـا دَرَتْ بـذاك إلا أنَّهـا قـد أنكَـرتْ
مِـنْ أفضـل الأنـام بعـضَ لُطفِـهِ والـبَعْضَ مـن حـنانه وعطْفِـهِ
كـان إذا مـا جاءهـا يسـلِّمُ ولا يقـول غَـيرَ كـيف تـيكمُ
فَنَقَهـت مِـن بعـد قـربِ شـهر ولم تكـن قـد عَلِمَـت بالامْـرِ
وخرجَـتْ لفسْـحَةٍ مـن فُسَـحِ طيـبَةَ لـيلاً مـع أمِّ مِسْـطَحِ
وهـي المَناصِـعُ ولم تـكُ الكُـنَفْ مألوفـةً عـندهمُ فـيما أُلِـفْ
وأمُّ مِسْـطحِ إذا رُمْـتَ النَّسَـبْ بنـتُ أبـي رَهْـم سِـليل المُطَّلِـبْ
وهـي خالـةُ أبـي بكـر السَّـرِيْ والأمُّ بنـتُ صـخرِ بـن عامـرِ
ومسْـطَحِ إلى أثاثـةَ انتسـبْ وذا إلى عـبّاد بـن المُطَّلِـبْ
ومِسْـطَح لقـبُه والخُلْـفُ جـا في اسمـه هـل عَامـر أو عـوف
واعلَـمْ بـأنَّ أمَّـه تسـمَّى كمـا حكَـاه النّـوويُّ سَـلْمى
فعـثَرَتْ في مُـرْطِها بنـت أبـيْ رَهْـم رفـيقَةَ ظَعْيـنَةِ النَّبِيْ
في سـيْرِها ذاك فقالـت تَعِسَـا مِسْـطح أي شـقي والمُـرط الكِسَـا
قالـت لهـا عائشـةُ لَبيسَـما قلـت تَسُـبّين حنـيفاً مسـلماً
شـهد بـدراً مـع خـير الرُّسـلِ وهـوَ مِـنَ المهاجـرينَ الأوَلِ

(١) لم يثبت أن «طه» من أسماء النبي ﷺ. وانظر «تحفة المودود» لابن قيم الجوزية (ص ٢١٥و٢١٦ -بتحقيقي).

قالت لها أما سمعت ما ذكَرْ ... وقومُه وأخبرتْهَا بالخَبَرْ
فزادهَا ذا مَرَضاً واشتكتِ ... أشدَّ مِن ما قَدْ مَضَى وبكتِ
واستأذنتْ خيرَ الوَرَى ومَا أبى ... في أن تزورَ الأمَّ إذ ذا والأَبَا
تريدُ منهما تُيَقُّنَ الخبرْ ... فسالت الأمَّ كما جا في الخبرْ
فلم تزذهَا فيه إلا الأَمْرا ... بأنْ تهوِّن عليها الأمْرا
وأمُّ امِّنَا تُكنَّى أما ... رومان واعلم أنَّها تسمَّى
زينبُ بنتُ عبْدِ دهمان وإنْ ... سألْتَ ممَّنْ هُو قلتُ لك مِنْ
بنى فراس ابن غنم إبن ما ... لكِ الذي إلى كنانةَ انتَمَى
وقدْ بكتْ ليلتَها ويومَها ... وفقدَتْ راحتَهَا ونومَهَا
ثم استشار في فِراقِهَا النَّبيْ ... الاتقى علياً وأسامةَ الأبيْ
أمَّا أسامةُ فخيراً ذكرا ... عنها وقال ذاك إفكٌ مفْتَرَى
وقالَ الآخَرُ -كما في ابن كثيرْ ... وغيرِه- النساءُ غيرها كثيرْ
وسَلْ بريرةَ فإنَّها تقولْ ... لك الحقيقةَ فسالها الرسولْ
فلم تقلْ ولن تقولَ غيرا ... والله لا أعلمُ إلا خَيْرا
أو أنها تنامُ عمَّا أعجِنُ ... لهم فتاكلُ العجينَ الداجنُ
فَخَطبَ النَّاس إمامُ الرُّسلْ ... وقالَ من يَعْذِرني مِنْ رَجُلْ
بلغني منهُ الأذَى في أهلي ... وهُمْ بخيْرٍ عُرفوا وفَضْلِ
وهو بما يقولُ أيضاً قَذَفَا ... صفوانَ وهو بالجميل عُرِفَا
ولم يكن يدخلْ بَيْتِي إلا ... إن كنتُ حاضراً وإلا ولَّى
وابن أبيٍّ قاصداً إذ أمْرَه ... كان هو الذي تولَّى كِبْرَه
فقال سعدُ بن معاذٍ نَضْرِبُ ... عنَقَهُ إذا للأوس ينسبُ
وإن يكن مِنْ خَزْرجٍ فَمُرْنا ... فَمَا به أمرتنا فعلنَا
فاحتملتْ حَمِيَّةٌ بعضَ الرجالْ ... وهو سَعْدُ بن عُبَادَةَ فقالْ
لابن معاذٍ لم تقلْ ما قلتَا ... آنفاً إلا بعدمَا عَلِمْتَا

أنَّ المـــراد مـــن رجـــالِ الخَـــزْرَجْ ومَـــا تقـــولُ هـــو عِـــينُ الـــبَهْرَجْ
وقـــال لـــو كـــان مِـــن الأوس لَمَـــا كنـــت تحـــبُّ قـــتْلَه وأقســـمَا
وعـــند ذا قـــالَ أُسَـــيْدُ بـــن حُضَـــيرْ وهـــو ابـــنُ عـــمٍّ بـــن معـــاذِ الأمـــيرْ
لابـــن عُـــبادة كذبـــت عـــن يقـــينْ أنـــت تجـــادلُ عـــن المـــنافقينْ
وكـــادَ أن يقـــعَ شـــرٌّ بـــأسِ هـــناك بـــين خـــزرجٍ وأوسِ
فـــنزل الـــنَّبيُّ عـــن مِنـــبرهِ مِـــنْ بَعْـــدِ حَسْـــمٍ مـــا جـــرى بأسْـــرهِ
وجـــاء عائشـــةَ ذو الفَخَـــارِ والوالـــدانِ معهـــا في الـــدارِ
ودَمْعُهَـــا يســـيلُ في انهمـــار هـــي ومـــرأةٌ مِـــن الأنصـــارِ
فَحِمَـــدَ اللهَ وقَـــالَ يَـــا عـــا ئشـــةُ قـــدْ سَـــمِعْتِ مـــا قـــد شـــاعَا
وَسَـــيُبَرِّئُكِ إنْ بَريـــئَهْ مِـــن ذاكَ كُنـــت بـــارئُ الـــبريئهْ
أو كنـــت قـــد قارفـــت ســـوءَ توبـــي لله فهـــو غافـــر الذُّنـــوبِ
فَقَلَـــصَ الدَّمْـــع وقالـــتْ لأبـــيْ بكـــرٍ أيـــا أبـــي أجـــبْ عـــني النَّـــبيْ
وفـــيه تقديـــمُ الكـــبيرِ للكـــلامْ مَـــعْ أُولـــي الأمْـــرِ في المُهِمَّـــات العِظَـــامْ
فقـــال لا أدري بمـــا أجيـــبُ خـــير الـــوَرَى والدُهَـــا الأديـــبُ
فطلبـــت جـــوابَ الأمِّ للنَّـــبيْ فـــلم تَقُـــلْ إلا كقولَـــة الأبِ
قالـــتْ لهـــم والله قَـــدْ سَـــمِعْتُمْ هـــذا الحديـــثَ وبـــه صَـــدَّقْتُمْ
ولســـتمُ مصـــدقينَ قولَـــنا وفي أبـــي يوســـفَ أســـوةٌ لـــنا
في قولـــه صـــبرٌ جميـــلٌ فَكَّـــرَتْ لِـــتَذْكُرَ اسمَـــهُ ومـــا تَذَكَّـــرَتْ
مـــن شـــدَّةِ الأمْـــر الـــذي قـــدْ اعْتَرى وكـــان عـــندها المقـــال أحقـــرا
مـــن أنْ يجـــيءَ فـــيه وحـــيٌ يُتْـــلى وفي المســـاجد بـــه يُصَـــلَّى
لكـــنَّها كانـــتْ تـــودُّ أن يُـــرَى تكذيـــبهُ في الـــنَّومِ أفضـــلُ الـــوَرَى
فـــلم يَقُـــم طَـــهَ[1] مِـــنَ المكـــان حـــتى أتـــتْ بـــراءةُ القـــرءانِ

(١) انظر (ص ١٠١).

في عشـــر آيـــاتٍ لهـــا ابـــتداءُ بقولـــه: (إنَّ الذيـــن جـــاءوا..)
فقـــال أبشـــري فمِـــنَ ذي الفاحِشَـــهْ بـــرَّأكِ الله -عـــلا- يـــا عائشـــهْ
قالـــت بحمـــدِ اللهِ لا بحمدكَـــا هـــو الـــذي بـــرَّأني مـــن ذلكـــا
فخطـــب الـــناس الـــنَّبيُّ وتـــلا مـــا في الـــبراءَةِ علـــيه نـــزلا
وكـــان ممـــا كـــان فـــيهِ يســـبحُ حســـانُ نَجْـــلُ ثابـــتٍ ومِسْـــطحُ
وبِنْـــتُ جَحْـــشٍ حَمْـــنَةُ تفشـــيهِ لأجـــل أخـــتِها وتستوشِـــيهِ
هـــذا وقـــدْ كـــان الـــنَّبيُّ المُجْتَـــبَى يســـأل عـــن ذلـــك أيضـــا زينـــبَا
تقـــولُ أحمـــي مـــنهُ سَـــمْعِي والبصَـــرْ وعـــندَمَا بلـــغَ صـــفوانَ الخـــبرْ
حلـــفَ مـــا كشـــفَ قَـــطُّ عـــن كَـــنَفْ أنـــثى وَقَـــد كفـــاك أنَّـــه حلـــفْ
وقـــد كفـــاك أنَّـــه ســـعيدا مماثـــه مـــن بَعْـــدِ ذا شـــهيدا
ثـــم أُقِـــيمَ الحـــدُّ في ابـــن ثابـــتٍ ومسْـــطَحٍ وَحَمْـــنَةَ في الثابـــتِ
وكـــان قـــبل ذا أبـــو بكـــر الأبـــرْ يـــنفق مســـطحاً كمـــا جـــا في الخـــبرْ
لقُـــرْبه وفَقْـــره فقـــال لا أنفَعُـــه مِـــن بَعْدِهَـــا فـــنَزَلا
إلى رحـــيم قولـــه لا يـــأتلِ قـــالَ: بـــلى أحـــبُّ أن يُغْفَـــرَ لِـــي
فـــردَّ الإنفـــاق لـــهُ وقـــالَ لا أنْـــزِعُهُ مـــن بَعْـــدِ ذاكَ وانْتَـــلى
وهـــذهِ الآيـــة أرْجَـــى آيـــهْ في قـــولِ بعـــضٍ مِـــنْ أولـــي الدرايـــهْ
نـــرجُو مِـــن الله بهـــا الغفـــرانا والفَضْـــلَ والـــرَّحمةَ والإحســـانا
وتَـــمَّ مـــا كنـــتُ أردتُ نظمَـــهُ والحمـــد للهِ الـــذي أتَمَّـــهُ
صـــلّى عـــلى خـــاتم الأنبـــياء وآلـــه والصَّـــحْبِ الأتقِـــيَاء

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(اللهم! سهل)[١]

حديث الإفك

١- أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان البغدادي بها: أنبأ[٢] أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون[٣] المعدل.

وأنبأ أبو القاسم يحيى بن ثابت بن بندار بن إبراهيم المقرىء الشروطي ببغداد؛ قال[٤]: أنبأ أبي -أبو المعالي ثابت-؛ قالا[٥]: أنبأ أبو بكر أحمد بن محمد ابن غالب البرقاني؛ قال: فقرأته على أبي بكر الإسماعيلي: حدثكم محمد بن يحيى ابن سليمان المروزي: ثنا أحمد بن أيوب(ح).

وأخبرك أبو يعلى: (ثنا)[٦] أحمد بن أيوب - صاحب المغازي-، ومحمد بن خالد الواسطي(ح).

وأخبرك الحسن بن سفيان، وإبراهيم بن يوسف الهسنجاني؛ قالا: ثنا محمد ابن خالد؛ قالا[٧]: ثنا إبراهيم بن سعد: حدثني صالح بن كيسان، عن

(١) سقطت من «م».

(٢) في «ح»: «ثنا»؛ وهو تصحيف.

(٣) في «ح»: «جبرون»؛ وهو تصحيف.

(٤) في «ح»: «قالا»؛ وهو خطأ صرف.

(٥) في «م»: «قال»؛ وهو خطأ.

(٦) سقطت من «م»؛ فأفسد المعنى والمبنى.

(٧) يعني: محمد بن خالد الواسطي، وأحمد بن محمد بن أيوب- صاحب المغازي-.

ابن شهاب: حدثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة- رضي الله عنها- حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها [الله منه][(١)]، قال: وكل قد حدثني بطائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض، وأثبت اقتصاصاً، ووعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة[(٢)]، وبعض حديثهم يصدق بعضاً[(٣)]، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض[(٤)]؛ قالوا: قالت.....

(١) سقطت من «ظ»، والسياق يقتضيها؛ والاستدراك من مصادر التخريج.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٤٥٧): «ليس المراد أن عائشة تروي عن نفسها؛ بل معنى قوله: «عن عائشة»؛ أي: عن حديث عائشة في قصة الإفك».

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٥٧): «كأنه مقلوب، والمقام يقتضي أن يقول: وحديث بعضهم يصدق بعضاً، ويحتمل أن يكون على ظاهره، والمراد: أن بعض حديث كل منهم يدل على صدق الراوي في بقية حديثه؛ لحسن سياقه، وجودة حفظه».

وقال القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٨/ ٢٨٦): «وقول ابن شهاب: (وذكره)؛ مما انتقد قديماً على الزهري لجمعه الحديث عنهم، وإنما عند كل واحد منهم بعضه، وقيل: كان الأولى أن يذكر حديث كل واحد منهم بجهته، ولا درك على الزهري في شيء منه؛ لأنه قد بين ذلك في حديثه، والكل ثقات أئمة لا مطعن فيهم، فقد علم صحة الحديث، ووثق كل لفظة منه؛ إذ هي عن أحدها ولا الأربعة الأقطاب عن عائشة».

قلت: انظر -غير مأمور-: «طرح التثريب» (٨/ ٤٧).

(٤) قال الحافظ: «هو إشارة إلى أن بعض هؤلاء الأربعة أميز في سياق الحديث من بعض؛ من جهة حفظ أكثره؛ لا أن بعضهم أضبط من بعض مطلقاً».

قلت: ولذلك قال - قبل-: «وبعضهم أوعى لحديثها- يعني: الحديث المذكور خاصة- من بعض وأثبت اقتصاصاً؛ أي: سياقاً، ووعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة؛ أي: القدر الذي حدثني به، وكل قد حدثني بطائفة من حديثها».

قال الحافظ: «وحاصله: أن جميع الحديث عن مجموعهم؛ لا أن مجموعه عن كل واحدٍ منهم».

وقال -أيضاً- (٨/ ٤٧٩): «في هذا الحديث من الفوائد؛ جواز الحديث عن جماعة ملفقاً مجملاً».

وانظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧/ ١٠٢).

عائشة[١]: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه[٢]، فأيتهن خرج سهمها؛ خرج بها رسول الله ﷺ، فأقرع بيننا في غزوة غزاها[٣]، فخرج فيها

(١) قال الحافظ: «وقع في رواية فليح: «زعموا أن عائشة قالت»، والزعم قد يقع موضع القول وإن لم يكن فيه تردد؛ لكن لعل السرَّ فيه: أن جميع مشايخ الزهري لم يصرحوا به بذلك؛ كذا أشار إليه الكرماني».

وقال (٤/ ٤٧٨) -ضمن ذكره فوائد هذا الحديث-: «فيه جواز حكاية ما وقع للمرء من الفضل، ولو كان فيه مدح ناس وذم ناس؛ إذا تضمن ذلك إزالة توهم النقص عن الحاكي إذا كان بريئاً، عند قصد نصح من يبلغه ذلك؛ لئلا يقع فيما وقع فيه من سبق.

وأن الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركه يقع في الإثم، وتحصيل الأجر للموقع فيه».

(٢) قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٧/ ١٠٥): «هذا دليل لمالك، والشافعي، وأحمد، وجماهير العلماء في العمل بالقرعة في القسم بين الزوجات، وفي العتق، والوصايا، والقسمة، ونحو ذلك. وقد جاءت فيها أحاديث كثيرة في «الصحيح» مشهورة».

وقال الحافظ (٨/ ٤٥٨): «فيه مشروعية القرعة، والرد على من منع منها».

وقال (٨/ ٤٧٩) -ضمن ذكر فوائد هذا الحديث-: «وفيه مشروعية القرعة؛ حتى بين النساء، وفي المسافرة بهن، والسفر بالنساء حتى في الغزو».

وانظر: «بهجة النفوس» (٣/ ٤٣).

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٥٨): «وهي غزوة بني المصطلق؛ صرح بذلك محمد ابن إسحاق في روايته، وكذا أفلح بن عبد الله عند الطبراني...وفي رواية بكر بن وائل - عند أبي عوانة- ما يشعر بأن تسمية الغزوة في حديث عائشة مدرج في الخبر».

قال ابن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٣/ ٤٣): «وقد يرد على هذا الفضل سؤال؛ وهو أن يقال: لم أبهمت ذكر الغزوة ولم تبينها، ولم تذكر أكان فيها وقيعة أم لا؟

والجواب عنه: أنها إنما أرادت بسياق الحديث ما قدمنا ذكره من إنفاء المعرة عن نفسها، ورعي حق أخوَّة المؤمنين، وذكر الغزوة لا يتعلق بما هي بسبيله شيء، فذكرت من ذلك ما لا بد منه؛ لتعلم أن سفر النبي ﷺ كان في الغزو لا في غيره».

سهمي[(١)]، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب[(٢)]، فكنت أحمل في هَوْدَجٍ[(٣)] أنزل فيه، فسرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، ودنونا من المدينة قافلين[(٤)]؛.....

(١) قال الحافظ: «هذا يشعر بأنها كانت في تلك الغزوة وحدها... ورواية ابن إسحاق من رواية عباد ظاهرة في تفرد عائشة بذلك، ولفظه: فخرج سهمي عليهن، فخرج بي معه».

(٢) قال الحافظ: «أي: بعد ما نزل الأمر بالحجاب، والمراد: حجاب النساء عن رؤية الرجال لهن، وكن قبل ذلك لا يمنعن، وهذا قالته كالتوطئة للسبب في كونها كانت مستترة في الهودج؛ حتى أفضى ذلك إلى تحميله وهي ليست فيه، وهم يظنون أنها فيه، بخلاف ما كان قبل الحجاب[(أ)]؛ فلعل النساء حينئذ كن يركبن ظهور الرواحل بغير هوادج، أو يركبن الهوادج غير مستترات؛ فما كان يقع لها الذي يقع، بل كان يعرف الذي كان يخدم بعيرها إن كانت ركبت أم لا».

وقول عائشة بعدما أنزل الحجاب: إشارة إلى أن السفر بالنساء مشروع؛ حتى لا يظن ظان بأن آية الحجاب نسخت حكم السفر بهن.

(٣) بفتح الهاء والدال، بينهما واو ساكنة، وآخره جيم: محمل له قبة تستر بالثياب ونحوه، ويوضع على ظهر البعير، يركب عليه النساء؛ ليكون أستر لهن؛ قاله الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٥٨).

وقال (٨/ ٤٧٩) -ضمن ذكره فوائد هذا الحديث-: «وفيه: أن الهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة، وجواز ركوب المرأة الهودج على ظهر البعير؛ ولو كان ذلك مما يشق عليه، حيث يكون مطيقاً لذلك».

(٤) أي: راجعين؛ يعني: أن قصتها وقعت حال رجوعهم من الغزوة قرب دخولهم المدينة.

وقال ابن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٣/ ٤٤): «قد يرد على قولها سؤال؛ وهو: أن يقال: ما فائدة تكرار هاتين اللفظتين وذكر إحداهما يغني عن الأخرى؟

والجواب عنه: أنها إنما أتت بذلك؛ لأنهما لمعنيين مختلفين، وليسا لمعنى واحد، وهما -أيضاً- مخالفان للسير.

فما ذكرت قبل من السير؛ أفاد بأن الأمر كان مستصحباً على ما ذكرت من حين خروجهم إلى حين وصولهم إلى الموضع الذي توجهوا إليه، وفي القفول: يفيد بأن الأمر -أيضاً- كان مستصحباً إلى حين الرجوع والدنو؛ يفيد بأن ذلك دام حتى كانوا بقرب المدينة، ووقع لهم هذا الواقع».

.....

(أ) وقال ابن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٣/ ٤٣): «إنما أتت بذكر الحجاب؛ توطئة لما تذكر بعد، وهو من الفصيح في الكلام، إذا احتاج المرء إلى شيء؛ أتى في أوله بكلام يوطئ له بيان ما يريد إبداؤه».

آذن[١] ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل[٢]، فمشيت حتى جاوزت الجيش[٣]، فلما قضيت شأني[٤]؛.....

(١) بالمد والتخفيف، وبغير مد والتشديد- أذن-، كلاهما بمعنى: أعلم بالرحيل.

(٢) قال ابن أبي جمرة (٣/ ٤٤): «أتت بذكر هذا؛ لتبين العذر الذي أوقعها في التخلف عن الهودج حتى حمل عنها.

وفيه دليل على أن الإمام -أو أمير جيش، أو صاحب رفقة- إذا أراد السير أن يخبر من معه ويؤذنهم بذلك، ثم يتربص عليهم قليلاً بقدر ما يقضون حوائجهم وما يكون لهم من الضرورات، ويكون تربصه معلوماً؛ لأن التربص المجهول لا يتأتى للناس به منفعة حتى تكون مدة التربص معلومة، ويكون لوقت الرحيل أمارة غير الإذن الأول؛ لأنها أخبرت أنها لما سمعت الإذن بالرحيل قامت عند ذلك لقضاء شأنها، فلو عهدت منهم أن ذلك الإذن لنفس الرحيل؛ لم تكن لتخرج إذ ذاك».

(٣) لتقضي حاجتها منفردة.

قال ابن أبي جمرة (٣/ ٤٤-٤٥): «فيه أن الخروج لقضاء الحاجة يكون بالبعد بحيث لا يسمع له صوت، ولا يرى له شخص؛ لأنها أخبرت أنها جاوزت الجيش، وحينئذ قضت ما إليه خرجت».

(٤) قال الحافظ (٨/ ٤٥٨): «الذي توجهت بسببه، ووقع في حديث ابن عمر خلاف ما في «الصحيح»، وأن سبب توجهها لقضاء حاجتها: أن رحل أم سلمة مال، فأناخوا بعيرها، فتوجهت ولم يعلموا بي، فقضيت حاجتي، فانقطعت قلادتي، فأقمت في جمعها ونظامها، وبعث القوم إبلهم ومضوا ولم يعلموا بنزولي»؛ وهذا شاذ منكر».

وقال (٨/ ٤٥٩): «وقوله: (فلما قضيت شأني)؛ أي: فرغت من قضاء حاجتي».

وقال -أيضاً- (٨/ ٤٧٩) -ضمن ذكره فوائد هذا الحديث-: «وفيه: جواز توجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها، وبغير إذن خاص من زوجها، بل اعتماداً على الإذن العام المستند إلى العرف العام».

وقال ابن أبي جمرة (٣/ ٤٤): «فيه جواز خروج المرأة وحدها؛ لكن يشترط فيه: أن تأمن على نفسها الفتنة، فإن توقعت شيئاً ما من الفتنة؛ فلا يسوغ خروجها؛ لأن خروج عائشة -رضي الله عنها- كان مأموناً من ذلك.

أن للمرأة أن تخرج لقضاء شأنها بغير إذن من زوجها؛ لأنها أخبرت أنها خرجت لما ذكرته، ولم تذكر أنها استأذنت النبي ﷺ في ذلك، فقد يحتمل أن يكون النبي ﷺ أذن لها في ذلك أولاً بالاستصحاب، ويحتمل أن يكون ذلك مسكوتاً عنه؛ للعلم به بحكم العادة».

أقبلت إلى رحلي[١]، فلمست صدري[٢]؛ فإذا عِقْد[٣] لي من جَزْع[٤] ظَفَار[٥] قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه[٦].

(١) أي: رجعت إلى المكان الذي كانت نازلة فيه.

قال ابن أبي جمرة (٣/ ٤٥-٤٦): «فيه صيانة اللسان عن المستخبثات؛ لأنها كَنَتْ عن قضاء الحاجة بقولها: «قضيت شأني».

وكذلك كانت عادة العرب في هذا المعنى؛ لذلك سموا قضاء الحاجة: غائطاً؛ لأنه عندهم المنخفض من الأرض، وهم كانوا يقضون فيه حوائجهم إبلاغاً في الستر، فسموا الشيء بالموضع الذي يجعل فيه مجازاً؛ لتنزيه كلامهم عن ذكر المستقبحات».

(٢) فيه جواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها.

(٣) بكسر العين: قلادة تعلق في العنق؛ لتتزين بها.

(٤) قال الحافظ: (٨/ ٤٥٩): «جزع؛ بفتح الجيم، وسكون الزاي، بعدها مهملة: خرز معروف، في سواده بياض كالعروق.

وقال ابن القطاع: هو واحد لا جمع له، وقال ابن سيده: هو جمع، واحده: جزعة، وهو بالفتح، فأما الجزع -بالكسر-؛ فهو جانب الوادي.

ونقل كراع: أن جانب الوادي بالكسر فقط، وأن الآخر يقال بالفتح وبالكسر.

وأغرب ابن التين؛ فحكى فيه الضم!

قال التيفاشي: يوجد في معادن العقيق، ومنه ما يؤتى به من الصين، قال: وليس في الحجارة أصلب جسماً منه، ويزداد حسنه إذا طبخ بالزيت؛ لكنهم لا يتمنون بلبسه، ويقولون: من تقلده؛ كثرت همومه، ورأى منامات رديئة، وإذا علق على طفل سال لعابه، ومن منافعه: إذا أمرَّ على شعر المطلقة سهلت ولادتها».

(٥) ظفار؛ بفتح الظاء المعجمة، ثم فاء بعدها راء- مبنية على الكسر-: مدينة باليمن، وقيل: جبل، وقيل: سميت به المدينة، وهي في أقصى اليمن إلى جهة الهند.

وقد وقع في رواية يونس بن يزيد وفليح بن سليمان: «جزع أظفار»؛ بزيادة ألف، قال ابن بطال: «الرواية: أظفار؛ بألف، وأهل اللغة لا يعرفونه، ويقولون: ظفار».

وقال القرطبي: «وقع في بعض روايات«مسلم»: «أظفار»؛ وهي خطأ».

قال الحافظ -متعقباً- (٨/ ٤٥٩) «قلت: لكنها في أكثر روايات أصحاب الزهري؛ حتى إن في رواية صالح بن أبي الأخضر عند الطبراني: جزع الأظافير».

قلت: وظفار مدينة -الآن- في عُمان.

(٦) قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٧٩)- ضمن ذكره فوائد هذا الحديث-: «وفيه=

وأقبل الرهط[١] الذين كانوا يَرْحَلون[٢] لي، فاحتملوا هودجي[٣] ورحلوه[٤] على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه[٥]- وكان النساء إذ ذاك خفافاً[٦] لم يُهَبَّلْنَ[٧]، ولم يغشهن اللحم[٨]؛.....

=جواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها، وصيانة المال -ولو قلَّ-؛ للنهي عن إضاعة المال، فإن عقد عائشة لم يكن من ذهب ولا جوهر.

وفيه: شؤم الحرص على المال؛ لأنها لو لم تطل في التفتيش: لرجعت بسرعة، فلما زاد على قدر الحاجة؛ أثر ما جرى».

وانظر: «بهجة النفوس» (٣/ ٤٦).

(١) قال الحافظ: «لم أعرف منهم هنا أحداً».

(٢) بفتح أوله والتخفيف، رحلت البعير: إذا شددت عليه الرحل.

(٣) قال ابن أبي جمرة (٣/ ٤٦): «فيه وجوه:

الأول: تبرئتها للموكلين بحمل الهودج مما ينسب إليهم من الغفلة والتفريط؛ لأنها أتت بالفاء، وهي للتعقيب ، فعلم بذلك أنهم كانوا حين إتيانهم يبادرون ويتسارعون في الخدمة من غير توان يلحقهم، وأن ذلك كان منهم عادة مستمرة لا يحتاجون في ذلك إلى إذن مستأنف.

الثاني: التزكية لهم؛ لأن إخبارها بسرعة الخدمة منهم تزكية في حقهم؛ إذ أن سرعة خدمتهم دالة على النصح منهم، والوفاء لما يجب من تعظيم جانب النبوة».

(٤) قال الحافظ: «أي: وضعوه، وفيه تجوّز؛ وإنما الرحل: هو الذي يوضع على ظهر البعير، ثم يوضع الهودج فوقه».

(٥) قال الحافظ (٨/ ٤٧٩): «فيه جواز خدمة الأجانب للمرأة من وراء الحجاب».

(٦) قال الحافظ (٨/ ٤٥٩): «قالت هذا كالتفسير لقولها: وهم يحسبون أني فيه».

(٧) قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٧/ ١٠٤)- ونقله عنه الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٦٠)-: «ضبطوه على أوجه؛ أشهرها: ضم الياء، وفتح الهاء، والباء المشددة؛ أي: يثقلن باللحم والشحم. والثاني: بفتح الياء والباء، وإسكان الهاء بينهما. والثالث: بفتح الياء، وضم الباء الموحدة، ويجوز بضم أوله وإسكان الهاء وكسر الموحدة.

قال أهل اللغة: يقال: هبله اللحم وأهبله؛ إذا أثقله، وكثر لحمه وشحمه».

(٨) قال ابن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٣/ ٤٧) -ونقله عنه الحافظ في «الفتح» (٨/ =

إنما تأكل العُلْقَةَ[١] من الطعام-، فلم يستكثر القوم خفة الهودج[٢] حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن[٣]،.....

=٤٥٩-٤٦٠)-: «ليس هذا تكراراً؛ لأن كل سمين ثقيل من غير عكس؛ لأن الهزيل قد يمتلئ بطنه طعاماً فيثقل[أ] بدنه، فأشارت إلى أن المعنيين لم يكونا في نساء ذلك الزمان».

ونقل الحافظ عن الخطابي قوله: «معنى قولها: «لم يغشهن»؛ أي: لم يكثر عليهن، فيركب بعضه بعضاً».

قلت: وفيه بيان لخطورة السمنة؛ فإنها تعيق الحركة، وتثقل السير، وبيان أن خفة الوزن مطلوبة مرغوب فيها.

والمفاسد المترتبة على السمنة أعظم بكثير من تلك التي تكون بغير السمنة.

وقد قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٧/ ١٢٦): «فيه فضيلة الاقتصار في الأكل للنساء وغيرهن، وأن لا يكثر منه بحيث يهبله اللحم؛ لأن هذا كان حالهن في زمن النبي ﷺ، وما كان في زمانه ﷺ فهو الكامل الفاضل».

(١) قال الحافظ (٨/ ٤٦٠): «بضم العين المهملة، وسكون اللام، ثم قاف؛ أي: القليل، قال القرطبي: «وكأن المراد: الشيء القليل الذي يسكن الرمق»، كذا قال! وقد قال الخليل (ابن أحمد): العلقة: ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء؛ حكاه ابن بطال.

قال: وأصلها: شجر يبقى في الشتاء، تتبلغ به الإبل حتى يدخل زمن الربيع».

(٢) قال الحافظ (٨/ ٤٦٠):«مرادها: إقامة عذرهم في تحميل هودجها وهي ليست فيه،فكأنها تقول: كأنها لخفة جسمها بحيث إن الذين يحملون هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها؛ ولهذا أردفت ذلك بقولها: «وكنت جارية حديثة السن»؛ أي: أنها مع نحافتها صغيرة السن؛ فذلك أبلغ في خفتها...

ويستفاد من ذلك -أيضاً-: أن الذين كانوا يرحلون بعيرها كانوا في غاية الأدب معها، والمبالغة في ترك التنقيب عما في الهودج؛ بحيث أنها لم تكن فيه يظنون أنها فيه،وكأنهم جوزوا أنها نائمة».

(٣) قال الحافظ: «هو كما قالت؛ لأنها أدخلت على النبي ﷺ بعد الهجرة في شوال ولها تسع سنين، وأكثر ما قيل في المريسيع: إنها كانت في شعبان سنة ست، فتكون لم تكمل خمس =

.....

(أ) في الأصل: «فيقل»، وما أثبته هو الصواب بلا مثنوية.

فبعثوا[١] الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش[٢]، فجئت منازلهم وليس منهم داع ولا مجيب[٣]، فيممتُ[٤] منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني ويرجعون[٥] إليّ، فبينا أنا جالسة في منزلي؛ غلبتني عيني

=عشرة، فإن كانت المريسيع قبل ذلك؛ فتكون أصغر من ذلك. ويحتمل أن تكون أشارت بذلك إلى بيان عذرها فيما فعلته من الحرص على العقد الذي انقطع، ومن استقلالها بالتفتيش عليه في تلك الحال، وترك إعلام أهلها بذلك؛ وذلك لصغر سنها، وعدم تجاربها للأمور، بخلاف ما لو كانت ليست صغيرة؛ لكانت تفطن لعاقبة ذلك، وقد وقع لها بعد ذلك في ضياع العقد -أيضاً- أنها أعلمت النبي ﷺ بأمره، فأقام بالناس على غير ماء حتى وجدته، ونزلت آية التيمم بسبب ذلك؛ فظهر تفاوت حال من جرب الشيء ومن لم يُجَرِّبْه».

وقال (٨/ ٤٧٩) -ضمن ذكره فوائد هذا الحديث-: «وفيه استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من الكلام».

وانظر -غير مأمور-: «بهجة النفوس» (٣/ ٤٨).

(١) أي: أثاروه.

(٢) أي: ذهب ماضياً، وهو استفعل من مر؛ قاله الحافظ.

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٦٠-٤٦١): «فإن قيل: لِم لَم تستصحب عائشة معها غيرها؛ فكان أدعى لأمنها مما يقع للمنفرد، ولكانت لما تأخرت للبحث عن العقد، ترسل من رافقها لينتظر إن أرادوا الرحيل؟

والجواب: أن هذا من جملة ما يستفاد من قوله: «حديثة السن»؛ لأنها لم يقع لها تجربة مثل ذلك، وقد صارت بعد ذلك إذا خرجت لحاجتها تستصحب».

(٤) أي: قصدت.

(٥) قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٦١): «سيفقدوني» -بنون واحد-؛ فإما أن تكون حذفت تخفيفاً، أو هي مثقلة».

وقوله: (فيرجعون إلي) وقع في رواية معمر: «فيرجعوا» -بغير نون-، وكأنه على لغة من يحذفها مطلقاً.

قال عياض: الظن هنا بمعنى العلم! وتعقبّ باحتمال أن يكون على بابه؛ فإنهم أقاموا إلى وقت الظهر ولم يرجع أحد منهم إلى المنزل الذي كانت به، ولا نقل أن أحداً لاقاها في=

فنمت[١]، وكان صفوان بن المعطَّلِ[٢] السُّلَميُّ[٣] ثم الذَّكْوانيُّ[٤] من وراء

=الطريق؛ لكن يحتمل أن يكونوا استمروا في السير إلى قرب الظهر، فلما نزلوا إلى أن يشتغلوا بحط رحالهم، وربط رواحلهم، واستصحبوا حالهم في ظنهم أنها في هودجها؛ لم يفتقدوها إلى أن وصلت على قرب، ولو فقدوها؛ لرجعوا كما ظنته، وقد وقع في رواية ابن إسحاق: «وعرفت أن لو افتقدوني لرجعوا إليّ»، وهذا ظاهر في أنها لم تتبعهم.

ووقع في حديث ابن عمر خلاف ذلك؛ فإن فيه: «فجئت فاتبعتهم حتى أعييت، فقمت على بعض الطريق، فمر بي صفوان»، وهذا السياق ليس بصحيح؛ لمخالفته لما في «الصحيح»، وأنها أقامت في منزلها إلى أن أصبحت.

وكأنه تعارض عندها: أن تتبعهم؛ فلا تأمن أن يختلف عليها الطرق، فتهلك قبل أن تدركهم، ولا سيما وقد كانت في الليل.

أو تقيم في منزلها لعلهم إذا فقدوها عادوا إلى مكانها الذي فارقوها فيه؟ وهكذا ينبغي لمن فقد شيئاً: أن يرجع بفكره القهقرى إلى الحد الذي يتحقق وجوده، ثم يأخذ من هناك في التنقيب عليه.

وأرادت بمن يفقدها: من هو منها بسبب؛ كزوجها، أو أبيها، والغالب الأول؛ لأنه كان من شأنه ﷺ أن يساير بعيرها، ويتحدث معها، فكأن ذلك لم يتفق في تلك الليلة، ولما لم يتفق ما توقعته من رجوعهم إليها؛ ساق الله إليها من حملها بغير حول منها ولا قوة».

(١) قال الحافظ (٨/ ٤٦١): «يحتمل أن يكون سبب النوم: شدة الغم الذي حصل لها في تلك الحالة، ومن شأن الغم-وهو وقوع ما يكره-: غلبة النوم؛ بخلاف الهم- وهو توقع ما يكره-؛ فإنه يقتضي السهر. أو لما وقع من برد السَّحَر لها، مع رطوبة بدنها وصغر سنها. أو أن الله -سبحانه وتعالى- لطف بها، فألقى عليها النوم؛ لتستريح من وحشة الانفراد في البرية بالليل».

وانظر: «بهجة النفوس» (٣/ ٤٩-٥٠).

(٢) هو بفتح الطاء المهملة المشددة، قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٧/ ١٠٥): «بلا خلاف».

(٣) بضم المهملة.

(٤) هو صفوان بن المعطل بن رخصة المؤمل بن خزاعي بن محارب بن مرة بن هلال ابن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور السلمي الذكواني. =

الجيش[١]، فأصبح [٢]عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم[٣]، فعرفني حين رآني[٤] -وكان يراني قبل الحجاب[٥]-، فاستيقظت باسترجاعه.....

= الذكواني: نسبة إلى ذكوان، وهم بطن من بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر؛ كما في «اللباب» لابن الأثير (١/ ٥٣١).

وكنيته: أبو عمرو؛ كما في «أسد الغابة» (٣/ ٣٠).

أسلم قبل المريسيع وشهدها، وهو ما يؤيده قول عائشة: «وكان يراني قبل أن يضرب عليَّ الحجاب».

استشهد -رضي الله عنه- في غزوة أرمينية، سنة تسع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب، وكان أمير الجيش يومئذ عثمان بن أبي العاص الثقفي، ويؤيده: ما جاء في حديث الإفك من تصريح عائشة -رضي الله عنها- بأنه قتل شهيداً في سبيل الله.

(١) قال الحافظ (٨/ ٤٦١-٤٦٢): «في رواية معمر: «قد عرّس من وراء الجيش»، وعرّس -بمهملات، مشدداً-؛ أي: نزل. قال أبو زيد: التعريس: النزول في السفر في أيّ وقت كان، وقال غيره: أصله النزول من آخر الليل في السفر للراحة.

ووقع في حديث ابن عمر بيان سبب تأخر صفوان، ولفظه: سأل النبي ﷺ أن يجعله على الساقة، فكان إذا رحل الناس؛ قام يصلي، ثم اتبعهم، فمن سقط له شيء أتاه به».

وقال الحافظ (٨/ ٤٧٩) -ضمن ذكر فوائد هذا الحديث-: «وفيه: جواز استعمال بعض الجيش ساقة يكون أميناً؛ ليحمل الضعيف، ويحفظ ما يسقط، وغير ذلك من المصالح ... وإغاثة الملهوف، وعون المنقطع، وإنقاذ الضائع».

وانظر: «بهجة النفوس» (٣/ ٥٠).

(٢) قال الحافظ (٨/ ٤٦٢): «وكأنه تأخر في مكانه حتى قرب الصبح، فركب ليظهر له ما يسقط من الجيش مما يخفيه الليل، ويحتمل أن يكون سبب تأخيره: ما جرت به عادته من غلبة النوم عليه».

(٣) قال الحافظ: «السواد يلفظ ضد البياض، يطلق على الشخص، أي شخص كان، فكأنها قالت: رأى شخص آدميٌّ؛ لكن لا يظهر: أهو رجل، أو امرأة؟».

(٤) هذا يشعر بأن وجهها انكشف لما نامت؛ لأنه تقدم: أنها تلففت بجلبابها ونامت، فلما انتبهت باسترجاع صفوان؛ بادرت إلى تغطية وجهها؛ قاله الحافظ.

(٥) قال الحافظ (٨/ ٤٦٢-٤٦٣): «أي: قبل نزول آية الحجاب، وهذا يدل على=

حين عرفني[(١)]؛ فخمرت وجهي.....

=قدم إسلام صفوان؛ فإن الحجاب كان في قول أبي عبيدة وطائفة: في ذي العقدة سنة ثلاث، وعند آخرين فيها سنة أربع؛ وصححه الدمياطي، وقيل: بل كان فيها سنة خمس، وهذا مما تناقض فيه الواقدي؛ فإنه ذكر أن المريسيع كان في شعبان سنة خمس، وأن الخندق كانت في شوال منها، وأن الحجاب كان في ذي العقدة منها مع روايته حديث عائشة -هذا-؛ وتصريحها فيه بأن قصة الإفك التي وقعت في المريسيع كانت بعد الحجاب، وسلم من هذا ابن إسحاق؛ فإن المريسيع عنده في شعبان، لكن سنة ست ... ومما يؤيد صحة ما وقع في هذا الحديث -أن الحجاب كان قبل قصة الإفك-: قول عائشة- أيضاً- في هذا الحديث: إن النبي ﷺ سأل زينب بنت جحش عنها، وفيه: «وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ»، وفيه: «وطفقت أختها حمنة تحارب لها»؛ فكل ذلك دال على أن زينب كانت حينئذ زوجته، لا خلاف أن آية الحجاب نزلت حين دخوله ﷺ بها؛ فثبت أن الحجاب كان قبل قصة الإفك.

وقد كنت أمليت في أوائل «كتاب الوضوء» [(١/ ٢٤٩)]: أن قصة الإفك وقعت قبل نزول الحجاب؛ وهو سهو، والصواب: بعد نزول الحجاب؛ فليصلح هناك».

وقال شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- في «مختصر صحيح البخاري» (٣/ ٥٣): «تعني: قبل نزول آية الحجاب: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

واعلم أن (الحجاب) في هذه الآية غير (الجلباب) في آية سورة النور؛ فالأول: والمرأة في بيتها تتستر بأي حاجز منفصل عنها؛ كالستارة المعلقة، أو الباب ونحوه، فهو كقوله -تعالى-: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِم حِجَاباً﴾ [مريم:١٧].

وأما الجلباب؛ فهو الثوب الذي تلتحف به المرأة إذا خرجت من دارها؛ فتنبه لهذا؛ فإن كثيراً ممن كتبوا في هذا الموضوع خلطوا بين (الحجاب) و(الجلباب)، وقد فرقت عائشة بينهما كما ترى».

(١) قال الحافظ (١/ ٤٦٣): «أي: بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون، وكأنه شق عليه ما جرى لعائشة، أو خشي أن يقع ما وقع، أو أنه اكتفى بالاسترجاع رافعاً به صوته عن مخاطبتها بكلام آخر؛ صيانة لها عن المخاطبة في الجملة...وفيه دلالة على فطنة صفوان، وحسن أدبه».

قلت: وفيه دلالة على استعمال الاسترجاع عند المصيبة؛ عملاً بقول الله -عز وجل-: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ [البقرة:١٥٦].

بجلبابي[١]، والله؛ ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته[٢]، فوطئ على يدها[٣]، فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود الراحلة[٤]

(١) أي: غطيت وجهي بالثوب الذي كان عليَّ.

وموقف عائشة -رضي الله عنها- عندما رأت صفوان بن المعطل السلمي تطبيق عملي لقوله تعالى:﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

قلت: وفي هذا دليل على جواز تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي، وأنه أمر مشروع معروف في عهد السلف، خلافاً لبعض الجهلة من معاصري هذا الزمان، الذين ادعوا- بلا علم، ولا حلم -حرمة تغطية المرأة وجهها!!

وغلا بعضهم؛ فأوجب على المرأة تغطية وجهها!

والحق وسط بين هذا وذاك: فهو سنة ومستحب ومندوب، كما بينه بدلائله وبراهينه شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- في كتابه: «جلباب المرأة المسلمة».

(٢) في رواية معمر بن راشد: «حين»، قال الحافظ ابن حجر (٨/ ٤٦٣): «وعلى التقديرين، فليس فيه نفي أنه كلمها بغير الاسترجاع؛ لأن النفي على رواية «حين» مقيد بحال إناخة الراحلة، فلا يمنع ما قبل الإناخة ولا ما بعدها، وعلى رواية «حتى»؛ معناها بجميع حالاته إلى أن أناخ، ولا يمنع ما بعد الإناخة.

وقد فهم كثير من الشراح أنها أرادت بهذه العبارة نفي المكالمة البتة، فقالوا: استعمل معها الصمت؛ اكتفاء بقرائن الحال، مبالغة منه في الأدب، وإعظاماً لها وإجلالاً. انتهى.

وقد وقع في رواية أبي أويس: فاسترجع، وأعظم مكاني -أي: حين رآني وحدي-، وقد كان يعرفني قبل أن يضرب علينا الحجاب، فسألني عن أمري، فسترت وجهي عنه بجلبابي، وأخبرته بأمري، فقرب بعيره، فوطئ على ذراعه فولاني قفاه وركب.

وفي حديث ابن عمر: فلما رآني ظن أني رجل، فقال: «يا نومان! قم؛ فقد سار الناس...».

(٣) قال الحافظ: «أي: ليكون أسهل لركوبها، ولا يحتاج إلى مسها عند ركوبها».

(٤) قال الحافظ (٨/ ٤٧٩) -ضمن ذكره فوائد هذا الحديث-: «وفيه: إكرام ذوي القدر، وإيثارهم بالركوب، وتجشم المشقة لأجل ذلك، وحسن الأدب مع الأجانب؛ خصوصاً النساء، ولا سيما في الخلوة، والمشي أمام المرأة؛ ليستقر خاطرها، وتأمن مما يتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها في حركة المشي».

حتى أتينا الجيش مُوغِرين[١] في نحر الظهيرة[٢].

قالت: فهلك مَنْ هلك[٣]، وكان الذي تولى كِبْر[٤] الإفك: عبدُ الله بن أُبَيٍّ ابنُ سَلُول[٥].

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٦٣-٤٦٤): «بضم الميم، وكسر الغين المعجمة، والراء المهملة؛ أي: نازلين في وقت الوَغْرة- بفتح الواو، وسكون الغين المعجمة-: وهي شدة الحر لما تكون الشمس في كبد السماء، ومنه أخذ وغر الصدر؛ توقده من الغيظ بالحقد، وأوغر فلان: إذا أدخل في ذلك الوقت؛ كأصبح وأمسى.

وقد وقع عند «مسلم» عن عبد بن حميد؛ قال: قلت لعبد الرزاق: ما قوله: «موغرين»؟ قال: الوغرة: شدة الحر.

ووقع في «مسلم» من طريق يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن كيسان: «موعزين» -بعين مهملة، وزاي-، قال القرطبي [في «المفهم» (٧/ ٣٦٨)]: كأنه من وعزت إلى فلان بكذا؛ أي: تقدمت، والأول أولى. قال: وصحَّفه بعضهم بمهملتين -موعرين!-؛ وهو غلط.

قلت: وروي: مغوِّر -بتقديم الغين المعجمة، وتشديد الواو-، والتغوير: النزول وقت القائلة.

ووقع في رواية فليح: «معرِّسين» -بفتح العين المهملة وتشديد الراء، ثم سين مهملة-، والتعريس: نزول المسافر في آخر الليل، وقد استعمل في النزول مطلقاً؛ وهو المراد هنا».

(٢) هو تأكيد لقوله: «موغرين»؛ فإن نحر الظهيرة أولها، وهو وقت شدة الحر، ونحر كل شيء أوله، كأن الشمس لما بلغت غايتها في الارتفاع؛ كأنها وصلت إلى النحر، الذي هو أعلى الصدر؛ قاله الحافظ (٨/ ٤٦٤).

قال الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٣٥-٣٦): «هذا الذي وقع لم يكن ريبة؛ وذلك أن مجيء أم المؤمنين راكبة جَهْرةً على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة، والجيش بكماله يشاهدون ذلك ورسول الله بين أظهرهم، لو كان هذا الأمر فيه ريبة؛ لم يكن هكذا جهرة، ولا كانا يُقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد، بل كان يكون هذا -لو قُدر- خفية مستورًا، فتعيَّن أن ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت، والقول الزور، والرعونة الفاحشة الفاجرة، والصفقة الخاسرة».

(٣) قال ابن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٣/ ٥١): «إنما أبهمت ذكر الهالكين، ولا ذكرت بما هلكوا؛ للعلم بذلك».

(٤) تولى؛ أي: تصدى لذلك وتقلده، وكِبر الإفك- بكسر الكاف-: معظمه.

(٥) قال الكرماني (١٨/ ٩-١٠): «برفع الابن؛ لأنه صفة لعبد الله لا لأبيٍّ، وسلول=

قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده، ويُقِرُّه[١] ويستمعه ويَستَوْشيه[٢].

قال عروة: لم يُسَمَّ من أهل الإفك إلا حسان بن ثابت، ومِسْطَح بن أُثاثة، وحَمْنة بنت جحش، في أناس آخرين لا علم لي بهم- ﴿عُصْبَةٌ﴾ [النور:١١]؛ كما قال الله -عز وجل-، وإن كِبْر ذلك كان يقال عند عبد الله بن أبي ابن سلول.

قال عروة: وكانت عائشة تكره أن يُسَبَّ عندها حسان بن ثابت؛ تقول: إنه الذي قال:

فـــإنَّ أبـــي ووالـــده وعرضـــي لعـــرض محمـــد مـــنكم وقـــاءُ[٣]

=غير منصرف؛ لأنه اسم أم عبد الله».

وانظر: «شرح صحيح مسلم» (١٧/ ١٠٥-١٠٦و١٠٩).

(١) بضم أوله وكسر القاف، ومنهم من ضبطه يَقُرُّه -بفتح أوله وضم القاف-.

(٢) أي: يستخرجه بالبحث عنه والتفتيش.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٣٣): «... ثم الأكثرون على أن المراد بذلك: إنما هو عبد الله بن أبي ابن سلول -قبحه الله تعالى ولعنه- وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد.

وقيل: بل المراد به: حسان بن ثابت؛ وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في «صحيح البخاري» ما قد يدل على ذلك؛ لما كان لإيراده كبير فائدة، فإنه من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن محاسنه أنه كان يذب عن رسول الله ﷺ بشعره، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: «هاجهم وجبريل معك».

وقال الأعمش: عن أبي الضحى، عن مسروق؛ قال: كنت عند عائشة -رضي الله عنها-، فدخل حسان بن ثابت، فأمرت فألقي له وسادة، فلما خرج قلت لعائشة: ما تصنعين بهذا؟ يعني: يدخل عليك -وفي رواية: قيل لها: أتأذنين لهذا يدخل عليك- وقد قال الله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؟ قالت: وأي عذاب أشد من العمى -وكان قد ذهب بصره-، لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم، ثم قالت: إنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ.

= وفي رواية: أنه أنشدها عندما دخل عليها شعراً يمتدحها به، فقال:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل.

فقالت: أما أنت، فلست كذلك.

وفي رواية: لكنك لست كذلك».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٤٨٥): «وفي رواية شعبة في الباب الذي يليه: «تدعين مثل هذا يدخل عليك، وقد أنزل الله:﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾؟! وهذا مشكل؛ لأن ظاهره أن المراد بقوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾: هو حسان بن ثابت، وقد تقدم قبل هذا: أنه عبد الله بن أبي؛ وهو المعتمد، وقد وقع في رواية أبي حذيفة عن سفيان الثوري عند أبي نعيم في «المستخرج»: «وهو ممن تولى كبره»؛ فهذه الرواية أخف إشكالاً».

قلت: الحق الذي لا مرية فيه، ولا شبهة تعتريه: أن الذي تولى كبر الإفك، هو: عبد الله ابن أبي ابن سلول -المنافق-، وبذلك تظاهرت الروايات في «البخاري» عن عائشة -رضي الله عنها-، وهي صاحبة القصة وأعلم الناس بأحداثها.

وكذلك ثبت في «البخاري» عن الزهري وهو أحد رواتها ونقلتها.

فإذا تبين ذلك؛ فما كنا بحاجة للكلام في هذا وتثبيته بالأدلة والبراهين بعد أن استفاض أن صاحب هذه المقالة الخبيثة التي تولى كبرها؛ هو رأس النفاق: عبد الله بن أبي؛ لولا ما ورد أن حسان بن ثابت ومسطح وحمنة ممن تولى كبر ذلك.

وقد أورد الطبري في «جامع البيان» (١٧/ ١٩٧) الأحاديث التي يفهم منها أن حسان ومسطحاً وحمنة كانوا ممن تولوا كبر الإفك، ثم قال: «وأولى القولين بالصواب: قول من قال: الذي تولى كبره من عصبة الإفك: عبد الله بن أبي».

وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي ابن سلول، وإذا كان كذلك؛ فالجمع أولى من نصب الإشكال والمعارضة بين الروايات؛ فإن عبد الله بن أبي هو الذي تولى كبره؛ فاخترع حادثة الإفك مع صحبة من المنافقين وروّجه في المدينة، وكان يصول ويجول، وهو الذي يجمع الناس في بيته ممن هم على شاكلته في الخبث والنفاق.

وكان يذيع ذلك ويردده مع عصابته وأهل بيته، ولما انتشر الكلام في ذلك من قبلهم، وكانوا يتناقلونه فيما بينهم؛ أثر ذلك في بعض المؤمنين الصادقين، وصاروا يتكلمون به.

هذا الذي استقر عليه رأي المحققين من أهل العلم، ويؤيده: أن الآية الكريمة هددت الذي تولى كبره بالعذاب: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. =

قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون[١] في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك[٢]، وهو يَريبني[٣] [في

= وهذا التهديد يتناسب مع نفاق عبد الله بن أبي، وأما من ذكر من الصحابة؛ كحسان، ومسطح، وحمنة -رضي الله عنهم-، المشهود لهم بالخير؛ فإنهم لا يدخلون في هذا الوعيد كما هو ظاهر، وإنما يدخلون في مثل قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَـٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:١٢].

فهذا عتاب للمؤمنين الذين تورطوا وانخدعوا بإشاعات النفاق وأكاذيب المرجفين.

والآيات التي تضمنت قصة الإفك واضحة في سياقها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾، والعصبة: من العشرة إلى الأربعين، بينما الصحابة الذين ذكروا في الإفك ثلاثة؛ فعلم أن المراد بالعصبة: المنافقون، ثم ذكرت الآيات الذي تولى كبره من هذه العصبة، ولا شك أن هذا السياق والسباق يدل على واحد من هذه العصبة ؛وهو عبد الله بن أبي ابن سلول.

وكان حسان -رضي الله عنه- مع مسطح وحمنة ممن سارعوا إلى تصديق الخبر، وكبير هؤلاء هو حسان، فهو ممن تولى كبره بالتبعية، لا أنهم تولوا كبره أصالة، وإنما الذي تولاه عبد الله بن أبي المنافق، لكنهم حين قالوا بمقالته؛ ذكروا معه تبعاً، فتكون كل رواية تخبر عن حال وعن مقال وعن مآل، وبذلك تجتمع الروايات[أ].

وهذا فهم أقوله تفقهاً واستنباطاً، فإن أصبت ووفقت؛ فمن الله وحده، وإلا؛ فمن نفسي والشيطان، والله أعلم.

(١) بضم أوله؛ أي: يخوضون، من أفاض في قول؛ إذا أكثر منه.

(٢) قال الحافظ (٨/ ٤٦٤-٤٦٥): «في رواية ابن إسحاق: وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبويَّ، ولا يذكرون لي شيئاً من ذلك». وفيه: «أنها مرضت بضعاً وعشرين ليلة».

وهذا فيه ردٌّ على ما وقع في مرسل مقاتل بن حيان: أن النبي ﷺ لما بلغه قول أهل الإفك-وكان شديد الغيرة-؛ قال: «لا تدخل عائشة رحلي»؛ فخرجت تبكي، حتى أتت أباها، فقال: أنا أحق أن أخرجك، فانطلقت تجول لا يؤويها أحد، حتى أنزل الله عذرها!!

وإنما ذكرته -مع ظهور نكارته-؛ لإيراد الحاكم له في «الإكليل»، وتبعه بعض من تأخر، غير متأمل لما فيه من النكارة والمخالفة للحديث الصحيح من عدة أوجه؛ فهو باطل».

(٣) بفتح أوله، ويجوز الضم؛ يعني: يوهمني ويشككني، وهو من الريب.

(أ) ذكرنا هذا من باب الإخبار عما وقع، وإلا فإن حسان ومن ذُكر معه من جلّة الصحابة -رضي الله عنهم- لا يذكرون إلا بالجميل، وبخاصة أن الأمر تابوا منه، ورجعوا، وحُدّوا عليه.

وجعي: أني لا أعرف][1] من رسول الله ﷺ اللطف[2] والبرُّ الذي كنت أرى منه حين أشتكي[3]، إنما دخل رسول الله ﷺ فيقول: «كيف تيكم[4]؟»، ثم ينصرف؛ فذلك الذي يريبني، ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت[5]، فخرجت مع أمِّ مِسْطَحٍ[6] قِبَل.....

(١) سقطت من «ظ»، والسياق يقتضيها، والتصويب والاستدراك من مصادر التخريج.

(٢) بضم أوله وسكون ثانيه، وبفتحهما؛ لغتان، والمراد: الرفق.

(٣) أي: حين أمرض.

قال الحافظ (٨/ ٤٧٩): «فيه ملاطفة الزوجة، وحسن معاشرتها، والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص وإن لم يتحقق، وفائدة ذلك: أن تتفطن لتغيير الحال؛ فتعتذر، أو تعترف.

وأنه لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤذي باطنه؛ لئلا يزيد ذلك في مرضه».

(٤) قال الحافظ (٨/ ٤٦٥): «بالمثناة المكسورة، وهي للمؤنث مثل ذاكم للمذكر، واستدلت عائشة بهذه الحالة على أنها استشعرت من رسول الله ﷺ بعض جفاء؛ ولكنها لما لم تكن تدري السبب: لم تبالغ في التنقيب عن ذلك حتى عرفته».

وقال -أيضاً- (٨/ ٤٧٩) -ضمن ذكره فوائده هذا الحديث-: «وفيه السؤال عن المريض، وإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة، فإذا كان السبب محققاً؛ فيترك أصلاً، وإن كان مظنوناً؛ فيخفف، وإن كان مشكوكاً فيه -أو محتملاً-؛ فيحسن التقليل منه، لا العمل بما قيل؛ بل لئلا يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه؛ لأن ذلك من خوارم المروءة».

(٥) قال الحافظ: «بفتح القاف، وقد تكسر؛ والأول أشهر، والناقه- بكسر القاف-: الذي أفاق من مرضه، ولم تتكامل صحته.

وقد أطلق الجوهري وغيره: أنه بفتح القاف وكسرها؛ لغتان في برأ من المرض، وهو قريب العهد لم يرجع إليه كمال صحته».

وانظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧/ ١٠٦).

(٦) قال الحافظ: «بسكون السين، وفتح الطاء بعدها حاء؛ مهملات، وقيل: اسمها سلمى، وفيه نظر؛ لأن سلمى اسم أم أبي بكر، ثم ظهر لي أن لا وهم فيه؛ فإن أم أبي بكر خالتها، فسميت باسمها».

المَنَاصِع[١]، وكان مُتَبرَّزَنا[٢]، وكنا لا نخرج إلا من ليل إلى ليل، وذلك قبل [أن تُتَّخَذَ][٣] الكُنُفُ[٤] قريباً من بيوتنا، وأمْرُنا أمْرُ العرب الأول[٥] في التنزه [٦] قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.

قالت: فانطلقت[٧].....

(١) أي: جهتها، وهي بفتح الميم والنون، وكسر الصاد المهملة، بعدها عين مهملة؛ جمع منصع -بوزن مقعد-: أماكن معروفة من ناحية البقيع، كانوا يتبرزون فيها. قال الداودي: سميت بذلك؛ لأن الإنسان ينصع فيها؛ أي: يخلص.

انظر: «الفتح» (١/ ٢٤٩).

(٢) قال الحافظ: «بفتح الراء قبل الزاي: موضع التبرز؛ وهو: الخروج إلى البراز؛ وهو: الفضاء.

وكله كناية عن الخروج إلى قضاء الحاجة».

قال ابن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٣/ ٥٣): «فيه صيانة اللسان عن ذكر المستقذرات، وحسن الكناية في ذلك؛ لأنها كنت عن ذكر قضاء الحاجة بقولها: متبرزنا».

وقد تصحفت الكلمة في «م» إلى: «متبرزاً»!!

(٣) سقطت من «ظ»، والسياق يقتضيها، والاستدراك من مصادر التخريج.

(٤) بضمتين، جمع كنيف: وهو الساتر، والمراد به هنا: المكان المتخذ لقضاء الحاجة.

(٥) قال الحافظ: «(الأول): بضم الهمزة وتخفيف الواو[أ]؛ صفة العرب، وبفتح الهمزة وتشديد الواو[أ]؛ صفة الأمر، قال النووي [في«شرح صحيح مسلم» (١٧/ ١٠٦-١٠٧)]: «كلاهما صحيح. تريد: أنهم لم يتخلقوا بأخلاق العجم».

قلت: ضبطه ابن الحاجب بالوجه الثاني، وصرح بمنع وصف الجمع باللفظ الأول، ثم قال: إن ثبتت الرواية؛ خرجت على أن العرب اسم جمع، تحته جموع؛ فتصير مفردة بهذا التقدير».

(٦) التنزه -بمثناة، ثم نون، ثم زاي ثقيلة-: طلب النزاهة، والمراد: البعد عن البيوت.

(٧) قال ابن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٣/ ٥٣): «فيه جواز خروج المرأة لقضاء حاجتها من غير أن تستأذن في ذلك؛ لأنها أخبرت أنها خرجت لذلك، ولم تذكر أنها استأذنت، ولأنها عادة تقدمت، وكل عادة مستمرة لا يحتاج فيها إلى الإذن».

.....

(أ) تحرفت في «مطبوع الفتح» إلى: «الراء»؛ فلتصحح.

أنا وأم مسطح[١]؛ وهي ابنة أبي رُهْم[٢] بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر[٣]- خالة أبي بكر الصديق-[٤]، وابنها مسطح بن أُثاثة[٥] بن عباد بن المطلب-، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا[٦]، فعثرت[٧] أم مسطح في مرطها[٨]، فقالت: تعس[٩] مسطح!، فقلت لها: بئس ما

(١) قال الحافظ (٨/ ٤٧٩): «فيه أن المرأة إذا خرجت لحاجة تستصحب من يؤنسها، أو يخدمها ممن يؤمن عليها».

(٢) بضم الراء، وسكون الهاء، اسمه: أنيس.

(٣) ابن كعب بن سعد بن تيم، من رهط أبي بكر، ووقع في الأصل«ظ»: «وأمها أم صخر بنت عامر!»؛ وهو خطأ، والتصويب من مصادر التخريج، ووقع في «ح»: «وأمها أم محمد بنت عامر»! وهو خطأ.

(٤) قال الحافظ: «اسمها: رائطة؛ حكاه أبو نعيم (الأصبهاني)».

(٥) بضم الهمزة، ومثلثتين- الأولى خفيفة-، بينهما ألف، ابن عباد بن المطلب. ومسطح: لقب، واسمه: عوف، وقيل: عامر، والأول هو المعتمد ... وكان هو وأمه من المهاجرين الأولين، وكان أبوه مات وهو صغير، فكفله أبو بكر؛ لقرابة أم مسطح منه، وكانت وفاته سنة أربع وثلاثين، وقيل: سبع وثلاثين بعد أن شهد صفين مع علي؛ قاله الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٦٥-٤٦٦).

(٦) قال الحافظ (٨/ ٤٦٦): «وهذا ظاهره أنها عثرت بعد أن قضت عائشة حاجتها، ثم أخبرتها الخبر بعد ذلك؛ لكن في رواية هشام بن عروة الآتية قريباً -وهي برقم (٢) من هذا الجزء-: أنها عثرت قبل أن تقضي عائشة حاجتها، وأنها لما أخبرتها الخبر رجعت كأن الذي خرجت له لا تجد منه قليلاً ولا كثيراً... ويجمع بينهما: بأن معنى قولها: «وقد فرغنا من شأننا»؛ أي: من شأن المسير، لا قضاء الحاجة».

(٧) بالمهملة والمثلثة.

(٨) بكسر الميم؛ كساء من صوف، وقد يكون من غيره.

(٩) قال الحافظ: «بفتح المثناة، وكسر العين المهملة، وبفتحها- أيضاً-، بعدها سين مهملة؛ أي: كب لوجهه، أو هلك ولزمه الشر، أو بَعُدَ...

قال أبو محمد بن أبي جمرة [في «بهجة النفوس» (٣/ ٥٤- بتصرف)]: يحتمل أن يكون قول أم مسطح -هذا- عمداً؛ لتتوصل إلى إخبار عائشة بما قيل فيها وهي غافلة، ويحتمل أن=

قلت؛ أتسُبِّينَ رجلاً شهد بدراً؟![1] قالت: أي هنتاه![2] ألم تسمعي ما قال؟ قالت: (قلت)[3]: وما قال؟! فأخبرتني بقول أهل الإفك[4]، قالت: فازددت مرضاً على مرضي[5].

=يكون اتفاقاً أجراه الله على لسانها؛ لتستيقظ عائشة من غفلتها عما قيل فيها».

وقال -أيضاً- (٨/ ٤٨٠): «وفيه إطلاق السبّ على لفظ الدعاء بالسوء على الشخص».

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٧٩-٤٨٠): «فيه ذب المسلم عن المسلم، خصوصاً من كان من أهل الفضل، وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل.

وبيان مزيد فضيلة أهل بدر ... وفيه تقوية لأحد الاحتمالين في قوله ﷺ عن أهل بدر: «إن الله قال لهم: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم»، وأن الراجح: أن المراد بذلك: أن الذنوب تقع منهم؛ لكنها مقرونة بالمغفرة، تفضيلاً لهم على غيرهم؛ بسبب ذلك المشهد العظيم، ومرجوحية القول الآخر: أن المراد: أن الله -تعالى-عصمهم، فلا يقع منهم ذنب؛ نبه على ذلك: الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة -نفع الله به-».

وانظر: «الفتح» (٨/ ٦٣٥).

(٢) قال الحافظ (٨/ ٤٦٦): «(أي): حرف نداء للبعيد، وقد يستعمل للقريب حيث ينزله منزلة البعيد، والنكتة فيه هنا: أن أم مسطح نسبت عائشة إلى الغفلة عما قيل فيها؛ لإنكارها سب مسطح، فخاطبتها خطاب البعيد.

و(هنتاه): بفتح الهاء، وسكون النون- وقد تفتح- بعدها مثناة، وآخره هاء ساكنة-وقد تضم-؛ أي: هذه، وقيل: امرأة، وقيل: بلهى، كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس.

وهذه اللفظة تختص بالنداء، وهي عبارة عن كل نكرة. وإذا خوطب المذكر؛ قيل: يا هنه، وقد تشبع النون؛ فيقال: يا هناه، وحكى بعضهم تشديد النون فيه؛ وأنكره الأزهري».

قلت: وقد تحرفت هذه اللفظة في «م» إلى: «أهنتاه!».

(٣) سقطت من «ح».

(٤) قال الحافظ (٨/ ٤٨٠) -ضمن ذكره فوائد هذا الحديث-: «فيه فضيلة قوية لأم مسطح؛ لأنها لم تحاب ولدها في وقوعه في حق عائشة، بل تعمدت سبه على ذلك».

(٥) انظر حديث (رقم ٧) من هذا الجزء.

فلما رجعت إلى بيتي[١]؛ دخل عليَّ رسول الله ﷺ، فسلَّم، ثم قال: «كيف تيكم؟»، فقلت: ائذن لي آتي أبويَّ[٢]، قالت: وأنا أريد أن أتيقن[٣] الخبر من قبلهما[٤]، قال: فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبوي، فقلت: (يا أمي)![٥] ماذا يتحدث به الناس[٦]؟ قالت: يا بنية! هوِّني[٧] عليك؛ فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة[٨] عند رجل يحبها، لها ضرائر[٩]، إلا أكثرن.....

(١) أي: استقريت فيه.

(٢) قال الحافظ (٨/ ٤٨٠) -ضمن ذكره فوائد هذا الحديث-: «فيه توقف خروج المرأة من بيتها على إذن زوجها؛ ولو كانت إلى بيت أبيها».

(٣) في «ح»: «استيقن».

(٤) قال الحافظ (٨/ ٤٨٠): «فيه البحث عن الأمر المقول ممن يدل عليه المقول فيه، والتوقف في خبر الواحد ولو كان صادقاً، وطلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين، وأن خبر الواحد إذا جاء شيئاً بعد شيء أفاد القطع؛ لقول عائشة: «لأستيقن الخبر من قبلهما»، وأن ذلك لا يتوقف على عدد معين».

(٥) سقطت من «ح».

(٦) قال الحافظ (٨/ ٤٨٠): «فيه استشارة المرء أهل بطانته ممن يلوذ به بقرابة وغيرها، وتخصيص من جربت صحة رأيه منهم لذلك ولو كان غيره أقرب».

(٧) خففي.

(٨) قال الحافظ (٨/ ٤٦٧): «بوزن عظيمة، من الوضاءة؛ أي: حسنة جميلة،وعند مسلم من رواية ابن ماهان: «حظية»- بمهملة، ثم معجمة- من الحظوة؛ أي: رفيعة المنزلة، وفي رواية هشام: «ما كانت امرأة حسناء».

قال الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٤٠): «وكانت امرأة بيضاء جميلة، ومن ثم يقال لها: الحميراء. ولم يتزوج النبي ﷺ بكراً غيرها، ولا أحب امرأة حبها ...».

(٩) جمع ضرة -بالفتح-، وقيل للزوجات: ضرائر؛ لأن كل واحدة يحصل لها الضرر من الأخرى، بالغيرة والقسم وغيره.

عليها[١]، قالت: فقلت: سبحان الله[٢]! أو قد تحدث الناس بهذا[٣]؟!

قالت: فبكيت تلك الليلة؛ حتى أصبحت لا يرقأ[٤] لي دمع، ولا أكتحل بنوم[٥]. قالت: فأصبحت أبكي، ودعا[٦] رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب

(١) أي: أكثرن القول في عيبها ونقصها.

قال الحافظ (٨/ ٤٦٧): «وفي هذا الكلام من فطنة أمها وحسن تأتيها في تربيتها مالا مزيد عليه؛ فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها، فهوّنت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تنفرد بذلك؛ لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له، وأدمجت في ذلك ما تطيب به خاطرها من أنها فائقة الجمال والحظوة، وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به، مع ما فيه من الإشارة إلى ما وقع من حمنة بنت جحش، وأن الحامل لها على ذلك كون عائشة ضرة أختها زينب بنت جحش، وعرف من هذا: أن الاستثناء في قولها: «إلا أكثرن عليها» متصل؛ لأنها لم تقصد قصتها بعينها؛ بل ذكرت شأن الضرائر، وأما ضرائرها هي؛ فإنهن وإن كن لم يصدر منهن في حقها شيء مما يصدر من الضرائر؛ لكن لم يعدم ذلك مما هو منهن بسبيل- كما وقع من حمنة-؛ لأن ورع أختها منعها من القول في عائشة كما منع بقية أمهات المؤمنات، وإنما اختصت زينب بالذكر؛ لأنها التي كانت تضاهي عائشة في المنزلة».

(٢) استغاثت بالله متعجبة من وقوع مثل ذلك في حقها، مع براءتها المحققة عندها.

قال الحافظ (٨/ ٤٨٠): «وفيه مشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب؛ وتوجيهه هنا، أنه -سبحانه وتعالى- يتنزه أن يحصل لقرابة رسول الله ﷺ تدنيس، فيشرع شكره بالتنزيه في مثل هذا، نبه عليه أبو بكر بن العربي».

(٣) انظر حديث (رقم ١١) من هذا الجزء.

(٤) لا يرقأ- بالقاف بعدها همزة-؛ أي: لا ينقطع.

(٥) ولا أكتحل بنوم: استعارة للسهر.

(٦) في رواية معمر وغيره: «فدعا»؛ بالفاء.

قال الحافظ (٨/ ٤٦٨): «هذا ظاهره أن السؤال وقع بعدما علمت بالقصة؛ لأنها عقبت بكاؤها تلك الليلة بهذا، ثم عقبت هذا بالخطبة. ورواية هشام بن عروة تشعر بأن السؤال والخطبة وقعا قبل أن تعلم عائشة بالأمر؛ فإن في أول رواية هشام عن أبيه عن عائشة: «لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به؛ قام رسول الله ﷺ خطيباً..» فذكر قصة الخطبة الآتية.

ويمكن الجمع بأن الفاء في قوله: «فدعا» عاطفة على شيء محذوف تقديره: وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك قد سمع ما قيل، فدعا علياً».

وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي[١]؛ يستشيرهما في فراق أهله[٢].

فأما أسامة بن زيد؛ فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، والذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: يا رسول الله! أهْلَكَ[٣]، ولا نعلم إلا خيراً[٤].

وأما عليٌّ بن أبي طالب؛ فقال: يا رسول الله! لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك[٥].....

(١) بالرفع؛ أي: طال لبث نزوله، وبالنصب؛ أي: استبطأ النبي ﷺ نزوله.

(٢) قال الحافظ (٨/ ٤٦٨): «عدلت عن قولها: في فراقي، إلى قولها: فراق أهله؛ لكراهتها التصريح بإضافة الفراق إليها».

(٣) قال الحافظ (٨/ ٤٦٨): «بالرفع؛ فإن رواية معمر: «هم أهلك»، ولو لم تقع هذه الرواية؛ لجاز النصب؛ أي: أمسك، ومعناه: هم أهلك؛ أي: العفيفة اللائقة بك، ويحتمل أن يكون قال ذلك متبرئاً من المشورة، ووكل الأمر إلى رأي النبي ﷺ، ثم لم يكتف بذلك حتى أخبر بما عنده، فقال: «لا نعلم إلا خيراً».

وإطلاق الأهل على الزوجة شائع، قال ابن التين: أطلق عليها أهلاً وذكرها بصيغة الجمع، حيث قال: «هم أهلك»؛ إشارة إلى تعميم الأزواج بالوصف المذكور، انتهى. ويحتمل أن يكون جمع؛ لإرادة تعظيمها».

(٤) قال الحافظ (٨/ ٤٨٠) -ضمن ذكره فوائد هذا الحديث-: «فيه استعمال: «لا نعلم إلا خيراً» في التزكية، وأن ذلك كاف في حق من سبقت عدالته ممن يطلع على خفي أمره».

(٥) قال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» (٥/ ٦٣٤): «الذي قاله علي -رضي الله عنه- هو الصواب: في حقه ﷺ؛ لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ﷺ في اعتقاده، ولم يكن ذلك في نفس الأمر؛ لأنه رأى انزعاج النبي ﷺ بهذا الأمر، وقلقه، فأراد راحة خاطره، وكان ذلك أهم من غيره».

قال الإمام ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٣/ ٢٦٠-٢٦١): «فأشار عليه عليٌّ -رضي الله عنه- أن يفارقها، ويأخذ غيرها تلويحاً لا تصريحاً، وأشار عليه أسامة وغيره بإمساكها، وألا يلتفت إلى كلام الأعداء.

فعليٌّ لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه؛ أشار بترك الشك والريبة إلى اليقين؛ ليتخلص رسول الله ﷺ من الهم والغم الذي لحقه من كلام الناس، فأشار بحسم الداء، وأسامة لما علم حب رسول الله ﷺ لها ولأبيها، وعلم من عفتها وبراءتها وحصانتها وديانتها ما هي فوق ذلك وأعظم منه، وعرف من كرامة رسول الله ﷺ على ربه، ومنزلته عنده، ودفاعته عنه؛ أنه لا يجعل ربة بيته وحبيبته من النساء، وبنت صديقه بالمنزلة التي أنزلها به أرباب الإفك، وأن=

=رسول الله ﷺ أكرم على ربه، وأعز عليه من أن يجعل تحته امرأة بغياً،وعلم أن الصديقة حبيبة رسول الله ﷺ أكرم على ربها من أن يبتليها بالفاحشة وهي تحت رسوله.

ومن قويت معرفته لله، ومعرفته لرسوله وقدره عند الله في قلبه؛ قال كما قال أبو أيوب وغيره من سادات الصحابة لما سمعوا ذلك: ﴿سُبْحَانَكَ هَـٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦].

وتأمل ما في تسبيحهم لله، وتنزيههم له في هذا المقام من المعرفة به، وتنزيهه عما لا يليق به؛ أن يجعل لرسوله وخليله وأكرم الخلق عليه امرأة خبيثاً بغياً، فمن ظن به -سبحانه- هذا الظن؛ فقد ظن به ظن السوء.

وعرف أهل المعرفة بالله ورسوله أن المرأة الخبيثة لا تليق إلا بمثلها؛ كما قال -تعالى-: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور:٢٦]، فقطعوا قطعاً لا يشكون فيه: أن هذا بهتان عظيم، وفرية ظاهرة».

وقال الحافظ ابن حجر (٨/ ٤٦٨-٤٦٩): «وهذا الكلام الذي قاله عليٌّ حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ؛ لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان ﷺ شديد الغيرة، فرأى عليٌّ أنه إذا فارقها؛ سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها فيمكن رجعتها، ويستفاد منه: ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما.

وقال النووي [في «شرح صحيح مسلم» (١٧/ ١٠٨)]: رأى عليٌّ أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة؛ لإرادة راحة خاطره ﷺ.

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة [في «بهجة النفوس» (٣/ ٥٨)]: لم يجزم عليٌّ بالإشارة بفراقها؛ لأنه عقب ذلك بقوله: «وسل الجارية تصدقك»؛ ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ﷺ، فكأنه قال: إن أردت تعجيل الراحة؛ ففارقها، وإن أردت خلاف ذلك؛ فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطلع على براءتها؛ لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة.

والعلة في اختصاص علي وأسامة بالمشاورة: أن علياً كان عنده كالولد؛ لأنه رباه من حال صغره ثم لم يفارقه، بل وازداد اتصاله بتزويج فاطمة؛ فلذلك كان مخصوصاً بالمشاورة فيما يتعلق بأهله؛ لمزيد اطلاعه على أحواله أكثر من غيره، وكان أهل مشورته فيما يتعلق بالأمور العامة أكبر أكابر الصحابة؛ كأبي بكر وعمر. وأما أسامة؛ فهو كعليّ في طول الملازمة، ومزيد الاختصاص والمحبة؛ ولذلك كانوا يطلقون عليه أنه حب رسول الله ﷺ، وخصه دون أبيه وأمه؛ لكونه كان شاباً- كعليٍّ، وإن كان عليٌّ أسن منه-؛ وذلك أن=

=للشاب من صفاء الذهن ما ليس لغيره، ولأنه أكثر جرأة على الجواب بما يظهر له من المُسن؛ لأن المُسن- غالباً- يحسب العاقبة، فربما أخفى بعض ما يظهر له؛ رعاية للقائل تارة، والمسؤول عنه أخرى، مع ما ورد في بعض الأخبار أنه استشار غيرهما».

قلت: وقد وقع بسبب هذا الكلام من علي- رضي الله عنه- نسبة عائشة إياه إلى الإساءة في شأنها؛ كما أخرج البخاري في «صحيحه» (٧/ ٤٣٥/ ٤١٤٢) من طريق الزهري؛ قال لي الوليد بن عبد الملك: أبلغك أن علياً كان فيمن قذف عائشة؟ قلت: لا؛ ولكن قد أخبرني رجلان من قومك- أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن عبد الرحمن-: أن عائشة -رضي الله عنها- قالت لهما: «كان عليٌّ مسلِّماً في شأنها».

قال الحافظ (٧/ ٤٣٧):«وإنما نسبته إلى الإساءة؛ لأنه لم يقل كما قال أسامة: «أهلك، ولا نعلم إلا خيراً»، بل ضيق على بريرة، وقال: لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، ونحو ذلك من الكلام...

وكأن بعض من لا خير فيه من الناصبة تقرب إلى بني أمية بهذه الكذبة، فحرفوا قول عائشة إلى غير وجهه؛ لعلمهم بانحرافهم عن علي، فظنوا صحتها، حتى بيَّن الزهري للوليد أن الحق خلاف ذلك، فجزاه الله -تعالى- خيراً»[1]. =

.....

(أ) وقد زعمت طوائف من المبتدعة: أن هذه الإساءة الموهومة من علي -رضي الله عنه- كانت سبباً لخروج عائشة يوم الجمل للانتقام منه!

قلت: سبحانك هذا بهتان عظيم، وإفك آخر مبين.

فإن عائشة -رضي الله عنها- ومن معها من كبار الصحابة وبخاصة طلحة والزبير إنما خرجوا؛ ليتمكنوا من قتلة عثمان، وأرادوا أن يتفقوا مع علي -رضي الله عنه- على الطريقة التي يتوصلون بها إلى ذلك، وهذا ما سعى به القعقاع بن عمرو -رضي الله عنه-، وقبله الطرفان.

ولم ينقل أحد عن عائشة ومن معها أنهم نازعوا علياً في الخلافة، ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة.

ومع ذلك فـ «لا نشك أن خروج أم المؤمنين كان خطأ من أصله، ولذلك همت بالرجوع حين علمت بتحقق نبوءة النبي ﷺ عند الحواب؛ ولكن الزبير -رضي الله عنه- أقنعها بترك الرجوع بقوله: «عسى الله أن يصلح بك بين الناس»، ولا شك أنه كان مخطئاً في ذلك -أيضاً-، والعقل يقطع بأنه لا مناص من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئات القتلى، ولا شك أن عائشة -رضي الله عنها- هي المخطئة؛ لأسباب كثيرة، وأدلة واضحة؛ منها ندمها على خروجها، وذلك هو اللائق بفضلها وكمالها، وذلك مما يدل على أن خطأها من الخطأ المغفور؛ بل المأجور. =

= وبهذا يتضح عذر علي -رضي الله عنه-، وأنه خلاف ما وصفه به بعض النواصب عند خلفاء بني أمية، وعلى خلاف ظن عائشة -رضي الله عنها-؛ فإنها عدته مسيئاً حيث لم يجزم بما جزم به أسامة -رضي الله عنه-.

وقال الحافظ (٨/ ٤٨٠) -ضمن ذكره فوائد هذا الحديث-: «فيه التثبيت في الشهادة، وفطنة الإمام عند الحادث المهم، والاستنصار بالأخصاء على الأجانب، وتوطئة العذر لمن يراد إيقاع العقاب به، أو العتاب له، واستشارة الأعلى لمن هو دونه».

.....

= قال الإمام الزيلعي في «نصب الراية» (٤/ ٦٩-٧٠): «وقد أظهرت عائشة الندم؛ كما أخرجه ابن عبد البر في «كتاب الاستيعاب» عن ابن أبي عتيق -وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر-؛ قال: قالت عائشة لابن عمر: «يا أبا عبد الرحمن! ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً غلب عليك -يعني: ابن الزبير- فقالت: أما والله؛ لو نهيتني ما خرجت.

ولهذا الأثر طريق أخرى، فقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (ص ٧٨-٧٩): «وروى اسماعيل ابن علية، عن أبي سفيان، عن العلاء المازني عن ابن أبي عتيق؛ قال: قالت عائشة: إذا مر ابن عمر، فأرنيه، فلما مر بها؛ قيل لها: هذا ابن عمر، فقالت: يا أبا عبد الرحمن! ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً قد غلب عليك -يعني: ابن الزبير-.

وقال أيضاً:

«إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس قال: قالت عائشة -وكانت تحدث نفسها أن تدفن في بيتها، فقالت: إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثاً، ادفنوني مع أزواجه، فدفنت بالبقيع -رضي الله عنها-. قلت: تعني بالحدث: مسيرها يوم الجمل، فإنها ندمت ندامة كلية، وتابت من ذلك، على أنها ما فعلت ذلك إلا متأولة قاصدة للخير؛ كما اجتهد طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وجماعة من الكبار -رضي الله عن الجميع-».

وأخرج البخاري في «صحيحه» عن أبي وائل قال: ولما بعث علي عماراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم؛ خطب عمار، فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة؛ ولكن الله ابتلاكم لتبعوه، أو إياها».

يعني: عائشة، وكانت خطبته قبل وقعة الجمل؛ ليكفهم عن الخروج معها -رضي الله عنها-»؛ قاله شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- في «الصحيحة» (١/ ٢/ ٨٥٤-٨٥٥).

وموقف علي -رضي الله عنه- من عائشة بعد موقعة الجمل يدل على عدم وجود حقد بينهما أو تصفية حسابات على دعوى الباطنية الخبيثة، فقد جهزها وأعطاها ما تحتاج إليه، وأعادها معززة مكرمة إلى مدينة رسول الله ﷺ، وكان هذا من أسباب نقمة الخوارج المارقين على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-.

كل هذا يدل على أن ما وقع بين الصحابة عن اجتهاد وتأويل، وليس عن حقد دفين -رضي الله عنهم-.

فدعا رسول الله ﷺ بريرة[1]، فقال: «أي بريرة! هل رأيت شيئاً يريبك؟»، قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق؛.....

(١) قال الإمام ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٣/ ٢٦٨):«ومما وقع -يعني: من الإشكالات- في حديث الإفك: أن في بعض طرقه: أن علياً قال للنبي ﷺ- لما استشاره-: سل الجارية تصدقك، فدعا بريرة، فسألها، فقالت: ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على التبر- أو كما قالت-، وقد استشكل هذا؛ فإن بريرة إنما كاتبت وعتقت بعد هذا بمدة طويلة، وكان العباس -عم رسول الله ﷺ- إذ ذاك في المدينة، والعباس إنما قدم المدينة بعد الفتح؛ ولهذا قال له النبي ﷺ- وقد شفع إلى بريرة أن تراجع زوجها فأبت أن تراجعه-: «يا عباس! ألا تعجب من بغض بريرة مغيثاً وحبه لها».

وقال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٦٩):«وقد قيل[أ]: إن تسميتها هنا وهم؛ لأن قصتها كانت بعد فتح مكة».

وكذا ذكر هذا الإشكال الحافظ صلاح الدين العلائي الكيكلدي في «كتاب التنبيهات المجملة على المواضع المشكلة» (٥٧-٥٨/ ٥).

وقد أجيب عن هذا الإشكال بعدة أجوبة:

قال الحافظ: «ويمكن الجواب بأن تكون بريرة كانت تخدم عائشة وهي في رق مواليها، وأما قصتها معها في مكاتبتها وغير ذلك؛ فكان بعد ذلك بمدة، أو أن اسم هذه الجارية المذكورة في قصة الإفك وافق اسم بريرة التي وقع لها في التخيير، وجزم البدر الزركشي في «ما استدركته عائشة على الصحابة»: أن تسمية هذه الجارية ببريرة مدرجة من بعض الرواة، وأنها جارية أخرى، وأخذه من ابن القيم الحنبلي، فإنه قال: تسميتها ببريرة وهم من بعض الرواة؛ فإن عائشة إنما اشترت بريرة بعد الفتح، ولما كاتبتها عقب شرائها وعتقت؛ خيرت، فاختارت نفسها؛ فظن الراوي أن قول علي: (وسل الجارية تصدقك): أنها بريرة، فغلط، قال: وهذا نوع غامض لا يتنبه له إلا الحذاق.

قلت: وقد أجاب غيره بأنها كانت تخدم عائشة بالأجرة وهي في رق مواليها قبل وقوع قصتها في المكاتبة، وهذا أولى من دعوى الإدراج وتغليط الحفاظ». =

.....

(أ) دقق النظر في هذه اللفظة، فالحافظ -رحمه الله- لدقة نظره: علم أن ما استشكل هنا ليس بقوي؛ فصدره بصيغة التمريض.

ما رأيت عليها قط أمراً[١] أغمصه[٢] أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها[٣]، فتأتي الداجن[٤] فتأكله.

= قلت: رحم الله الحافظ! فقد فاته جواب يزول به الإشكال دون خلاف، ذكره ابن القيم- نفسه- في «زاد المعاد» (٣/ ٢٦٨)، فقال: «وهذا الذي ذكروه إن كان لازماً؛ فيكون الوهم من تسمية الجارية بريرة، ولم يقل له علي: سل بريرة، وإنما قال: (فسل الجارية تصدقك)، فظن بعض الرواة أنها بريرة، فسماها بذلك، وإن لم يلزم؛ بأن يكون طلب مغيث لها استمر إلى بعد الفتح، ولم ييأس منها؛ زال الإشكال، والله أعلم».

وهذا عين ما أجاب به الحافظ العلائي في «التنبيهات المجملة» (ص٥٨)، فقال- بعد ذكر بعض الأجوبة المتقدمة-: «فلم يبق إلا أن حُبَّ زوجها استمر زمناً طويلاً، وبه يزول الإشكال، والله أعلم».

وانظر: «الفتح» (٩/ ٤٠٩).

(١) قال الحافظ (٨/ ٤٧٠): «أي: ما رأيت فيها مما تسألون عنه شيئاً أصلاً، وأما من غيره؛ ففيها ما ذكرت من غلبة النوم؛ لصغر سنها، ورطوبة بدنها».

(٢) بغين معجمة، وصاد مهملة؛ أي: أعيبه.

ووقع في «م»: «أغمضه»؛ بضاد معجمة، وهو تصحيف.

(٣) قال الحافظ (٨/ ٤٧٠): «قال ابن المنيِّر في «الحاشية»: هذا من الاستثناء البديع الذي يراد به المبالغة في نفي العيب، فغفلتها عن عجينها أبعد لها من مثل الذي رميت به، وأقرب إلى أن تكون من الغافلات المؤمنات، وكذا في قولها في رواية هشام بن عروة: ما علمت منها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر»؛ أي: كما لا يعلم الصائغ من الذهب الأحمر إلا الخلوص من العيب؛ فكذلك أنا لا أعلم منها إلا الخلوص من العيب. وفي رواية ابن حاطب عن علقمة [عند ابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ١٢٦)]: فقالت الجارية الحبشية: والله لعائشة أطيب من الذهب، ولئن كان ما صنعت ما قال الناس؛ ليخبرنك الله. قالت: فعجب الناس من فقهها».

وقال الحافظ (٨/ ٤٨٠) -ضمن ذكره فوائد هذا الحديث-: «فيه: أن من استفسر عن حال شخص، فأراد بيان ما فيه من عيب؛ فليقدم ذكر عذره في ذلك إن كان يعلمه؛ كما قالت بريرة في عائشة، حيث عابتها بالنوم عن العجين، فقدمت قبل ذلك: أنها جارية حديثة السن».

(٤) هي بدال مهملة، ثم جيم: الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى، وقيل: هي كل ما يألف البيوت مطلقاً؛ شاة، أو طيراً.

فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستَعْذَر[١] من عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول وهو على المنبر، فقال: «يا معشر المسلمين! من يعذرني من رجل[٢] قد بلغني[٣] أذاه في أهلي؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت منه إلا خيراً، وما دخل على أهلي إلا معي».

فقام سعد بن معاذ[٤].....

(١) قال الحافظ (٨/ ٤٧٠): «أي: طلب من يعذر منه؛ أي: ينصفه.

قال الخطابي: يحتمل أن يكون معناه: من يقوم بعذره فيما رمى أهلي به من المكروه، ومن يقوم بعذري إذا عاقبته على سوء ما صدر منه؟

ورجح النووي هذا الثاني.

وقيل: معنى «من يعذرني»: من ينصرني، والعزيز: الناصر، وقيل: المراد: من ينتقم لي منه؟ وهو كالذي قبله، ويؤيده: قول سعد: أنا أعذرك منه».

(٢) من ينصرني عليه.

(٣) في «م»: «بلغ»، وهو تحريف.

(٤) قال الإمام ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٣/ ٢٦٥-٢٦٦): «وقد أشكل هذا على كثير من أهل العلم؛ فإن سعد بن معاذ لا يختلف أحد من أهل العلم: أنه توفي عقيب حكمه في بني قريظة، -عقيب الخندق-، وذلك سنة خمس على الصحيح، وحديث الإفك لا شك أنه في غزوة بني المصطلق هذه، وهي غزوة المريسيع، والجمهور عندهم: أنها كانت بعد الخندق سنة ست؛ فاختلفت طرق الناس في الجواب عن هذا الإشكال:

فقال موسى بن عقبة: غزوة المريسيع كانت سنة أربع قبل الخندق؛ حكاه عنه البخاري.

وقال الواقدي: كانت سنة خمس، قال: وكانت قريظة والخندق بعدها.

وقال القاضي إسماعيل بن إسحاق: اختلفوا في ذلك، والأولى أن تكون المريسيع قبل الخندق.

وعلى هذا؛ فلا إشكال، ولكن الناس على خلافه. وفي حديث الإفك ما يدل على خلاف ذلك- أيضاً-؛ لأن عائشة قالت: إن القضية كانت بعدما أنزل الحجاب، وآية الحجاب نزلت في شأن زينب بنت جحش، وزينب إذ ذاك كانت تحته؛ فإنه ﷺ سألها عن عائشة، فقالت: أحمي سمعي وبصري، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ. =

= وقد ذكر أرباب التواريخ: أن تزويجه بزينب كان في ذي القعدة سنة خمس، وعلى هذا؛ فلا يصح قول موسى بن عقبة[أ].

وقال محمد بن إسحاق: إن غزوة بني المصطلق كانت في سنة ست بعد الخندق، وذكر فيها حديث الإفك؛ إلا أنه قال: عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، فذكر الحديث... فقال: فقام أسيد بن الحضير، فقال: أنا أعذرك منه، فرد عليه سعد بن عبادة، ولم يذكر سعد بن معاذ.

قال أبو محمد بن حزم: وهذا هو الصحيح الذي لا شك فيه، وذكر سعد بن معاذ وهم؛ لأن سعد بن معاذ مات إثر فتح بني قريظة بلا شك، وكانت في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة، وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد سنة وثمانية أشهر من موت سعد[ب]، وكانت المقاولة بين الرجلين المذكورين بعد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة».

وقال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٧١-٤٧٢): «قال عياض [في «إكمال المعلم» (٨/ ٣٠١-٣٠٣)]: في ذكر سعد بن معاذ في هذا الحديث إشكال لم يتكلم الناس عليه، ونبهنا عليه بعض شيوخنا؛ وذلك أن الإفك كان في المريسيع وكانت سنة ست فيما ذكر ابن إسحق، وسعد بن معاذ مات من الرمية التي رميها بالخندق، فدعا الله فأبقاه حتى حكم في بني قريظة، ثم انفجر جرحه فمات منها، وكان ذلك سنة أربع عند الجميع؛ إلا ما زعم الواقدي أن ذلك كان سنة خمس، قال: وعلى كل تقدير؛ فلا يصح ذكر سعد بن معاذ في هذه القصة، والأشبه أنه غيره؛ ولهذا لم يذكره ابن إسحق في روايته، وجعل المراجعة أولاً وثانياً بين أسيد بن حضير وبين سعد بن عبادة. قال: وقال لي بعض شيوخنا: يصح أن يكون سعد موجوداً في المريسيع بناء على الاختلاف في تاريخ غزوة المريسيع، وقد حكى البخاري عن موسى بن عقبة أنها كانت سنة أربع، وكذلك الخندق كانت سنة أربع، فيصح أن تكون المريسيع قبلها؛ لأن ابن إسحاق جزم بأن المريسيع كانت في شعبان، وأن الخندق كانت في شوال، فإن كانا من سنة واحدة استقام أن تكون المريسيع قبل الخندق؛ فلا يمتنع أن يشهدها سعد بن معاذ. انتهى.

.....

(أ) قلت: عفا الله عنك! فإن أصحاب هذا الزعم لا دليل معهم فيما ذهبوا إليه، وإنما هي مجرد أقوال لا سنام لها ولا خطام، فلا يعدل عن الصحيح المسند الثابت إلى مجرد تاريخ لا يعرف سنده ولا دليله.

(ب) وهذا كسابقه: لا سند له، ولا دليل عليه؛ إلا مجرد الاعتماد على أقوال أهل السير والتاريخ، وهي مجرد أقوال لا سنام لها ولا خطام؛ فتنبه لهذا جيدًا، ولا تكن من المقلدين الغافلين.

= وقد قدمنا في المغازي: أن الصحيح في النقل عن موسى بن عقبة أن المريسيع كانت سنة خمس، وأن الذي نقله عنه البخاري من أنها سنة أربع سبق قلم، نعم؛ والراجح أن الخندق -أيضاً- كانت في سنة خمس خلافاً لابن إسحاق، فيصح الجواب: المذكور. وممن جزم بأن المريسيع سنة خمس: الطبري؛ لكن يعكر على هذا شيء لم يتعرضوا له أصلاً: وذلك أن ابن عمر ذكر أنه كان معهم في غزوة بني المصطلق -وهو المريسيع كما تقدم من حديثه في المغازي-، وثبت في «الصحيحين» -أيضاً-: أنه عرض في يوم أحد فلم يجزه النبي ﷺ، وعرض في الخندق فأجازه، فإذا كان أول مشاهده الخندق، وقد ثبت أنه شهد المريسيع؛ لزم أن تكون المريسيع بعد الخندق؛ فيعود الإشكال، ويمكن الجواب بأنه لايلزم من كون ابن عمر كان معهم في غزوة بني المصطلق أن يكون أجيز في القتال، فقد يكون صحب أباه ولم يباشر القتال؛ كما ثبت عن جابر: أنه كان يمنح الماء لأصحابه يوم بدر، وهو لم يشهد بدراً باتفاق. وقد سلك البيهقي في أصل الإشكال جواباً آخر بناء على أن الخندق قبل المريسيع؛ فقال: يجوز أن يكون جرح سعد بن معاذ لم ينفجر عقب الفراغ من بني قريظة، بل تأخر زمانًا ثم انفجر بعد ذلك، وتكون مراجعته في قصة الإفك في أثناء ذلك، ولعله لم يشهد غزوة المريسيع لمرضه، وليس ذلك مانعاً له أن يجيب النبي ﷺ في قصة الإفك مما أجابه.

وأما دعوى عياض: أن الذين تقدموا لم يتكلموا على الإشكال المذكور؛ فما أدري من الذين عناهم، فقد تعرض له من القدماء إسماعيل القاضي؛ فقال: الأولى أن تكون المريسيع قبل الخندق للحديث الصحيح عن عائشة، واستشكله ابن حزم؛ لاعتقاده أن الخندق قبل المريسيع، وتعرض له ابن عبد البر؛ فقال: رواية من روى أن سعد بن معاذ راجع في قصة الإفك سعد بن عبادة وهم وخطأ، وإنما راجع سعد بن عبادة أسيد بن حضير؛ كما ذكره ابن إسحاق، وهو الصحيح؛ فإن سعد بن معاذ مات في منصرفهم من غزوة بني قريظة لا يختلفون في ذلك، فلم يدرك المريسيع ولا حضرها. وبالغ ابن العربي على عادته؛ فقال: اتفق الرواة على أن ذكر ابن معاذ في قصة الإفك وهم!! وتبعه على هذا الإطلاق القرطبي».

وانظر -لزاماً-: «التنبيهات المجملة على المواضع المشكلة» (٥٤-٥٧/ ٤)، و«الفصول من سيرة الرسول» (ص ١٨٥-١٨٦ -بتحقيقي).

تنبيه:

قال الحافظ (٨/ ٤٧١): «وأما قول شيخ شيوخنا القطب الحلبي: وقع في نسخة سماعنا: «فقام سعد بن معاذ»، وفي موضع آخر: «فقام سعد أخو بني عبد الأشهل»؛ فيحتمل أن يكون آخر غير سعد بن معاذ؛ فإن في بني عبد الأشهل جماعة من الصحابة يسمى كل=

-أحد[١] بني عبد الأشهل-، فقال: يا رسول الله! أنا أعذرك منه: إن كان من الأوس[٢]؛ ضربت[٣] عنقه، وإن كان من[٤] إخواننا من الخزرج؛ أمرتنا، ففعلنا ما أمرت.

قال: فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان[٥] ابنة عمه من فخذه؛ وهو: سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج- قال: وذلك رجل صالح؛ ولكن احتملته[٦] الحمية-، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله[٧]؛ لا تقتله، ولا تقدر

=منهم سعداً، منهم: سعد بن زيد الأشهلي، شهد بدراً، وكان على سبايا قريظة الذين بيعوا بنجد، وله ذكر في عدة أخبار؛ منها: في خطبة النبي ﷺ في مرض وفاته.

قال: فيحتمل أن يكون هو المتكلم في قصة الإفك.

قلت: وحمله على ذلك: ما حكاه عياض وغيره من الإشكال في ذكر سعد بن معاذ في هذه القصة، والذي جوزه مردود بالتصريح بسعد بن معاذ».

(١) كذا في «الأصل»، وفي «صحيح البخاري»: «أخو».

(٢) يعني: قبيلة سعد بن معاذ.

(٣) بضم المثناة، وإنما قال ذلك؛ لأنه كان سيدهم، فجزم بأن حكمه فيهم نافذ.

قال الحافظ (٨/ ٤٨٠) -ضمن ذكره فوائد هذا الحديث-: «فيه: أن من آذى النبي ﷺ بقول -أو فعل- يقتل؛ لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبي ﷺ».

(٤) «من» الأولى تبعيضية، والآخرة بيانية.

(٥) اسمها الفريعة بنت خالد بن خنيس بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة.

وقوله: «من فخذه» بعد قوله: «بنت عمه»؛ إشارة إلى أنها ليست بنت عمه لحا؛ لأن سعد بن عبادة يجتمع معها في ثعلبة؛ قاله الحافظ (٨/ ٤٧٢).

(٦) بمهملة، ثم مثناة، ثم ميم؛ أي: أغضبته، وفي رواية معمر عند مسلم: «اجتهلته»؛ بجيم، ثم مثناة، ثم هاء، وصوَّبها الوقَّشيُّ؛ أي: حملته على الجهل.

(٧) العَمْر -بفتح العين المهملة-: هو البقاء، وهو العُمُر بضمها؛ لكن لا يستعمل في القسم إلا بالفتح.

على قتله، ولو كان من رهطك[١] ما أحببت أن يقتله[٢].

(١) في «ح»: «أهلك!» وهو خطأ.

(٢) قال الحافظ (٨/ ٤٧٢-٤٧٣): «فسر قوله: «لا تقتله» بقوله: «ولا تقدر على قتله» إشارة إلى أن قومه يمنعونه من قتله، وأما قوله: «ولو كان من رهطك»؛ فهو من تفسير قوله: «كذبت»؛ أي: في قولك: «إن كان من الأوس ضربت عنقه»؛ فنسبه إلى الكذب في هذه الدعوى، وأنه جزم أن يقتله إن كان من رهطه مطلقاً، وأنه إن كان من غير رهطه: إن أمر بقتله قتله، وإلا؛ فلا. فكأنه قال له: بل الذي نعتقده على العكس مما نطقت به، وأنه لو إن كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، ولكنه من غير رهطك فأنت تحب أن يقتل، وهذا بحسب ما ظهر له في تلك الحالة.

ونقل ابن التين عن الداودي: أن معنى قوله: «كذبت لا تقتله»: أن النبي ﷺ لا يجعل حكمه إليك؛ فلذلك لا تقدر على قتله؛ وهو حمل جيد. وقد بينت الروايات الأخرى السبب الحامل لسعد ابن عبادة على ما قال؛ ففي رواية ابن إسحاق: «فقال: سعد بن عبادة: ما قلت هذه المقالة؛ إلا أنك علمت أنه من الخزرج»، وفي رواية ابن حاطب: «فقال سعد بن عبادة: يا ابن معاذ! والله ما بك نصرة رسول الله ﷺ؛ ولكنها قد كانت بيننا ضغائن في الجاهلية وإحن لم تحلل لنا من صدوركم، فقال ابن معاذ: الله أعلم بما أردت»، و في حديث ابن عمر: «إنما طلبت به ذحول الجاهلية».

قال ابن التين: قول ابن معاذ: «إن كان من الأوس ضربت عنقه» إنما قال ذلك؛ لأن الأوس قومه، وهم بنو النجار، ولم يقل ذلك في الخزرج؛ لما كان بين الأوس والخزرج من التشاحن قبل الإسلام، ثم زال بالإسلام وبقي بعضه بحكم الأنفة.

قال: فتكلم سعد بن عبادة بحكم الأنفة، ونفى أن يحكم فيهم سعد بن معاذ، وهو من الأوس، قال: ولم يرد سعد بن عبادة الرضا بما نقل عن عبد الله بن أبي، وإنما معنى قول عائشة: «وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً»؛ أي: لم يتقدم منه ما يتعلق بالوقوف مع أنفة الحمية، ولم ترد أنه ناضل عن المنافقين.

وهو كما قال؛ إلا أن دعواه أن بني النجار قوم سعد بن معاذ خطأ، وإنما هم من رهط سعد بن عبادة، ولم يجر لهم في هذه القصة ذكر.

وقد تأول بعضهم ما دار بين السعدين بتأويل بعيد؛ فارتكب شططاً، فزعم: أن قول سعد بن عبادة: «لا تقتله، ولا تقدر على قتله»؛ أي: إن كان من الأوس، واستدل على ذلك بأن ابن معاذ لم يقل في الخزرجي: ضربنا عنقه، وإنما قال ذلك في الأوس! فدل على أن ابن عبادة لم يقل ذلك حمية لقومه؛ إذ لو كان حمية لم يوجهها رهط غيره. قال: وسبب قوله ذلك: أن الذي خاض في الإفك كان يظهر الإسلام، ولم يكن النبي ﷺ يقتل من يظهر الإسلام،=

فقام أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ[(١)] - وهو ابن عم سعد بن معاذ[(٢)] -، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله،لنقتلنه؛ فإنك[(٣)] منافق تجادل عن المنافقين[(٤)].

=وأراد: أن بقية قومه يمنعونه منه إذا أراد قتله إذا لم يصدر من النبي ﷺ أمر بقتله، فكأنه قال: لا تقل ما لا تفعل، ولا تعد لما لا تقدر على الوفاء به.

ثم أجاب عن قول عائشة: «احتملته الجاهلية»: بأنها كانت حينئذ منزعجة الخاطر لما دهمها من الأمر، فقد يقع في فهمها ما يكون أرجح منه.

وعن قول أسيد بن حضير -الآتي- بأن حمل قول ابن عبادة على ظاهر لفظه، وخفي عليه أن له محملاً سائغاً. انتهى.

ولا يخفى ما فيه من التعسُّفِ من غير حاجة إلى ذلك، وقوله: إن عائشة قالت ذلك وهي منزعجة الخاطر: مردود؛ لأن ذلك إنما يتم لو كانت حدَّثتْ بذلك عند وقوع الفتنة، والواقع أنها إنما حدثت بها بعد دهر طويل؛ حتى سمع ذلك منها عروة وغيره من التابعين، وحينئذ كان ذلك الانزعاج زال وانقضى. والحق: أنها فهمت ذلك عند وقوعه بقرائن الحال.

وأما قوله: «لا تقدر على قتله» مع أن سعد بن معاذ لم يقل بقتله كما قال في حق من يكون من الأوس؛ فإن سعد بن عبادة فهم أن قول ابن معاذ: «أمرتنا بأمرك»؛ أي: إن أمرتنا بأمرك؛ أي: أمرتنا بقتله قتلناه، وإن أمرت قومه بقتله قتلوه، فنفى سعد بن عبادة قدرة سعد ابن معاذ على قتله إن كان من الخزرج؛ لعلمه أن النبي ﷺ لا يأمر غير قومه بقتله، فكأنه أيأسه من مباشرة قتله، وذلك بحكم الحمية التي أشارت إليها عائشة، ولا يلزم من ذلك ما فهمه المذكور: أنه يرد أمر النبي ﷺ بقتله ولا يمتثله؛ حاشا لسعد من ذلك.

وقد اعتذر المازري عن قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة: «إنك منافق»؛ أن ذلك وقع منه على جهة الغيظ والحنق والمبالغة في زجر سعد بن عبادة عن المجادلة عن ابن أبيٍّ وغيره، ولم يرد النفاق الذي هو: إظهار الإيمان، وإبطال الكفر. قال: ولعله ﷺ إنما ترك الإنكار عليه لذلك».

(١) بالتصغير فيه وفي أبيه، وأبوه: بمهملة ثم معجمة.

(٢) أي: من رهطه، ولم يكن ابن عمه لحا؛ لأنه سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وأسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن امرىء القيس، إنما يجتمعان في امرىء القيس، وهم في التعدد إليه سواء.

(٣) في «م»: «وإنك».

(٤) قال الحافظ (٨/ ٤٧٤): «أطلق أسيد بن حضير ذلك؛ مبالغة في زجره عن القول=

قالت: فثار الحيان[١] -الأوس والخزرج-؛ حتى هموا أن يقتتلوا[٢]، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يُخَفِّضُهُم حتى سكتوا وسكت.

وبكيت يومي ذلك كلَّه؛ لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل [بنوم][٣]؛ حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي.

قالت: فبينا أبواي جالسان عندي، وأنا أبكي؛ استأذنت عليَّ امرأة من الأنصار[٤]؛ فأذنت لها، فجلست تبكي.

قالت: فبينا نحن على ذلك؛ دخل رسول الله ﷺ، (فسلم)[٥]ثم جلس.

قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل قبلها، ولقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء[٦].

=الذي قاله، وأراد بقوله: «فإنك منافق»؛ أي: تصنع صنيع المنافقين، وفسره بقوله: «تجادل عن المنافقين»، وقابل قوله لسعد بن معاذ: «كذبت لا تقتله» بقوله هو: «كذبت لنقتلنّه».

وقال المازري: إطلاق أسيد لم يرد به نفاق الكفر، وإنما أراد: أنه كان يظهر المودة للأوس، ثم ظهر منه في هذه القصة ضد ذلك، فأشبه حال المنافق؛ لأن حقيقته إظهار شيء وإخفاء غيره، ولعل هذا هو السبب في ترك إنكار النبي ﷺ عليه».

(١) بمهملة، ثم تحتانية: تثنية حي، والحي كالقبيلة؛ أي: نهض بعضهم إلى بعض من الغضب.

(٢) في «م»: «يفشلوا»؛ وهو تصحيف.

(٣) سقطت من «ظ»، والسياق يقتضيها، والاستدراك من مصادر التخريج.

(٤) قال الحافظ (٨/ ٤٧٤): «لم أقف على اسمها».

(٥) سقطت من «ح».

(٦) قال الحافظ (٨/ ٤٧٥): «حكى السهيلي أن بعض المفسرين ذكر أن المدة كانت سبعة وثلاثين يوماً، فألغى الكسر في هذه الرواية.

وعند ابن حزم: أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد.

ويجمع بأنها المدة التي كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن في قصة الإفك، وأما التقييد بالشهر؛ فهو المدة التي أولها إتيان عائشة إلى بيت أبويها حين بلغها الخبر».

قالت: وتشهد رسول الله حين جلس، ثم قال: «أما بعد؛ يا عائشة! فإنه بلغني عنك كذا وكذا[١]، فإن كنت بريئة؛ فسيبرئك الله[٢]، وإن كنت ألممت بذنب[٣]؛ فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف وتاب: تاب الله عليه[٤]».

(١) هو كناية عما رميت به من الإفك، ولم أر في شيء من الطرق التصريح، فلعل الكناية من لفظ النبي ﷺ؛ قاله الحافظ (٨/ ٤٧٥).

(٢) أي: بوحي ينزله بذلك؛ قرآناً، أو غيره.

(٣) أي: وقع منك على خلاف العادة، وهذا حقيقة الإلمام.

(٤) قال الحافظ (٨/ ٤٧٥): «قال الداودي: أمرها بالاعتراف ولم يندبها إلى الكتمان؛ للفرق بين أزواج النبي ﷺ وغيرهن؛ فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ولا يكتمنه إياه؛ لأنه لا يحل لنبي إمساك من يقع منها ذلك، بخلاف نساء الناس؛ فإنهن ندبن إلى الستر.

وتعقبه عياض [في «إكمال المعلم» (٨/ ٢٩٨)]: بأنه ليس في الحديث ما يدل على ذلك، ولا فيه أنه أمرها بالاعتراف، وإنما أمرها أن تستغفر الله وتتوب إليه؛ أي: فيما بينها وبين ربها، فليس صريحاً في الأمر لها بأن تعترف عند الناس بذلك.

وسياق جواب عائشة يشعر بما قاله الداودي؛ لكن المعترف عنده ليس إطلاقه؛ فليتأمل.

ويؤيد ما قال عياض: أن في رواية حاطب: قالت: فقال أبي: إن كنت صنعت شيئاً؛ فاستغفري الله، وإلا؛ فأخبري رسول الله ﷺ بعذرك».

وقال (٨/ ٤٨٠) -ضمن ذكر فوائد هذا الحديث-: «وفيه أن النبي ﷺ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي؛ لأنه ﷺ لم يجزم في القصة بشيء ما قبل نزول الوحي. نبه عليه الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة -نفع الله به-».

قال شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- في «الصحيحة» (٦/ ٢٧-٣٥) بعد كلام الحافظ ابن حجر: «يعني: أن النبي ﷺ لم يقطع ببراءة عائشة -رضي الله عنها- إلا بعد نزول الوحي. ففيه إشعار قوي بأن الأمر في حد نفسه ممكن الوقوع، وهو ما يدندن حوله كل حوادث القصة وكلام الشراح عليها، ولا ينافي ذلك قول الحافظ ابن كثير (٨/ ٤١٨) في تفسير قوله -تعالى-: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

«وليس المراد بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة، بل في الدين؛ فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة؛ لحرمة الأنبياء -كما قدمنا في سورة النور-». =

= وقال هناك (٦/ ٨١): «ثم قال -تعالى-: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾؛ أي: تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين، وتحسبون ذلك يسيراً سهلاً، ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ؛ لما كان هيناً، فكيف وهي زوجة النبي ﷺ الأمي، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين؟! فعظيم عند الله أن يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل؛ فإن الله -سبحانه وتعالى- يغار لهذا، وهو -سبحانه- لا يقدِّر على زوجة نبي من الأنبياء ذلك؛ حاشا وكلا، ولما لم يكن ذلك، فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء، زوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة؟! ولهذا قال -تعالى-: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾».

أقول: فلا ينافي هذا ما ذكرنا من الإمكان؛ لأن المقصود بـ «العصمة» الواردة في كلامه -رحمه الله- وما في معناها: إنما هي العصمة التي دل عليها الوحي الذي لولاه لوجب البقاء على الأصل، وهو الإمكان المشار إليه، فهي بالمعنى الذي أراده النبي ﷺ بقوله: «فالمعصوم من عصمه الله» في حديث أخرجه البخاري وغيره، وليس المراد بها: العصمة الخاصة بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وهي التي تنافي الإمكان المذكور، فالقول بهذه في غير الأنبياء إنما هو من القول على الله بغير علم، وهذا ما صرح به أبو بكر الصديق نفسه في هذه القصة خلافاً لهواه كأب، فقد أخرج البزار بسند صحيح[1] عن عائشة -رضي الله عنها-: أنه لما نزل عذرها قبَّل أبو بكر -رضي الله عنه- رأسها، فقالت: ألا عذرتني؟ فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إن قلت ما لا أعلم؟! وهذا هو الموقف الذي يجب على كل مسلم أن يقفه تجاه كل مسألة لم يأت الشرع الحنيف بما يوافق هوى الرجل، ولا يتخذ إلهه هواه.

واعلم أن الذي دعاني إلى كتابة ما تقدم: أن رجلاً عاش برهة طويلة مع إخواننا السلفيين في حلب[ب]، بل إنه كان رئيساً عليهم بعض الوقت[ج]، ثم أحدث فيهم حدثاً دون برهان من الله ورسوله، وهو أنه دعاهم إلى القول بعصمة نساء النبي ﷺ وأهل بيته وذريته من الوقوع في الفاحشة، ولما ناقشه في ذلك أحد إخوانه هناك، وقال له: لعلك تعني عصمتهن التي دل عليها تاريخ حياتهن، فهن في ذلك كالخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة المشهورين، المنزهين منها ومن غيرها من الكبائر؟ فقال: لا، إنما أريد شيئاً زائداً على ذلك؛ وهو عصمتهن التي دل عليها الشرع، وأخبر عنها دون غيرها مما يشترك فيها كل صالح وصالحة؛ أي: العصمة التي تعني مقدماً استحالة الوقوع!ولما قيل له: هذا أمر غيبي لا يجوز القول به إلا بدليل، بل هو مخالف لما دلت عليه قصة الإفك، وموقف الرسول وأبي بكر الصديق فيها، فإنه يدل دلالة صريحة أنه ﷺ كان لا يعتقد في عائشة العصمة المذكورة، كيف وهو يقول لها: «إنما أنت من بنات آدم، فإن كنت بريئة؛ فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب؛ فاستغفري الله ...» الحديث. =

(أ) قلت: بل إسناده ضعيف؛ كما سيأتي بيانه (ص ٢١٨-٢١٩).

(ب) هو الشيخ محمد نسيب الرفاعي -رحمه الله-.

(ج) كان رئيساً «لجمعية الصراط المستقيم»، و«بيت التوحيد» وليس أميراً للسلفيين!

= فأجاب: بأن ذلك كان قبل نزول آية [الأحزاب:٣٣]: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾! جاهلاً -أو متجاهلاً- أن الآية المذكورة نزلت قبل قصة الإفك؛ بدليل قول السيدة عائشة -رضي الله تعالى عنها- عن صفوان ابن المعطَّل السلمي: «فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب»، وفيه أنها احتجبت منه.

ودليل آخر، وهو ما بينه الحافظ -رحمه الله- بقوله (٨/ ٣٥١): «ولا خلاف أن آية الحجاب نزلت حين دخوله ﷺ بزينب بنت جحش، وفي حديث الإفك: أن النبي ﷺ سأل زينب عنها. فثبت أن الحجاب كان قبل قصة الإفك».

ثم اشتدت المجادلة بينهما في ذلك؛ حتى أرسل إليَّ أحد الإخوان الغيورين الحريصين على وحدة الصف خطاباً يشرح لي الأمر، ويستعجلني بالسفر إليهم، قبل أن يتفاقم الأمر، وينفرط عقد الجماعة. فسافرت بالطائرة -ولأول مرة- إلى حلب، ومعي اثنان من الإخوان، وأتينا الرجل في منزله، واقترحت عليهما أن يكون الغداء عنده تألفاً له، فاستحسنا ذلك. وبعد الغداء بدأنا بمناقشته فيما أحدثه من القول، واستمر النقاش معه إلى ما بعد صلاة العشاء؛ ولكن عبثاً؛ فقد كان مستسلماً لرأيه، شأنه في ذلك شأن المتعصبة الذين يدافعون عن آرائهم دون أي اهتمام للأدلة المخالفة لهم، بل لقد زاد هذا عليهم؛ فصرح في المجلس بتكفير من يخالفه في قوله المذكور! إلا أنه تنازل -بعد جهد جهيد- عن التكفير المشار إليه، واكتفى بالتصريح بتضليل المخالف أياً كان!

ولما يئسنا منه؛ قلنا له: إن فرضك على غيرك أن يتبنى رأيك وهو غير مقتنع به، ينافي أصلاً من أصول الدعوة السلفية؛ وهو: أن الحاكمية لله وحده[1]، وذكرناه بقوله -تعالى- في النصارى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، ولهذا فحسبك أن يظل كل منكما عند رأيه؛ ما دام أن أحدكما لم يقنع برأي الآخر، ولا تضلله، كما هو لا يضللك، وبذلك يمكنك أن تستمر في التعاون معه فيما أنتما متفقان عليه من أصول الدعوة وفروعها. فأصر على فرض رأيه عليه، وإلا؛ فلا تعاون، علماً بأن هذا الذي يريد أن يفرض عليه رأيه هو أعرف منه وأفقه بالدعوة السلفية أصولاً وفروعاً، وإن كان ذاك أكثر ثقافة عامة منه.

وصباح اليوم التالي بلَّغنا إخوانه المقربين إليه بخلاصة المناقشة، وأن الرجل لا يزال مصراً على التضليل وعدم التعاون إلا بالخضوع لرأيه، فاجمعوا أمرهم على عزله، ولكن بعد مناقشته أيضاً، فذهبوا إليه في بيته -بعد استئذانه طبعاً- وأنا معهم، وصاحباي، فطلبوا منه التنازل عن إصراره، وأن يدع الرجل على رأيه، وأن يستمر معهم في التعاون، فرفض ذلك، وبعد مناقشة شديدة بينه وبين مخالفه في الرأي وغيره من إخوانه، خرج فيها الرجل عن طوره؛ حتى قال لمخالفه لـمَّا ذكره بالله: أنا لا أريد أن تذكرني أنت بالله! إلى غير ذلك من الأمور التي لا مجال لذكرها الآن، وعلى ضوء ما سمعوا من إصراره، ورأوا من سوء تصرفه مع=

(١) أي: التحاكم إلى الله كتاباً وسنة، وليس «توحيد الحاكمية» الذي ابتدعه السياسيون الحزبيون ... لحاجة في أنفسهم. وانظر كتابي: «حراسة التوحيد».

=ضيوفه؛ اتفقوا على عزله، ونصّبوا غيره رئيساً عليهم.

ثم أخذت الأيام تمضي، والأخبار عنه تترى بأنه ينال من خصمه ويصفه بما ليس فيه، فلما تيقنت إصراره على رأيه، وتقوله عليه، وهو يعرف نزاهته وإخلاصه قرابة ثلاثين سنة؛ أعلنت مقاطعته حتى يعود إلى رشده، فكان كلما لقيني وهش إليَّ وبش؛ أعرضت عنه. ويحكي للناس شاكياً إعراضي عنه! متجاهلاً فعلته، وأكثر الناس لا يعلمون بها، في الوقت الذي يتظاهر فيه بمدحي والثناء عليَّ وأنه تلميذي! إلى أن فوجئت به في منزل أحد السلفيين في عمان، في دعوة غداء في منتصف جمادى الأولى لسنة (١٣٩٦)، فسارع إلى استقبالي كعادته، فأعرضت عنه كعادتي، وعلى المائدة حاول أن يستدرجني على مكالمته بسؤاله إياي عن بعض الشخصيات العلمية التي لقيتها في سفري إلى (المغرب)، وكنت حديث عهد بالرجوع منه، فقلت له: لا كلام بيني وبينك حتى تنهي مشكلتك! قال: أي مشكلة؟ قلت: أنت أدرى بها، فلم يستطيع أن يكمل طعامه.

فقصصت على الإخوان الحاضرين قصته، وتعصبه لرأيه، وظلمه لأخيه المخالف له، واقترحت عقد جلسة خاصة ليسمعوا من الطرفين. وكان ذلك بعد يومين من ذلك اللقاء، فبعد أن انصرف الناس جميعاً من الندوة التي كنت عقدتها في دار أحدهم في (جبل النصر)، وبقي بعض الخاصة من الإخوان[1]؛ بدأ النقاش، فإذا بهم يسمعون منه كلاماً عجباً، وتناقضاً غريباً، فهو من جهة يشكوني إليهم لمقاطعتي إياه، وأنه يهش إلي ويبش، ويتفاخر في المجالس بأني شيخه، ومن جهة أخرى: لما يجري البحث العلمي بيني وبينه؛ يصرح بتضليلي -أيضاً- وبمقاطعتي!فيقول له الإخوان: كيف هذا، وأنت تشكو مقاطعته إياك؟! فلا يجيب على سؤالهم، وإنما يخوض في جانب آخر من الموضوع.

وباختصار؛ فقد انكشف للحاضرين إعجابه برأيه وإصرار عليه، وتعديه على من يزعم أنه شيخه وجزمه بضلاله! والله المستعان، فإذا قيل له: رأيك هذا هو وحي السماء، ألا يمكن أن يكون خطأ؟ قال: بلى، فإذا قيل له: فكيف تجزم بضلال مخالفك مع احتمال أن يكون الصواب معه؟ لم يحر جواباً، وإنما يعود ليجادل بصوت مرتفع، فإذا ذكر بذلك؛ قال: عدم المؤاخذة، لقد قلت لكم: هذه عادتي! فلا تؤاخذوني!

فطالبه بعض الحاضرين بالدليل على العصمة التي يزعمها، فتلى آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فقيل له: الإرادة في هذه الآية: شرعية أم كونية؟ فأجاب: كونية! فقيل له: هذا يستلزم أن أولاد فاطمة أيضاً معصومون! قال: نعم. وقيل: وأولاد أولادها؟ فصاح وفر من الجواب. وواضح من كلامه أنه يقول بعصمة أهل البيت جميعاً إلى يوم يبعثون؛ ولكنه لا يفصح بذلك لقبحه.=

(١) وقد حضرتها كاملة، فقد كانت معرفتي بالشيخ سنة (١٣٩٣هـ) أثناء مناظراته العظيمة مع «طلائع الفتح الإسلامي» التي انتهجت منهج التكفير(!)

=فقام صاحب الدار وأتى برسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، وقرأ منها فصلاً هاماً في بيان الفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية؛ فالأولى: محبته -تعالى- ورضاه لما أراده من الإيمان والعمل الصالح، ولا تستلزم وقوع المراد، بخلاف الإراده الكونية؛ فهي تستلزم وقوع ما أراده -تعالى-؛ ولكنها عامة تشمل الخير والشر، كما في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فعلى هذا: فإذا كانت الإرادة في آية التطهير إرادة شرعية؛ فهي لا تستلزم وقوع المراد من التطهير، وإنما محبته -تعالى- لأهل البيت أن يتطهروا؛ بخلاف ما لو كانت إرادة كونية؛ فمعنى ذلك: أن تطهيرهم أمر كائن لا بد منه، وهو متمسك الشيعة في قولهم بعصمة أهل البيت، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- ضلالهم في ذلك بياناً شافياً في مواطن عديدة من كتابه «منهاج السنة»، فلا بأس من أن أنقل إلى القراء الكرام طرفاً منه؛ لصلته الوثيقة بما نحن فيه، فقال في صدد رده على الشيعي المدعي عصمة علي -رضي الله عنه- بالآية السابقة:

«وأما آية [الأحزاب: ٣٣]: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾؛ فليس فيها إخبار بذهاب الرجس وبالطهارة، بل فيها الأمر لهم مما يوجبهما، وذلك كقوله-تعالى-: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة:٦]، و﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾ [النساء:٢٦]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء:٢٨]، فالإرادة هنا متضمنة للأمر والمحبة والرضا، ليست هي الملتزمة لوقوع المراد، ولو كان كذلك؛ لتطهر كل من أراد الله طهارته. وهذا على قول شيعة زماننا أوجه، فإنهم معتزلة يقولون: إن الله يريد ما لا يكون، فقوله -تعالى-:﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ إذا كان بفعل المأمور، وترك المحظور؛ كان ذلك متعلقاً بإرادتهم وبأفعالهم، فإن فعلوا ما أمروا به؛ طهروا.

ومما يبين أن ذلك مما أمروا به، لا مما أخبر بوقوعه: أن النبي ﷺ أدار الكساء على عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». رواه مسلم من حديث عائشة، ورواه أهل السنن من حديث أم سلمة.

وفيه دليل على أنه -تعالى- قادر على إذهاب الرجس والتطهير، وأنه خالق أفعال العباد، رداً على المعتزلي.

ومما يبين أن الآية متضمنة للأمر والنهي: قوله في سياق الكلام: ﴿يا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً * يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٠-٣٣]، فهذا السياق يدل على أن ذلك أمر ونهي، وأن الزوجات من أهل البيت، فإن السياق إنما هو في مخاطبتهن، ويدل=

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته؛ قلص[1] دمعي؛.....

=الضمير المذكر على أنه عمٌّ غير زوجاته؛ كعلي وفاطمة وابنيهما[أ]».

وقال في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٦٧) عقب آية التطهير:

«والمعنى: أنه أمركم بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، فمن أطاع أمره؛ كان مطهراً قد أذهب عنه الرجس بخلاف، من عصاه».

وقال المحقق الآلوسي في تفسير الآية المذكورة بعد أن ذكر معنى ما تقدم عن ابن تيمية (٧/ ٤٧-بولاق):

«وبالجملة؛ لو كانت إفادة معنى العصمة مقصودة؛ لقيل هكذا: إن الله أذهب عنكم الرجس أهل البيت وطهركم تطهيراً. وأيضاً: لو كانت مفيدة للعصمة؛ ينبغي أن يكون الصحابة -لا سيما الحاضرين في غزوة بدر -قاطبة معصومين؛ لقوله-تعالى- فيهم: ﴿وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، بل لعل هذا أفيد لما فيه من قوله سبحانه: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ فإن وقوع هذا الإتمام لا يتصور بدون الحفظ عن المعاصي وشر الشيطان».

وللبحث عنده تتمة لا يخرج مضمونه عما تقدم؛ ولكن فيه تأكيد له، فمن شاء فليراجعه.

فأقول: لقد أطلت الكلام في مسألة العصمة المزعومة؛ لأهميتها، ولصلتها الوثقى بحديث عائشة -رضي الله عنها-، وتذكيراً للأخ المشار إليه لعله يجد فيما كتبت ما ينير له سبيل الهداية، والعودة لمواصلة أخيه، راجعاً عن إضلاله، وللتاريخ والعبرة أخيراً.

ثم توفي الرجل بعد كتابه هذا بسنين طويلة إلى رحمة الله ومغفرته[ب]، ومعذرة إلى بعض الإخوان الذين قد يرون هذا النقد العلمي -وفيما يأتي- ما لا يروق لهم، فأذكرهم بأن العلم الذي عشته دهري هو الذي لا يسعني مخالفته، وما قول البخاري وسليمان بن حرب -الآتي تحت رقم (٢٦٣٠)- في حرب بن ميمون: «هو أكذب الخلق» -وذلك بعد موته- عنهم ببعيد».

وانظر -لزاماً- «الصحيحة» (٣/ ٢١٠ و٤/ ٥٢٩-٥٣٠).

(١) قال الحافظ (٨/ ٤٧٥): «بفتح القاف واللام، ثم مهملة؛ أي: استمسك نزوله فانقطع، ومنه: قلص الظل وتقلص؛ إذا شمر.

قال القرطبي [في «المفهم» (٧/ ٣٧٤)]: سببه: أن الحزن والغضب إذا أخذ أحدهما؛ فقد الدمع؛ لفرط حرارة المصيبة».

.....

(أ) «المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال» (ص ١٦٨)، وراجع منه (ص ٨٤ و٤٢٧-٤٢٨ و٤٤٦-٤٤٨ و٤٧٣ و٥٥١).

(ب) صلى عليه شيخنا إماماً في «عمان» في «جبل الهاشمي الشمالي» في «مسجد التكروري» -رحمهما الله جميعاً-، ولكنه لم يحضر دفنه، حيث دفن في «مقبرة الرصيفة»(!)

حتى ما أُحِسُّ[١] منه قطرة، فقلت لأبي[٢]: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال[٣]، فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله[٤]، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. قالت: فقلت- وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً[٥]-: إني والله لقد.....

(١) بضم الهمزة، وكسر المهملة، أي: أجد.

(٢) قال الحافظ: «قيل: إنما قالت عائشة لأبيها ذلك مع أن السؤال إنما وقع عما في باطن الأمر، وهو لا اطلاع له على ذلك؛ لكن قالته إشارة إلى أنها لم يقع منها شيء في الباطن يخالف الظاهر الذي هو يطلع عليه، فكأنها قالت له: برئني بما شئت وأنت على ثقة من الصدق فيما تقول، وإنما أجابها أبو بكر بقوله: «لا أدري»؛ لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ، فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى، ولأنه وإن كان يتحقق براءتها؛ لكنه كره أن يزكي ولده، وكذا الجواب عن قول أمها: «لا أدري»».

(٣) قال القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٨/ ٢٩٩): «فيه تقديم الكبير للكلام على الصغير في المهمات، وفي مخاطبة أهل الأمر والموقرين».

(٤) قال الحافظ (٨/ ٤٨٠): «وفي هذا الحديث من الفوائد: تثبت أبي بكر الصديق في الأمور؛ لأنه لم ينقل عنه في هذه القصة -مع تمادي الحال فيها شهراً- كلمة فما فوقها؛ إلا ما ورد عنه في بعض طرق الحديث، أنه قال: «والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية»؛ فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام؟»، وقع ذلك في حديث ابن عمر عند الطبراني».

قلت: ومما ينبغي تسجيله باعتباره درساً يستفاد منه في هذه الحادثة موقف أبي بكر -رضي الله عنه-:

١- لم يخبر ابنته بما حدث.

٢- تأثره الشديد وبكاؤه مع ابنته؛ مما يدل على رأفته، ورحمته، وشدته في بعد الأذى عنها.

٣- اهتمامه بها، وجلوسه عندها؛ لا سيما عند اشتداد الأزمة في أيامها الأخيرة.

٤- تسليمه المطلق لرسول الله ﷺ، وإيمانه العميق بالوحي.

٥- تثبته في الأمور وبعد نظره، ورسوخه في فقه العواقب ومآلات الأفعال، مع اقتناعه ببراءة ابنته.

(٥) قالت هذا توطئة لعذرها؛ لكونها لم تستحضر اسم يعقوب- عليه السلام- كما سيأتي.

علمت[١]؛ لقد سمعتم حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به[٢]، فلئن قلت: إني بريئة؛ لا تصدقوني[٣] بذلك، ولئن اعترفت- والله يعلم أني(منه)[٤] بريئة-؛ لتصدقني[٥]، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف[٦] حين يقول: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨][٧].

قالت: ثم تحوَّلت فاضطجعت على فراشي، والله يعلم حينئذ أني بريئة، والله يبرئني ببراءتي، ولكن -والله- ما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحياً،

(١) في «الأصل»: «علمتم» وهو وهم.

(٢) قالت عائشة هذا -وإن لم يكن على حقيقته- على سبيل المقابلة لما وقع من المبالغة في التنقيب عن ذلك، وهي كانت لما تحققت من براءة نفسها ومنزلتها؛ تعتقد أنه كان ينبغي لكل من سمع عنها ذلك أن يقطع بكذبه؛ لكن العذر لهم عن ذلك أنهم أرادوا إقامة الحجة على من تكلم في ذلك، ولا يكفي فيها مجرد نفي ما قالوا والسكوت عليه؛ بل تعين التنقيب عليه؛ لقطع شبههم، أو مرادها بمن صدق به: أصحاب الإفك؛ لكن ضمت إليه من لم يكذبهم تغلباً؛ قاله الحافظ (٨/ ٤٧٥-٤٧٦).

(٣) أي: لا تقطعون بصدقي.

(٤) سقطت من «م».

(٦) قالت -رضي الله عنها- ذلك؛ لأن المرء مؤاخذ بإقراره.

(٦) طلبت اسمه، فلم تقدر عليه ولم تستحضره؛ لما بها من البكاء، واحتراق الجوف.

(٧) قال الحافظ (٨/ ٤٨٠): «فيه فضل من يفوض الأمر لربه، وأن من قوي على ذلك؛ خف عنه الهم والغم، كما وقع في حالتي عائشة قبل استفسارها عن حاله، وبعد جوابها بقولها: والله المستعان.

وفيه: جواز الاستشهاد بآي القرآن عند النوازل، والتأسي بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم».

وقال ابن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٣/ ٤٢): «في هذا دليل على أن المرء مأمور أن يدفع المعرة عن نفسه إذا قدر على ذلك، وكان له من خارج ما يصدقه، وإلا؛ فالصبر والاضطرار إلى الله -تعالى-، لعله أن يكشف ذلك بفضله، وكذلك -أيضاً- أن يراعي حق إخوانه المؤمنين؛ فينفي عنهم كل ما يضرهم، كما فعلت عائشة -رضي الله عنها-».

ولشأني كان أحقرَ في نفسي من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى[1]؛ ولكن قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فيَّ رؤيا في النوم يبرئني الله -عز وجل- بها.

(١) قال أبو العباس القرطبي في «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٧/ ٣٧٤-٣٧٥): «وقولها: «ولشأني كان في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى»؛ دليل على أن الذي يتعين على أهل الفضل، والعلم، والعبادة، والمنزلة: احتقار أنفسهم، وترك الالتفات إلى أعمالهم، ولا إلى أحوالهم، وتجريد النظر إلى لطف الله، ومنته، وعفوه، ورحمته، وكرمه، ومغفرته. وقد اغتر كثير من الجهال بالأعمال؛ فلاحظوا أنفسهم بعين استحقاق الكرامات، وإجابة الدعوات، وزعموا أنهم ممن يتبرك بلقائهم، ويغتنم صالح دعائهم، وأنهم يجب احترامهم وتعظيمهم، فيُتَمَسَّح بأثوابهم، وتُقبل أيديهم، ويرون أن لهم من المكانة عند الله بحيث ينتقم لهم ممن تنقصهم في الحال، وأن يؤخذ من أساء الأدب عليهم من غير إمهال، وهذه كلها نتائج الجهل العميم، والعقل غير المستقيم؛ فإن ذلك إنما يصدر من جاهل معجب بنفسه، غافل عن جرمه وذنبه، مغتر بإمهال الله -عز وجل- له عن أخذه، ولقد غلب أمثال هؤلاء الأنذال في هذه الأزمان فاستتبعوا العوام، وعظمت بسببهم على أهل الدِّين المصائب والطوامّ، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وهذه نفثات مصدور، وإلى الله عاقبة الأمور».

وقال الإمام ابن قيم الجوزية في «جلاء الأفهام» (ص ٣٥٢-٣٥٣): «ومن خصائصها: أن الله -سبحانه- براها بما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحياً يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم، وأخبر سبحانه أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها، ولا عائباً لها، ولا خافضاً من شأنها؛ بل رفعها الله بذلك، وأعلى قدرها، وأعظم شأنها، وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيا لها من منقبة ما أجلها.

وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت: «ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بوحي يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها»، فهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحب رسول الله ﷺ، وهي تعلم -رضوان الله عليها- أنها بريئة منه مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها، قد بلغ أذاهم إلى أبويها، وإلى رسول الله ﷺ، وهذا كان احتقارها لنفسها، وتصغيرها لشأنها؛ فما ظنك بمن قد صام يوماً -أو يومين-، أو شهراً -أو شهرين-، وقام ليلة -أو ليلتين-، وظهر عليه شيء من الأحوال، ولاحظوا أنفسهم بعين استحقاق الكرامات، والمكاشفات، والمخاطبات، والمنازلات، وإجابة الدعوات، وأنهم ممن يتبرك بلقائهم، ويغتنم صالح دعائهم، وأنهم يجب على الناس احترامهم، وتعظيمهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، فيتمسح بأثوابهم ويقبل ثرى أعتابهم، وأنهم من الله بالمكانة التي ينتقم لهم لأجلها ممن تنقصهم في الحال، وأن يؤخذ ممن أساء الأدب عليهم من غير إمهال، وأن الإساءة عليهم ذنب لا يكفره شيء إلا رضاهم، ولو كان هذا=

قالت: فوالله؛ ما قام رسول الله ﷺ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله -عز وجل-، وأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاءِ[١]؛ حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجُمَان[٢] وهو في يوم شاتي[٣]، من ثقل القول الذي ينزل عليه[٤].

=من وراء كفاية؛ لهان، ولكن من وراء تخلف، وهذه الحماقات والرعونات نتائج الجهل الصميم[أ]، والعقل الغير المستقيم؛ فإن ذلك إنما يصدر من جاهل معجب بنفسه، غافل عن جرمه وذنوبه، مغتر بإمهال الله -تعالى- له عن أخذه بما هو فيه من الكبر والإزراء على من لعله عند الله -عز وجل- خير منه، نسأل الله -تعالى- العافية في الدنيا والآخرة، وينبغي للعبد أن يستعيذ بالله أن يكون عند نفسه عظيماً، وهو عند الله حقير».

وقال القسطلاني في «إرشاد الساري» (٧/ ٢٦٤): «فتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها نفسها، حيث قالت: ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحي ... إلخ.

فهذه صديقة الأمة تعلم أنها بريئة مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون لها، مفترون عليها، وهذا كان احتقارها لنفسها وتصغيرها لنفسها؛ فما ظنك بمن صام يوماً -أو يومين-، أو شهراً -أو شهرين-، أو قام ليلة -أو ليلتين-، فظهر عليه شيء من الأحوال، فلوحظ استحقاق الكرامات، والمكاشفات، وإجابة الدعوات، وأنه ممن يتبرك بلقائه، ويغتنم صالح دعائه، ويتمسح بأثوابه، ويُقبِّل ثرى أعتابه، فعجب من جهله بنفسه، وغفل عن جرمه، واغتر بإمهال الله عليه؟! فينبغي للعبد أن يستعيذ بالله أن يكون عند نفسه عظيماً وهو عند الله حقير».

(١) بضم الموحدة، وفتح الراء، ثم مهملة، ثم مد: هي شدة الحمى، وقيل: شدة الكرب، وقيل: شدة الحر، ومنه: برح بي الهم؛ إذا بلغ مني غايته.

(٢) بضم الجيم، وتخفيف الميم: اللؤلؤ. شبهت قطرات عرقه ﷺ بالجمان؛ لمشابهتها في الصفاء والحسن.

(٣) في «م»: «شات».

(٤) وفي تأخر نزول الوحي حكم بليغة، ومن أهمها: تربية المسلمين على كيفية التعامل مع=

(أ) هكذا في جميع طبعات «جلاء الأفهام»(!) ولم يتنبه لها محققوا الكتاب جميعاً(!)، والصواب: «العميم»؛ كما في «المفهم» للقرطبي (٧/ ٣٥٤-٣٥٥)، حيث اقتبس الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله- معظم كلامه منه حذو القذة بالقذة، وهو منهج متبع عند جمهور أهل العلم.

وقد ظنه بعض جهلة المتعالمين في هذا العصر: سرقة علمية؛ فوقعوا في أعراض العلماء وطلاب العلم، وهذا إفك مبين؛ لعلهم يشفون غيظ قلوبهم، وينتصرون لحزبيتهم... وأنا أعلم بهم من أنفسهم فهم «حجارة على رقعة الشطرنج» تحركها دول وأحزاب، فإلى الله المشتكى من حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام.

وكذلك قارن كلام القسطلاني؛ فإنه اقتبس كثيراً من كلام الإمام ابن قيم الجوزية!

قالت: فَسُرِّي[١] عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «يا عائشة! أما الله؛ فقد برأك»[٢].

قالت: فقال لي أبي: قومي إليه، قلت: والله لا أقوم إليه، وإني لا أحمد إلا الله[٣] -عز وجل-[٤].

=مثل هذا الحوادث الحساسة، وبخاصة التي تتعلق بالأسرة المسلمة؛ لحفظها من التصدع والانهيار، ومن ثم الحفاظ على المجتمع الإسلامي من أن يتفكك بمثل هذه الإشاعات المغرضة.

(١) بضم المهملة، وتشديد الراء المكسورة؛ أي: كشف.

(٢) أي: بما أنزل من القرآن.

قال الحافظ (٨/ ٤٨١) -ضمن ذكره فوائد هذا الحديث-: «فيه تدريج من وقع في مصيبة فزالت عنه؛ لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه، يؤخذ ذلك من ابتداء النبي ﷺ بعد نزول الوحي ببراءة عائشة بالضحك، ثم تبشيرها، ثم إعلامها ببراءتها مجملة، ثم تلاوته الآيات على وجهها.

وقد نص الحكماء على أن من اشتد عليه العطش لا يمكَّن من المبالغة في الري في الماء؛ لئلا يفضي به ذلك إلى الهلكة، بل يجرع قليلاً قليلاً».

(٣) في «م»: «وإني لا أحمد الله -عز وجل-، هو الذي أنزل براءتي»؛ وهو وهم وتخليط.

(٤) قال الإمام ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٣/ ٢٦٤):

«ومن تأمل قول الصديقة وقد نزلت براءتها، فقال لها أبواها: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله؛ علم معرفتها، وقوة إيمانها، وتوليتها النعمة لربها، وإفراده بالحمد في ذلك المقام، وتجريدها التوحيد، وقوة جأشها، وإدلالها ببرائة ساحتها، وأنها لم تفعل ما يوجب قيامها في مقام الراغب في الصلح، الطالب له، وثقتها بمحبة رسول الله ﷺ لها، قالت ما قالت؛ إدلالاً للحبيب على حبيبه، ولا سيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسن مقامات الإدلال، فوضعته موضعه، ولله ما كان أحبها إليه حين قالت: لا أحمد إلا الله؛ فإنه هو الذي أنزل براءتي، ولله ذلك الثبات والرزانة منها، وهو أحب شيء إليها، ولا صبر لها عنه، وقد تَنَكَّرَ قلبُ حبيبها لها شهراً، ثم صادفت الرضى منه والإقبال، فلم تبادر إلى القيام إليه، والسرور برضاه وقربه مع شدة محبتها له، وهذا غاية الثبات والقوة».

وقال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٧٧): «وعذرها في إطلاق ذلك: ما ذكرته من الذي خامرها من الغضب من كونهم لم يبادروا بتكذيب من قال فيها ما قال، مع تحققهم حسن=

قالت: وأنزل الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ...﴾ العشر الآيات[1].

=طريقها، قال ابن الجوزي: إنما قالت ذلك؛ إدلالاً كما يدل الحبيب على حبيبه. وقيل: أشارت إلى إفراد الله -تعالى- بقولها: «فهو الذي أنزل براءتي»؛ فناسب إفراده بالحمد في الحال، ولا يلزم منه ترك الحمد بعد ذلك».

(١) المثبت في المصحف ستة عشر آية في سورة النور (١١-٢٦).

وجاء عن الحكم بن عتيبة: أنها خمس عشرة آية، وعن سعيد بن جبير: أنها ثماني عشرة آية.

قال الآلوسي في «روح المعاني» (١٨/ ١١٥): «وكأن الخلاف مبني على الخلاف في رؤوس الآي».

قال الإمام الهمام ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٣/ ٢٦١-٢٦٣): «فإن قيل: فما بال رسول الله ﷺ توقف في أمرها، وسأل عنها، وبحث، واستشار، وهو أعرف بالله، وبمنزلته عنده، وبما يليق به، وهلا قال: ﴿سُبْحَانَكَ هَـذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾؛ كما قاله فضلاء الصحابة؟

فالجواب: أن هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سبباً لها، وامتحاناً وابتلاءً لرسوله ﷺ ولجميع الأمة إلى يوم القيامة؛ ليرفع بهذه القصة أقواماً، ويضع بها آخرين، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيماناً، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً، واقتضى تمام الامتحان والابتلاء: أن حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً في شأنها، لا يوحى إليه في ذلك شيء؛ لتتم حكمته التي قدرها وقضاها، وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق، وحسن الظن بالله ورسوله، وأهل بيته، والصدق من عباده، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً، ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم، ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها والافتقار إلى الله، والذل له، وحسن الظن به، والرجاء له، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين، وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق؛ ولهذا وقّتْ هذا المقام حقه، لما قال لها أبواها: قومي إليه، وقد أنزل الله عليه براءتها؛ فقالت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله؛ هو الذي أنزل براءتي.

وأيضاً: فكان من حكمة حبس الوحي شهراً: أن القضية محصت وتمحصت، واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها، وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع، فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ وأهل بيته، والصديق وأهله، وأصحابه والمؤمنون، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه، فوقع منهم أعظم موقع وألطفه، وسرّوا به أتم السرور، وحصل لهم به غاية الهناء، فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة، وأنزل الوحي على الفور بذلك؛ لفاتت هذه=

=الحكم وأضعافها، بل أضعاف أضعافها.

وأيضاً: فإن الله -سبحانه- أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده، وكرامتهم عليه، وأن يخرج رسوله عن هذه القضية، ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه، والرد على أعدائه، وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل، ولا ينسب إليه، بل يكون هو وحده المتولي لذلك، الثائر لرسوله وأهل بيته.

وأيضاً: فإن رسول الله ﷺ كان هو المقصود بالأذى، والتي رميت زوجته، فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه -أو ظنه الظن المقارب للعلم -ببرائتها، ولم يظن بها سوءاً قط- وحاشاه، وحاشاها- ولذلك لما استعذر من أهل الإفك؛ قال: «من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»، فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين؛ ولكن لكمال صبره، وثباته، ورفقه، وحسن ظنه بربه، وثقته به، وفيّ مقام الصبر والثبات، وحسن الظن بالله حقه، حتى جاءه الوحي بما أقر عينه، وسر قلبه، وعظم قدره، وظهر لأمته احتفال ربه به، واعتناؤه بشأنه».

وقال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٢٢٨) -ونقله عنه الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٧٧-٤٨٧) باختصار-: «لو فلّيت القرآن كله، وفتشت عما أوعد به العصاة؛ لم تر الله -تعالى- قد غلّظ في شيء تغليظه في إفك عائشة -رضوان الله عليها-، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه: ما أنزل فيه؛ على طرق مختلفة، وأساليب مفتنة، كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث؛ لكفى بها؛ حيث جعل القذفة ملعونيين في الدارين جميعاً، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوافيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله؛ حتى يعلموا عند ذلك أن الله هو الحق المبين، فأوجز في ذلك وأشبع، وفصّل وأجمل، وأكدّ وكرر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين -عبدة الأوثان- إلا ما هو دونه في الفظاعة...

ولقد برأ الله -تعالى- أربعة بأربعة: برأ يوسف بلسان الشاهد ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف:٢٦]، وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه، وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم:٣٠]، وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز، المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات، فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك؟ وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ، والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم، وخيرة الأولين والآخرين، وحجة الله على العالمين.

ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه ﷺ، وتقدم قدمه، وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق؛ فليتلق ذلك من آيات الإفك، وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه».

فلما أنزل الله- عز وجل- هذا في براءتي؛ قال أبو بكر الصديق[١]- وهو ينفق على مسطح بن أثاثة؛ لقرابته، وفقره[٢]-: والله لا أنفق على مسطح شيئاً بعد الذي قال لعائشة[٣]؛ فأنزل الله -عز وجل-: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ[٤] أُوْلُواْ الْفَضْلِ[٥] مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُواْ أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ[٦] وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[٧]﴾ [النور: ٢٢].

(١) قال الحافظ (٨/ ٤٧٨): «يؤخذ منه مشروعية ترك المؤاخذة بالذنب ما دام احتمال عدمه موجوداً؛ لأن أبا بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقق ذنبه فيما وقع منه».

(٢) علّة أخرى للإنفاق عليه.

(٣) هذا الموقف انتصار من أبي بكر لدينه وليس لنفسه؛ فإنه -رضي الله عنه- لم يقطع النفقة عن مسطح قبل نزول براءة عائشة، وإنما أراد قطعها بعد نزولها، ولو كان انتصاراً لنفسه؛ لفعل ذلك من قبل، فدل هذا الموقف العال على منقبة للصديق -رضي الله عنه-.

(٤) قال الحافظ (٨/ ٤٨٩): «قال أبو عبيدة: معناه: لا يفتعل، من آليت؛ أي: أقسمت، وله معنى آخر من آلوت؛ أي: قصرت، ومنه: ﴿لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقال الفراء: الائتلاء: الحلف».

(٥) قال الآلوسي في «روح المعاني» (١٨/ ٤٣٨): «واستدل بها على فضل الصديق -رضي الله تعالى عنه-؛ لأنه داخل في أولي الفضل قطعاً؛ لأنه وحده أو مع جماعة سبب النزول، ولا يضر في ذلك عموم الحكم لجميع المؤمنين كما هو الظاهر، ولا حاجة إلى دعوى أنها فيها خاصة والجمع للتعظيم، وكونه مخصوصاً بضمير المتكلم مردود على أن فيها ارتكاب خلاف الظاهر ما فيها.

وأجاب الرافضة بأن المراد بالفضل الزيادة في المال، ويرد عليه أنه حينئذ يتكرر مع قوله سبحانه: ﴿وَالسَّعَةِ﴾».

(٦) قال الشنقيطي -رحمه الله- في «أضواء البيان» (٦/ ١٦٢-١٦٣): «في هذه الآية الكريمة دليل على أن كبائر الذنوب لا تحبط العمل الصالح؛ لأن هجرة مسطح بن أثاثة من عمله الصالح، وقذفه لعائشة من الكبائر ولم يبطل هجرته؛ لأن الله قال فيه بعد قذفه لها: ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فدل ذلك على أن هجرته في سبيل الله، لم يحبطها قذفه لعائشة -رضي الله عنها-».

(٧) هذه أرجى آية في كتاب الله؛ كما نص على ذلك جمهور المفسرين.

فقال أبو بكر: بلى والله؛ إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها عنه أبداً.

قالت: وكان رسول الله ﷺ يسأل[١] زينب بنت جَحْشٍ[٢] عن أمري، فقال لزينب: «ماذا علمت، أو رأيت؟»، قالت: يا رسول الله! أحمي سمعي وبصري[٣]، والله ما علمت إلا خيراً[٤].

وهي التي كانت تساميني[٥] من أزواج النبي ﷺ، فعصمها[٦] الله بالورع[٧]، وطَفِقَتْ أختها حَمْنة[٨] تحارب لها[٩]؛ فهلكت فيمن هلك[١٠].

(١) في «ح»: «سأل».

(٢) بفتح الجيم، وإسكان المهملة، وبالمعجمة: أم المؤمنين.

(٣) أي: من الحماية، فلا أنسب إليهما ما لم أسمع وأبصر.

(٤) وهذه الشهادة عظيمة كريمة؛ لأنها صدرت من امرأة مُخْلَصَة، وكانت تسامي عائشة من بين أزواج الرسول ﷺ، ومن أشد المنافسات لها عند رسول الله ﷺ.

وقد عصمها الله بالورع، فحفظت لسانها، واستبرأت لدينها، وكانت عاقبة أمرها خيراً.

(٥) أي: تعاليني، من السمو؛ وهو: العلو والارتفاع؛ أي: تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب، أو تعتقد أن الذي لها عنده مثل الذي لي عنده.

(٦) أي: حفظها ومنعها.

وهذا معنى عصمة نساء النبي من الفاحشة التي في بعض كلام أهل العلم؛ أي: الحفظ. وانظر ما تقدم (ص ١٤١-١٤٦).

(٧) أي: بالمحافظة على دينها، ومجانبة ما تخشى سوء عاقبته.

(٨) طفقت -بكسر الفاء، وحكي فتحها-؛ أي: جعلت، أو شرعت.

حمنة: بفتح المهملة، وسكون الميم، وكانت تحت طلحة بن عبيد الله.

(٩) أي: تجادل لها، وتتعصب، وتحكي ما قال أهل الإفك؛ لتنخفض منزلة عائشة، وتعلو مرتبة أختها زينب.

(١٠) أي: حدثت فيمن حدث، أو أثمت مع من أثم.

قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٨١-٤٨٢): «يؤخذ من سياق عائشة -رضي الله عنها- جميع قصتها المشتملة على براءتها: بيان ما أجمل في الكتاب والسنة لسياق أسباب ذلك،=

قال ابن شهاب: هذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط.

قال[١]: وثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب؛ قال: (و)[٢] قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل له ليقول: والله؛ ما كشفت عن كَنَفِ أنثى قَطُّ[٣].

قالت: ثم قُتِل بعد ذلك في سبيل الله- عز وجل-[٤].

=وتسمية من يعرف من أصحاب القصص؛ لما في ضمن ذلك من الفوائد الأحكامية والآدابية وغير ذلك.

وبذلك يعرف قصور من قال: براءة عائشة ثابتة بصريح القرآن؛ فأي فائدة لسياق قصتها ؟!!».

وقال أبو محمد بن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٣/ ٤٢): «ظاهر الحديث يدل على براءة عائشة -رضي الله عنها- مما تحدث به فيها؛ لكن قد يرد عليه اعتراض، وهو أن يقال: براءتها قد علمت من كتاب الله -عز وجل-، فما فائدة الإخبار بذلك ثانية؟

والجواب عنه: أن القرآن إنما نزل في براءتها من نفس ما رميت به، وبقي تشوّف النفوس السوء لأن يكون هناك موجب لما قيل عنها، أو سبب من أسباب ما رميت به، فيكون وقوعاً ثانياً قريباً مما برئت منه».

(١) يعني: محمد بن خالد الواسطي، أو أحمد بن محمد بن أيوب.

(٢) سقطت من «م».

(٣) أي: جامعتها، والكنف- بفتحتين-:الثوب الساتر،وانظر -لزاماً- (ص١٤٥-١٤٦).

(٤) صحيح- أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٨/ ٣٣٩-٣٤٧/ ٤٩٣٣و٣٤٨-٣٥٢/ ٤٩٣٥) بسنده سواء.

والحديث في «المستخرج» للحافظ الإسماعيلي.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٧٣-٧٦/ ١٤٣): ثنا الحسين بن إسحاق التُستَريُّ، عن محمد بن خالد الواسطي به.

وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤٢/ ٤١٦-٤١٨/ ٢٥٦٢٤): ثنا بهز بن أسد، والبخاري في «صحيحه» (٧/ ٤٣١-٤٣٥/ ٤١٤١و٨/ ٣٦٢-٣٦٣/ ٤٦٩٠و١١/ ٥٤٦-٥٤٧/ ٦٦٦٢و٥٦٤/ ٦٦٧٩و١٣/ ٣٣٩-٣٤٠/ ٧٣٦٩)، و«التاريخ الأوسط» (١/ ١٢٣/ =

=١٢١)- ومن طريقه أبو الحسين البغوي في «معالم التنزيل» (٦/ ١٨-٢٢)-، وأبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في«إتحاف المهرة بأطراف العشرة» (١٧/ ٢٢٩-٢٣٠) عن عبد العزيز بن عبد الله الأويسي، ومسلم في «صحيحه» (٤/ ٢١٣٧/ ٥٧)، وأحمد (٤٢/ ٤١٨/ ٢٥٦٢٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٦٨-١٦٩/ ٨٨٨٢و١٠/ ١٣٢-١٣٣/ ١١١٨٧)، وأبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٣٠)، وأبو محمد -القاسم بن ثابت- السرقسطي في «الدلائل في غريب الحديث» (٣/ ١١٠٥/ ٦٠٨) من طرق عن يعقوب بن إبراهيم؛ ثلاثتهم عن إبراهيم بن سعد به.

وتابع صالح بن كيسان عليه جماعة؛ منهم:

١- معمر بن راشد: أخرجه أحمد (٤٢/ ٤٠٤-٤١٢/ ٢٥٦٢٣)- ومن طريقه ابن الجوزي في «المنتظم» (٣/ ٢٢١-٢٢٥)-، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢/ ٥١٦-٥٢٤/ ١١٠٤)- وعنه مسلم في «صحيحه»(٤/ ٢١٢٩-٢١٣٧/ ٢٧٧٠)-ومن طريقه ابن عساكر في «الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٦٠-٦٨/ ٩)-، وابن حبان في «صحيحه» (١٠/ ١٣-٢٢/ ٤٢١٢-«إحسان»)-، وأبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة»(١٧/ ٢٢٩)- ومن طريقه أبو إسحاق الثعلبي في «الكشف والبيان»(٧/ ٧٢-٧٦)-، وابن الجارود في «المنتقى» (٣/ ٤٨-٤٩/ ٧٢٣)، ويعقوب بن سفيان الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٣٩٣)، ومسلم في «صحيحه» (٤/ ٢١٢٩-٢١٣٧/ ٢٧٧٠)- ومن طريقه ابن عساكر في «الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٦٠-٦٨/ ٩)-، والآجري في «الشريعة» (٥/ ٢٤٢٦/ ١٩٠٧)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣١٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٤١-٤٥/ ١٣٣) - ومن طريقه الخطيب البغدادي في «الكفاية في معرفة أصول علم الرواية» (١/ ١٦٥-١٦٦/ ٧٦)-، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥٨٦-٥٨٧/ ٥١١)، و«دلائل النبوة» (٤/ ٧٢)، ومحمد بن يحيى الذهلي في «الزهريات» -ومن طريقه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ١٠٥٠/ ١٩٤٦و٨/ ١٤٢٩-١٤٣٣/ ٢٧٥٧) -من طرق عن عبد الرزاق بن همام- وهذا في «المصنف» له (٥/ ٤١٠-٤١٩/ ٩٧٤٨)، و«التفسير» (٢/ ٥١-٥٢)- عن معمر به.

وأخرجه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٤٥١/ ٤٧٤٩)، وابن مردويه في «تفسيره»؛ كما في «فتح الباري» (٨/ ٤٥١) من طريق سفيان الثوري، وابن ماجه (١/ ٦٣٤/ ١٩٧٠)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢/ ٥١٦/ ١١٠٣)، وأبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٢٩) من طريق يحيى بن اليمان، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٩٨-٢٠١/ ١١٢٩٦)، والطبري في «جامع البيان» (١٧/ ١٩٥و١٩٧-٢٠٤) من طريق=

=محمد بن ثور، وعبد الله بن أحمد في «السُنة» (١/ ١٤٣/ ١١٥) من طريق أبي سفيان المعمري، والآجري في «الشريعة» (٥/ ٢٤٢٦/ ١٩٠٧) من طريق عبيد الله بن معاذ، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٦٣) من طريق حماد بن زيد، ستتهم عن معمر به.

قال ابن عساكر:«هذا حديث صحيح من حديث أبي بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري- كان كبير القدر، وافر العلم- عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة- وهم من الفقهاء السبعة-، ومن حديث علقمة بن وقاص؛ كلهم عن أم المؤمنين- الصديقة رضي الله عنه-».

٢- يونس بن يزيد الأيلي: أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥/ ٢١٨/ ٢٥٩٣[1] و٢٩٣/ ٢٦٨٨)، ومسلم في «صحيحه» (٤/ ٢١٢٩-٢١٣٧/ ٢٧٧٠)- ومن طريقه ابن عساكر في «الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٦٠-٦٨/ ٩)-، وأحمد (٤١/ ٣٥٢-٣٥٣/ ٢٤٨٥٩)، والدارمي في «مسنده» (٨/ ٤٢٠/ ٢٣٤٩-«فتح المنان»)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٧/ ٣٦٢ -٣٦٣/ ٤٣٩٧)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢/ ٢٢٢/ ٧٣٠)،والنسائي(٨/ ١٦٧/ ٨٨٨٠)، والبيهقي (٧/ ٢٩٦) من طرق عن عبد الله بن المبارك، والبخاري في «صحيحه» (٨/ ٤٥٢-٤٥٥/ ٤٧٥٠و١٣/ ٥١٨/ ٧٥٤٥)، و«خلق أفعال العباد» (٨٦/ ٢٦٣و٢٦٤)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٤٩/ ٣١١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٨٣)، و «مشكل الآثار» (٢/ ٢١٦/ ٧٤٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٦٤-٧٢و١٠/ ٤١) من طريقين عن الليث بن سعد، والبخاري في «صحيحه» (٥/ ٢٤٨/ ٢٦٣٧و٦/ ٧٧/ ٢٨٧٩و٧/ ٣٢٣/ ٤٠٢٥و١١/ ٥٦٤ / ٦٦٧٩و١٣/ ٤٦٥/ ٧٥٠٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٤٥-٥٠/ ١٣٤) من طريق عبد الله بن عمر النمري، وأبو داود (٢/ ٢٤٣/ ٢١٣٨و٤/ ٢٣٥/ ٤٧٣٥)- ومن طريقه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٣٣٥ / ٥٥٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥ / ٤٤٥-٤٤٦/ ٥٩٩٠)، وأبو عوانة في «صحيحه» (٣/ ١٣٦/ ٤٤٨٠)، وفي (كتاب المنافقين) من «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٣٩-٢٥٤٣) من طرق عن عبد الله بن وهب؛ أربعتهم عن يونس به.

٣- فليح بن سليمان: أخرجه البخاري (٥/ ٢٦٩-٢٧٢/ ٢٦٦١)- ومن طريقه أبو المظفر السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٥٠٧-٥٠٨)-، ومسلم (٤/ ٢١٣٧/ رقم٥٧)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٨/ ٣٢٢-٣٣٣/ ٤٩٢٧)- وعنه ابن حبان في «صحيحه» (١٦/ ١٣-١٩/ ٧٠٩٩-«إحسان»)، ورشيد الدين العطار في «نزهة الناظر في ذكر من حدث عن أبي القاسم البغوي من

=

(١) تحرف في هذا الموضع اسم (يونس) إلى (ثوبان)!! وهو تحريف غريب عجيب؛ فليصحح.

= الحفاظ والأكابر» (ص٨٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص٢١٤-٢١٧)-، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١٤٢-١٤٣/ ١١٤)- وعنه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٥٠-٥٤/ ١٣٥)-، وأبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٣٠)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٢٩٤-٣٠٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٥٠-٥٤/ ١٣٥)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣٠٧-٣١٠)، والعسكري في «الأوائل» (ص٣١٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٠٢و١٠/ ١٥٣)، و«السنن الصغرى» (٣/ ٩٨-٩٩/ ٢٦٢٠) من طرق عنه به.

٤- إسحاق بن راشد: أخرجه أبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٣٠)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٨٣)، و«مشكل الآثار» (٢/ ٢١٥-٢١٦/ ٧٤٦)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٠٠-٣٠١)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ١٤٦٩-١٤٧٠/ ٩٩٠و٥/ ٢٤١٩-٢٤٢٥/ ١٩٠٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٦٥-٦٩/ ١٤١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ١٩٤-١٩٧) من طريق عبيد الله بن عمرو الرقي، عنه به.

٥- محمد بن علي بن شافع: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٦٧/ ٨٨٨١)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٥/ ٤٣٢/ ٤٣٨٥)، وبدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة في «مشيخته» (١/ ٣٠٣-٣٠٤- تخريج البرزالي)، وابن البخاري في «مشيخته» (٢/ ١٤٠١-١٤٠٢/ ٣٧٤)، والذهبي في «معجم الشيوخ» (٢/ ٢٥٤) عن الربيع بن سليمان، ويعقوب بن شيبة في «مسنده»؛ كما في «فتح الباري» (٧/ ٤٣٧)، و«الدر المنثور» (١٠/ ٦٩٦) عن الحلواني، عن الشافعي -وهذا في «المسند» له (٢/ ٤٩/ ٧٨- ترتيبه)، و«الأم» (٥/ ١١١)-: أخبرنا عمي به.

٦- عُقَيْل بن خالد: أخرجه أبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٧٧-٨١/ ١٤٤) من طريق محمد بن عزيز، عن سلامة بن روح، عنه به.

٧- محمد بن إسحاق: أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣١٠-٣١١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٨٣)، وأبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٣٠و٢٣١)، والطبري في «جامع البيان» (١٧/ ٢٠٤)، و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٣/ ٦٧-٧٠)، وعبد الكريم بن الهيثم الديرعاقولي في «جزء فيه حديث الإفك» (ق٤٢/ أ-ب)- ومن طريقه الخطيب البغدادي في «الكفاية في معرفة أصول علم الرواية» (١/ ٣٠٨/ ٢٥٨)، وابن اللمش في «تاريخ دُنيسر» (٧٥-٨٤) - من طرق عن محمد بن إسحاق -وهذا في «السيرة» له(ص٩٧٢-٩٧٧- ابن هشام)- عن الزهري به. =

= ٨- عطاء بن عبد الله بن أبي مسلم الخراساني: أخرجه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢/ ٢٢٠-٢٢١/ ٧٢٩)- ومن طريقه الطبراني في «مسند الشاميين» (٣/ ٣٣٣-٣٣٦/ ٢٤٢٥)، و«المعجم الكبير» (٢٣/ ٦١-٦٥/ ١٤٠)-، وأبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٣١و٢٣١-٢٣٢)، والآجري في «الشريعة» (٥/ ٢٤٢٦/ ١٩٠٦)، و«طرق حديث الإفك»؛ كما في «فتح الباري» (١٣/ ٣٤٤)، والخولاني في «تاريخ داريا» (ص١٠٥)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٩٢)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣/ ٣٣٢-٣٣٦/ ٢٤٢٥)، و«المعجم الكبير» (٢٣/ ٦١-٦٥/ ١٤٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص ٢١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ٢٢٨-٢٣١) من طرق عنه، عن الزهري به؛ لكن قال (عن أبي سلمة) بدل (علقمة بن وقاص).

٩- حميد بن قيس الأعرج: أخرجه أبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٣١).

١٠- سفيان بن عيينة: أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٦٩) من طريق إسماعيل بن موسى عنه به.

كذا رواه إسماعيل- وهو صدوق يخطىء-، وخالفه يوسف بن سلمان الباهلي- وهو صدوق ثقة-، فرواه عن سفيان به؛ لكن قال: ثنا سفيان عن عيينة؛ قال: حدثونا عن الزهري. قيل لسفيان: عمن هذا الحديث؟ فقائل: عن وائل بن داود ومحمد بن إسحاق، عن الزهري.

أخرجه أبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٣٠-٢٣١).

فهذا صريح أن سفيان لم يسمعه من الزهري؛ وهو المحفوظ.

وأخرج رواية وائل بن داود- أيضاً-: الديرعاقولي في «جزئه» (ق٤٢/ أ-ب)- ومن طريقه ابن اللمش في «تاريخ دنيسر» (ص ٧٥-٨٤)، والخطيب البغدادي في «الكفاية في معرفة أصول علم الرواية» (١/ ٣٠٨/ ٢٥٨)-.

١١- بكر بن وائل بن داود: أخرجه إبراهيم بن إسحاق الحربي في «غريب الحديث» (١/ ٣١٩) من طريق سفيان بن عيينة، عن وائل بن داود، عن ابنه- في (المطبوع): أبيه؛ وهو تصحيف- بكر بن وائل، عن الزهري به.

فلعل وائل بن داود كان يرويه من الوجهين؛ مرة عن الزهري مباشرة- كما رواه من طريقه أبو عوانة والديرعاقولي-، ومرة عن ابنه عن الزهري -كما عند الحربي-، والله أعلم.

١٢و١٣- زياد بن سعد ، ويعقوب بن عطاء: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٨٨-٨٩/ ١٤٨) من طريق موسى بن طارق، عن زمعة بن صالح-وهو ضعيف-، عنهما به. =

٢- أخبرنا عبد الله بن محمد: أنبأ عبد القادر بن محمد: أنبأ الحسن بن علي: أنبأ أحمد بن جعفر: ثنا عبد الله: حدثني أبي: ثنا (أبو)[1] أسامة: ثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة؛ قالت:

= ١٤- صالح بن أبي الأخضر -وهو ضعيف، يعتبر به-: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٨٥-٨٨/ ١٤٧).

١٥- ابن جريج- وهو مدلس وقد عنعن-: أخرجه أبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٣٠)، والطبراني (٢٣/ ٥٤-٥٧/ ١٣٨).

١٦- معاوية بن يحيى الصدفي- وهو ضعيف-: أخرجه أبو عوانة.

١٧- محمد بن عبد الرحمن بن أبي عتيق: أخرجه أبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٣٠)، والطبراني (٢٣/ ٥٧-٦١/ ١٣٩) من طريق مسلم بن خالد الزنجي- وهو ضعيف-، عنه به.

١٨و١٩- عبيد الله بن عمر العمري، ويحيى بن سعيد الأنصاري: أخرجه أبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٣٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٦٩-٧٣/ ١٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ٢٥٢-٢٥٨/ ٦٦٢٨) من طريق إسحاق بن محمد الفروي- وهو صدوق، كُفَّ؛ فساء حفظه-، عن مالك بن أنس، عنهما به.

قال البيهقي: «هذا حديث مخرج في «الصحيحين» من حديث يونس بن يزيد، وصالح ابن كيسان، وفليح بن سليمان، وغيرهم عن الزهري.

وهو غريب من حديث مالك عن عبد الله بن عمر، ويحيى بن سعيد عن الزهري، تفرد به إسحاق بن محمد الفروي».

٢٠- إسماعيل بن رافع- وهو ضعيف-: أخرجه الطبراني (٢٣/ ٨٥ / ١٤٦) من طريق أبي معشر- وهو ضعيف، أسن واختلط-،عن إسماعيل به.

٢١- أفلح بن عبد الله بن المغيرة: أخرجه الطبراني (٢٣/ ٨١-٨٥/ ١٤٥و٨٥/ ١٤٦)، وابن مردويه في «تفسيره»؛ كما في «الفتح» (٨/ ٤٥٦) من طريق أبي معشر، عنه به.

٢٢- الوليد بن محمد الموقري- وهو متروك-: أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٠١ - ٣٠٥) من طريق سويد بن سعيد- عمي؛ فصار يتلقن ما ليس من حديثه-، عنه به.

(١) سقطت من «م»! فأفسدت المعنى والمبنى.

لما ذكر من شأني الذي ذكر -وما عَلِمْتُ [به][(١)]-؛ قام رسول الله ﷺ فيَّ خطيباً -(وما علمت به)[(٢)]- فتشهد، فحمد الله -عزَّ جل-، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

«أما بعد؛ فأشيروا[(٣)] عليَّ في أناس أبَنُوا[(٤)] أهلي، و[أيم][(٥)] الله؛ ما علمت على أهلي سوءاً قط[(٦)]، وأبنوهم بمن- والله- ما علمت عليه من سوء قط، ولا دخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غاب معي».

فقام سعد بن معاذ، فقال: نرى[(٧)] يا رسول الله! أن تضرب[(٨)] أعناقهم، فقام رجل من بلخزرج[(٩)]- وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل-،

(١) ليست في «الأصل»، والزيادة من «المسند».

(٢) سقطت من «ح»!

(٣) في «م»: «أشيروا».

(٤) قال الحافظ (٨/ ٤٧٠-٤٧١): «هو بفتح الموحدة الخفيفة، والنون المضمومة، وحكى عياض أن في رواية الأصيلي: بتشديد الموحدة (أبنوا) -وهي لغة-، ومعناه: عابوا أهلي، أو اتهموا أهلي، وهو المعتمد؛ لأن الأبَنَ -بفتحتين-: التهمة. وقال ابن الجوزي: المراد رموا أهلي بالقبيح.

وحكى عياض أن في رواية عبدوس: بتقديم النون الثقيلة على الموحدة (أنبوا)، قال: وهو تصحيف؛ لأن التأنيب: هو اللوم الشديد، ولا معنى له هنا. انتهى.

قال النووي: وقد يوجه بأن المراد: لاموهم أشد اللوم فيما زعموا أنهم صنعوه، وهم لم يصنعوا شيئاً من ذلك؛ لكنه بعيد من صورة الحال، والأول هو المعتمد. قال النووي: التخفيف أشهر».

(٥) زيادة من «المسند».

(٦) في «ح»: «ما علمت على أهلي إلا خيراً سوءاً قط»!!

(٧) في «م»: «ترى»- بمثناة-!

(٨) في «ح»: «نضرب»- بنون-!

(٩) في «ح»: «الخزرج».

فقال: كذبت، أما والله لو كانوا من الأوس؛ ما أحببت أن تُضرب أعناقهم؛ حتى كاد[١] أن يكون من الأوس والخزرج في المسجد [شر][٢]، وما علمت به.

فلما كان مساء ذلك اليوم؛ خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح، فَعَثَرَتْ، فقالت: تعس مسطح! فقلت: علام تسبين ابنك؟! فسكتت، ثم عثرت الثانية، فقالت: تعس مسطح! فقلت: علام تسبين ابنك؟! ثم عثرت الثالثة [فقالت: تعس مسطح][٣]، فقلت: علام تسبين ابنك؟! فانتهرتها[٤]، وقلت: علام تسبين ابنك؟ فقالت: والله ما أسبه إلا فيك، فقلت: في أي شأني؟! فذكرت لي الحديث. فقلت: وقد كان ذلك؟! قالت: نعم؛ والله.

فرجعت إلي بيتي، لكأن[٥] الذي خرجت له لم أخرج له، لا أجد[٦] منه قليلاً ولا كثيراً، ووعكت، فقلت لرسول الله ﷺ: أرسلني إلى بيت أبي، فأرسل معي الغلام[٧]، فدخلت الدار، فإذا أنا بأم رومان، فقال: ما جاء بك (يا بُنية)[٨]؟! فأخبرتها، فقالت: خفِّضي عليك الشأن؛ فإنه- والله- لقلما كانت امرأة جميلة تكون عند رجل يحبها، ولها ضرائر؛ إلا حسدنها، وقلن فيها، فقلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم، قلت: ورسول الله ﷺ؟ قالت: ورسول الله ﷺ، فاستعبرت فبكيت، فسمع أبو بكر صوتي، وهو فوق البيت يقرأ، فنزل، فقال

(١) في «الأصل»: «كادوا»، والتصويب من «المسند».

(٢) زيادة من «المسند»، والسياق يقتضيها ولا بد.

(٣) زيادة من «المسند».

(٤) في «م»: «وانتهرتها».

(٥) في «م»:«فكأن».

(٦) في «ح»: «أحد»- بحاء مهملة!-.

(٧) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٤٦٧): «ولم أقف على اسم هذا الغلام».

(٨) سقطت من «ح».

لأمي: ما شأنها؟ فقالت: بلغها الذي ذكر من أمرها؛ ففاضت عيناه، فقال: أقسمت عليك يا بنية! إلا رجعت، فرجعت.

وأصبح أبواي عندي؛ فلم[١] يزالا عندي حتى دخل عليَّ رسول الله ﷺ بعد العصر، وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي، فتشهد النبي ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، يا عائشة! إن كنت قارفت سوءاً، أو ظلمت؛ توبي إلى الله -عز وجل-؛ فإن الله -عز وجل- يقبل التوبة عن عباده».

وقد جاءت[٢] امرأة من الأنصار فهي جالسة بالباب، فقلت: (ألا تستحي من هذه المرأة أن تقول شيئاً؟)[٣]، فقلت لأبي: أجبه، فقال: أقول ماذا؟ فقلت لأمي: أجيبيه، فقالت: أقول ماذا؟

فلما لم يجيباه؛ تشهدت، فحمدت الله- عز وجل-، وأثنيت عليه بما هو أهله، ثم قلت: أما بعد؛ فوالله لئن قلت لكم: إني لم أفعل-والله -جل جلاله- يشهد أني لصادقة-؛ ما ذاك بنافعي[٤] عندكم، لقد تكلمتم به وأشربته[٥] قلوبكم، ولئن قلت لكم: إني قد فعلت -والله- جل وعز- يعلم[٦] أني لم أفعل-؛ لتقولن: قد باءت به على نفسها؛ فإني- والله- ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف-[و] ما أحفظ اسمه-: صبر[٧] جميل والله المستعان على ما تصفون.

ونزل على رسول الله ﷺ ساعتئذ، فرفع عنه، وإني لأستبين السرور في وجهه، وهو يمسح جبينه، وهو يقول: «أبشري يا عائشة! فقد أنزل الله -عز

(١) في «ح»:«ولم».

(٢) في «م»: «جات».

(٣) ما بين قوسين مكرر في «الأصل».

(٤) في «ح»: «بشافعي»!

(٥) في «ح»: «أسرته»- بمهملة-، وحذف الموحدة-!

(٦) في «م»: «والله- عز وجل-يعلمم!».

(٧) في «م»: «فصبر»! بزيادة فاء.

وجل- براءتك»، فكنت[١] أشد ما كنت غضباً، فقال لي أبواي: قومي إليه، قلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمده، ولا أحمدكما، لقد سمعتموه؛ فما أنكرتموه ولا غيرتموه، ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي.

ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتي، فسأل الجارية عني، فقالت: لا والله، لا أعلم عليها عيباً؛ إلا أنها كانت تنام حتى تدخل الشاة [فتأكل][٢] خميرتها، أو عجينتها[٣]-شك هشام-، فانتهرها بعض أصحابه، وقال: اصدقي رسول الله ﷺ؛ حتى أسقطوا لها به[٤]- قال عروة: فعيب ذلك على من قاله-، فقالت: لا والله، ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر[٥].

(١) في «ح»: «وكنت».

(٢) سقطت من «الأصل»، واستدركتها من «المسند»، والسياق يقتضيها لزوماً.

(٣) في «م»: «عجينها».

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٤٦٩): «يقال: أسقط الرجل في القول: إذا أتى بكلام ساقط، والضمير في «قوله: «به» للحديث، أو الرجل الذي اتهموها به.

وحكى عياض: أن في رواية ابن ماهان في «مسلم»: «حتى أسقطوا لهاتها» -بمثناة مفتوحة، وزيادة ألف بعد الهاء-، قال: وهو تصحيف؛ لأنهم لو أسقطوا لهاتها: لم تستطع الكلام، والواقع أنها تكلمت، فقالت: سبحان الله ... إلخ.

وفي رواية حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة عند الطبراني: فقال: «لست عن هذا أسألك»، قالت: فعمه؟ فلما فطنت؛ قالت: سبحان الله...!»، وهذا يدل على أن المراد بقوله في الرواية: «حتى أسقطوا لها به»: حتى صرحوا لها بالأمر؛ فلهذا تعجبت، وقال ابن الجوزي: «أسقطوا لها به»؛ أي: صرحوا لها به بالأمر، وقيل: جاءوا في خطابها بسقط من القول».

(٥) قال الحافظ (٨/ ٤٧٠): «أي: كما لا يعلم الصائغ من الذهب الأحمر إلا الخلوص من العيب؛ فكذلك أنا لا أعلم منها إلا الخلوص من العيب، وفي رواية ابن حاطب عن علقمة: فقالت الجارية الحبشية: والله لعائشة أطيب من الذهب، ولئن كانت صنعت ما قال الناس؛ ليخبرنك الله. قالت: فعجب الناس من فقهها».

وبلغ ذلك[١] الرجل الذي قيل فيه، فقال: سبحان الله! والله؛ ما كشفت كَنَف[٢] أنثى قط.....

(١) في «ح»:«الأمر»!

(٢) بفتحتين: الثوب الساتر.

وقد أشكل كلام صفوان بن المعطَّل -رضي الله عنه- هذا- بما أخرجه أبو داود (٢/ ٣٣٠ / ٢٤٥٩)، وأحمد (٣/ ٨٠و٨٤-٨٥)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ١٥٧)، وعبد الله ابن أحمد في «زوائد المسند» (٣/ ٨٠)، وأبو يعلى في «مسنده»(٢/ ٣٠٨/ ١٠٣٧ و٣٩٨/ ١١٧٤) -وعنه ابن حبان في «صحيحه»(٤/ ٣٥٤-٣٥٥/ ١٤٨٨-«إحسان»)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/ ١١٣-١١٤)-، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٥/ ٢٨٦-٢٨٧/ ٢٠٤٤)، والبزار في «مسنده»؛ كما في «فتح الباري» (٨/ ٤٦٢)، والحاكم (١/ ٤٣٦)، والبيهقي (٤/ ٣٠٣) من طريق الأعمش: حدثنا أبو صالح السمان، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: جاءت امرأة صفوان بن المعطل إلى النبي ﷺ ونحن عنده، فقالت: يا رسول الله! إن زوجي صفوان ابن المعطل يضربني إذا صليت، ويفطرني إذا صمت، ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، قال: وصفوان عنده، قال: فسأله عما قالت، فقال: يا رسول الله! أما قولها: يضربني إذا صليت؛ فإنها تقرأ بسورتين فتعطلني، وقد نهيتها عنهما، قال: فقال: «لو كانت سورة واحدة؛ لكفت الناس»، وأما قولها: يفطرني؛ فإنها تنطلق فتصوم، وأنا رجل شاب فلا أصبر، فقال رسول الله ﷺ يومئذ: «لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها»، وأما قولها: إني لا أصلي حتى تطلع الشمس؛ فإنا أهل بيت قد عرف لنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس، قال: «فإذا استيقظت؛ فصلِّ».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي.

ووافقهما شيخنا الإمام الألباني-رحمه الله- في «الصحيحة» (١/ ٧٥٢)، و«إرواء الغليل» (٧/ ٦٥).

وقال الحافظ في «الإصابة» (٢/ ١٩١):«إسناده صحيح».

قال البزار: «هذا الحديث كلامه منكر! ولعل الأعمش أخذه من غير ثقة فدلسه؛ فصار ظاهر سنده الصحة، وليس للحديث عندي أصل».

=

فقتل شهيداً في سبيل الله[١].

قالت عائشة: فأما زينب بنت جَحْش؛ فعصمها الله بدينها[٢]، فلم تقل إلا خيراً. وأما أختها -حَمْنَةُ-؛ فهلكت فيمن هلك.

= قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٦٢): «وما أعله به ليس بقادح؛ لأن ابن سعد صرح في روايته بالتحديث بين الأعمش وأبي صالح، وأما رجاله؛ فرجال «الصحيح»، ولما أخرجه أبو داود؛ قال بعده: رواه حماد بن سلمة، عن حميد- (أو) عن ثابت-، عن أبي المتوكل، عن النبي ﷺ، وهذه متابعة جيدة؛ تؤذن بأن للحديث أصلاً، وغفل من جعل هذه الطريق الثانية علة للطريق الأولى.

وأما استنكار البزار ما وقع في متنه؛ فمراده أنه مخالف للحديث عن عائشة -في قصة الإفك-؛ قال: فبلغ الأمر ذلك الرجل- تعني: صفوان بن المعطل-، فقال: سبحان الله! والله؛ ما كشفت كنف أنثى قط؛ أي: جامعتها، والكنف- بفتحتين-: الثوب الساتر...

والجمع بينه وبين حديث أبي سعيد على ما ذكر القرطبي: أن مراده بقوله: ما كشفت كنف أنثى قط؛ أي بزنا.

قلت (الحافظ): وفيه نظر؛ لأن في رواية سعيد بن أبي هلال،عن هشام بن عروة، في قصة الإفك: إن الرجل الذي قيل فيه ما قيل لما بلغه الحديث؛ قال: والله؛ ما أصبت امرأة قط حلالاً ولا حراماً...».

فالذي يظهر: أن مراده بالنفي المذكور: ما قبل هذه القصة، ولا مانع أن يتزوج بعد ذلك؛ فهذا الجمع لا اعتراض عليه».

وقال في «الإصابة»: «وقد أورد هذا الإشكال- قديماً- البخاري، ومال إلى تضعيف حديث أبي سعيد، ويمكن أن يجاب بأنه تزوج بعد ذلك».

قلت: وأورد هذا الإشكال-أيضاً-وردَّه: الإمام ابن قيم الجوزية-رحمه الله- في «تهذيب سنن أبي داود» (٣/ ٣٣٦)، فقال: «وفي هذا نظر؛ فلعله تزوج بعد ذلك، والله أعلم».

(١) قال الحافظ (٨/ ٤٦١): «ومرادها: أنه قتل بعد ذلك، لا أنه في تلك الأيام.

وقد ذكر ابن اسحاق أنه استشهد في غزاة إرمينية، في خلافة عمر سنة تسع عشرة، وقيل: بل عاش إلى سنة أربع وخمسين، فاستشهد بأرض الروم في خلافة معاوية».

(٢) في «ح»: «بالورع بدينها»! وهو خطأ، وقد ضرب في «الأصل» على كلمة (الورع).

وكان الذين تكلموا فيه: المنافق عبد الله بن أُبي- كان يستوشيه ويجمعه، وهو الذي تولى كِبْره منهم-، ومسطح، وحسان بن ثابت[١].

فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً؛ فأنزل الله -عز وجل-: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ [مِنكُمْ][٢] وَالسَّعَةِ﴾؛ يعني: أبا[٣] بكر -رضي الله عنه- ﴿أَن يُؤْتُواْ أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ﴾؛ يعني: مسطحاً[٤] ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]؛ فقال أبو بكر: بلى والله، إنا لنحب أن يغفر الله لنا: وعاد أبو بكر لمسطح بما كان يصنع له[٥].

(١) وقد ظن بعض خلفاء بني أمية أن علياً -رضي الله عنه- ممن تولى كبر الإفك وقذف عائشة -رضي الله عنها-، فرد عليه الإمام الزهري -جزاه الله خيراً- (انظر ص ١١٧ و١٣٨)، و«الذيل» (رقم ٢١٩).

(٢) سقطت من «الأصل».

(٣) في «ح»: «تأبا»!

(٤) في «الأصل»: «مسطح».

(٥) صحيح- أخرجه الحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ٢٦٥-٢٦٦) من طريق أبي القاسم بن الحصين، عن أبي علي الحسن بن علي بن المذهب به.

والحديث في «المسند» للإمام أحمد(٤٠/ ٣٦٨-٣٧٢/ ٢٤٣١٧) بسنده سواء.

وأخرجه المصنف- كما سيأتي بعد هذا مباشرة- من طريق الطبراني- وهذا في «المعجم الكبير» له (٢٣/ ٩١-٩٣/ ١٥٠)- من طريق سهل بن عثمان، عن أبي أسامة به.

وأخرجه مسلم في «صحيحه» (٤/ ٢١٣٧-٢١٣٨/ رقم ٥٨)، والقاسم بن ثابت السرقسطي في «الدلائل في غريب الحديث» (٣/ ١١١٢/ ٦١٢) وأبو نعيم الأصبهاني في «المستخرج على صحيح مسلم»- ومن طريقه الحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ٢٦٦-٢٦٨)- من طريق أبي بكر بن أبي شيبة- وهذا في «مسنده»؛ كما في «الفتح» (٨/ ٤٥٦)-، ومسلم في «صحيحه» (٤/ ٢١٣٧-٢١٣٨/ رقم ٥٨): ثنا أبو كريب -محمد بن العلاء- الهمداني، والترمذي (٥/ ٣٣٢-٣٣٥/ ٣١٨٠): ثنا محمود بن غيلان، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٤٤-٢٥٤٥و٢٥٥٤و٢٥٥٥): ثنا أبو سعيد -عبد الله بن سعيد- الأشج، والطبري في «جامع البيان» (١٧/ ١٩٥و٢٠٦-٢٠٩): ثنا سفيان بن وكيع، والسرقسطي في «الدلائل في غريب الحديث» (٣/ ١١١٢/ ٦١٢)، والإسماعيلي في «المستخرج»؛ كما في=

=«تغليق التعليق» (٤/ ٢٦٩)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٥٦) من طريق هارون بن عبد الله الحمال وعثمان بن أبي شيبة، وأبو ذر الهروي في «روايته لصحيح البخاري»؛ كما في «تغليق التعليق» ٤/ ٢٦٥) من طريق إسحاق بن بهلول، والفربري في «زوائده على صحيح البخاري- رواية المستملي»؛ كما في «الفتح» (٨/ ٤٨٩) من طريق حميد بن الربيع، والحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ٢٦٦-٢٦٨) من طريق الحسن بشر؛ عشرتهم عن أبي أسامة به.

والحديث رواه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٤٨٧-٤٨٨/ ٤٧٥٧) معلقاً مجزوماً به.

قال الترمذي:«هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث هشام بن عروة».

وتابع أبا أسامة جماعة؛ منهم:

١- حماد بن سلمة: أخرجه أبو داود (٤/ ٣٥٥-٣٥٦/ ٥٢١٩)- ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٠١)-، وأبو يعلى في «مسنده» (٨/ ٣٣٥-٣٣٨/ ٤٩٣١)، وأبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «الفتح» (٨/ ٤٥٦)،وابن شبة في «تاريخ المدينة»(١/ ٣٠٧-٣٠٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٨٩-٩١/ ١٤٩) من طرق عن حماد به.

٢- يحيى بن أبي زكريا الغساني- وهو ضعيف-: أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٣/ ٣٤٠/ ٧٣٧٠).

٣- عبد الرحمن بن أبي الزناد- وهو صدوق-: أخرجه البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٧/ ٣١٠/ ٥٧٩٩).

٤- فليح بن سليمان الخزاعي: أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥/ ٢٦٩-٢٧٢/ ٢٦٦١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٨/ ٣٣٤/ ٤٩٢٩)- وعنه ابن حبان في «صحيحه» (١٦/ ١٩/ ٧١٠٠- «إحسان»)-، وأبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٢٣٠)[1]، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٥٤/ ١٣٦)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦/ ١٩/ ٧١٠٠-«إحسان») من طرق عنه به.

٥- أبو أويس -عبد الله بن عبد الله بن أويس- الأصبحي المدني: أخرجه أبو عوانة في«صحيحه»-ومن طريقه الثعلبي في «الكشف والبيان»(٧/ ٧٦-٧٧)- عن محمد بن حرب المديني ومحمد بن إسماعيل الصائغ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٩٣-٩٩/ ١٥١) -ومن طريقه المصنف- كما سيأتي (رقم ٥)- عن علي بن المبارك وعبيد الله العمري؛ أربعتهم عن إسماعيل بن أبي أويس، عن أبيه به.

.....

(١) تصحف فيه اسم (فليح) إلى (صالح!!)؛ فليصحح.

صحيح، رواه مسلم عن أصحاب أبي أسامة، والبخاري من غير سماع.

ورواه عن هشام سوى أبي أسامة: أبو أويس، ومالك بن أنس، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ويونس بن بكير، وعلي بن مسهر، وغيرهم.ا.هـ

٣-أخبرنا حبيب بن إبراهيم: أنبأ محمود بن إسماعيل: أنبأ أحمد بن محمد ابن الحسين: ثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني: ثنا عبد الرحمن بن سلم[١] الرازي: ثنا سهل بن عثمان: ثنا أبو أسامة: ثنا هشام بن عروة: حدثني أبي، عن عائشة؛ قالت:

لما ذكر من شأني الذي ذكر -وما علمت [به][٢]-؛ قام فيَّ رسول الله ﷺ خطيباً، فتشهد، فحمد الله، وأثنى[٣] عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد؛ أشيروا عليَّ في أناس أبنوا أهلي، والله ما علمت على أهل بيتي من سوء قط، وأبنوهم

= ٦- مالك بن أنس: أخرجه الدارقطني في «الغرائب»؛ كما في «الفتح» (٨/ ٤٥٦).

٧و٨و٩- سعيد بن أبي هلال، وعلي بن مسهر، والوضاح بن عبد الله اليشكري- أبو عوانة-:

أخرج روايتهم أبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «الفتح» (٨/ ٤٥٦).

١٠- يونس بن بكير: أخرجه الذهبي في «تاريخ الإسلام- المغازي» (ص٢٦٩-٢٧٢) من طريق أحمد بن عبد الجبار العطاردي، عن يونس به.

قال الذهبي: «هذا حديث عال، حسن الإسناد».

وأما متابعة حماد بن زيد- التي أشار إليها المصنف رحمه الله-؛ فلم أظفر بها حتى الساعة، فنظرة إلى ميسرة.

(١) في «ح»: «سالم»؛ وهو خطأ.

وانظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٥٣٠)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٩٠-٦٩١).

(٢) زيادة من «المعجم».

(٣) في «ح»: «فاثنى».

بمن -والله- ما علمت [عليه][(١)] من سوء قط، ولا دخل بيتي إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غاب معي».

فقام سعد بن معاذ، فقال: ترى[(٢)] يا رسول الله! أن نضرب أعناقهم؟ فقام رجل من بلخزرج[(٣)]- وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل- فقال: كذبت، أما والله أن (لو) [(٤)] كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم؛ حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج في المسجد شرٌّ- وما علمت به-.

فلما كان مساء ذلك اليوم؛ خرجت لبعض حاجتي، ومعي أم مسطح، فعثرت، فقالت: تعس مسطح! فانتهرتها، فقلت: أتسبين ابنك؟! فقالت: والله ما أسبه إلا فيك! فقلت: في أيِّ شأني؟! قالت: فبقرت[(٥)] الحديث.

فقلت: وقد كان هذا؟! فقالت: نعم؛ والله.

فرجعت إلى بيتي، لكأن الذي خرجت له لم أخرج له، ولا أجد منه قليلاً ولا كثيراً، ووعكت، فقلت لرسول الله ﷺ: أرسلني إلى بيت أبي؛ فأرسل معي الغلام، فدخلت الدار، فوجدت أم رومان في السفل[(٦)]، وأبو بكر فوق البيت يقرأ، فقالت أمي: ما جاء بك يا بنية؟! فأخبرتها، وذكرت لها الحديث، وإذا هي لم يبلغ منها ما بلغ مني، فقالت: أي بنية! خفضي عليك الشأن؛ فإنه -والله-

(١) زيادة من «المعجم».

(٢) في «ح»: «نرى» -بالنون-!

(٣) في «ح»: «الخزرج».

(٤) سقطت من «ح».

(٥) في «الأصل»: «فقصرت»! وصححت في «الهامش»، وتحرفت في «ح» إلى: «معدن»!! ومعنى بقرت؛ أي: فتحته وكشفته؛ قاله ابن الأثير في «النهاية» (١/ ١٤٥).

(٦) في «ح»: «السفلى».

لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها[١] ولها ضرائر؛ إلا حسدنها، وقيل فيها، قلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم، قلت: ورسول الله ﷺ؟ قالت: نعم.

قالت: فاستعبرت فبكيت، فسمع أبو بكر صوتي، وهو فوق البيت يقرأ، فنزل، فقال لأمي: ما شأنها؟ قالت: بلغها الذي ذكر من شأنها؛ ففاضت عيناه، فقال: أقسمت عليك يا بنية! إلا رجعت إلى بيتك، فرجعت.

قالت: فلقد[٢] جاء رسول الله ﷺ بيتي، فسأل عني خادمي[٣]، فقالت: والله ما علمت عليها عيباً؛ إلا أنها (كانت)[٤] ترقد حتى تدخل الشاة؛ فتأكل خميرتها وعجينها.

قالت: فانتهرها بعض أصحابه، فقال: اصدقي رسول الله ﷺ! فقالت: سبحان الله!ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ من الذهب الأحمر.

فبلغ الأمر ذلك الرجل الذي كان قيل له فيها، فقال: سبحان الله! ما كشفت كنف أنثى قط.

قالت عائشة: وقتل شهيداً في سبيل الله.

قالت: وأصبح أبواي عندي، فلم يزالا عندي حتى دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد صلى العصر، وقد اكتنفني أبواي عن يميني وشمالي؛ فتشهد النبي ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد؛ يا عائشة! فإن كنت قارفت سوءاً، أو ظلمت؛ فتوبي إلى الله؛ فإن الله هو يقبل التوبة عن عباده».

قالت: وقد جاءت امرأة من الأنصار، وهي جالسة بالباب، فقلت[٥]: ألا تستحي من هذه المرأة أن تذكر شيئاً؟ فوعظ رسول الله ﷺ.

(١) في «م»:«رجلها».

(٢) في «ح»:«ولقد».

(٣) في «ح»:«خادمتي».

(٤) سقطت من «ظ».

(٥) في «ح»: «وقلت».

فالتفتُّ إلي أبي، فقلت: أجبه، فقال: أقول ماذا؟ فالتفتُّ إلى أمي، فقلت: أجيبيه، فقالت: أقول ماذا؟

قالت: فلما لم يجيباه؛ تشهدت، فحمدت الله، وأثنيت عليه بما هو أهله، ثم قلت: أما بعد؛ فوالله لئن قلت لكم: إني لم أفعل- والله يشهد أني لصادقة[1]-؛ ما ذاك بنافعي عندكم؛ لقد تكلمتم به، وأشربتموه قلوبكم، ولئن قلت: إني قد فعلت- والله يشهد أني لم أفعل-؛ لتقولن[2]: قد باءت به على نفسها، والله يشهد أني لم أفعل، وإني- والله- ما أجد لي ولكم مثلاً- قالت: فالتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه، فقلت:- إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨].

قالت: فأنزل الله- عز وجل- على رسوله من ساعته، فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه، وهو يمسح جبينه، وهو يقول: «أبشري يا عائشة! فقد أنزل الله - عز وجل- براءتك».

قالت: فكنت أشد ما كنت غضباً، فقال لي أبواي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمده، ولا أحمدكما؛ ولكني أحمد الله الذي أنزل براءتي؛ (لقد سمعتموه فما أنكرتموه، ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي)[3].

وأما زينب بنت جَحْش؛ فعصمها الله بدينها، فلم تقل إلا خيراً، وأما أختها حَمْنة؛ فهلكت فيمن هلك، وكان الذين[4] تكلموا به: مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة، والمنافق عبد الله بن أبي ابن سلول، وهو الذي كان يستوشيه ويجمعهم، وهو الذي تولى كِبْره.

(١) في «ح»: «أني لم أفعل»!

(٢) في «ح»:«ليقولن».

(٣) ما بين قوسين سقط من «ح».

(٤) في «الأصل»: «الذي»،والتصويب من «المعجم الكبير».

فحلف أبو بكر لا ينفع مسطحاً أبداً بنافعة؛ فأنزل الله -عز وجل-:﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾؛ يعني: أبا بكر﴿أَن يُؤْتُواْ أُوْلِي الْقُرْبَى﴾؛ يعني: مسطحاً ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، فقال أبو بكر: بلى والله يا رب! إنا لنحب أن تغفر[1] لنا؛ فعاد لما كان ينفعه به.

صحيح، رواه مسلم عن أبي بكر وأبي كريب، عن أبي أسامة[2].

٤- أخبرنا أبو موسى: أنبأ أبو غالب أحمد بن العباس الكوشيذيُّ: أنبأ أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريذة: أنبأ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني.

(١) في «ح»: «يغفر».

(٢) تقدم تخريجه في الحديث السابق.

٤- إسناده ضعيف، وفي متنه نكارة- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٩٩- ١٠٠/ ١٥٢)، و«المعجم الأوسط» (٦/ ٢٧٠-٢٧٢/ ٦٣٨٩) به.

قلت: وهذا سند ضعيف؛ فيه أربع علل:

الأولى: الانقطاع؛ فإن مقسم بن بُجْرة لا يعرف له سماع من عائشة؛ قاله الإمام البخاري في «التاريخ الأوسط» (١/ ٤٣٨).

وفي «التقريب»: «صدوق يرسل».

الثانية: خصيف -بخاء معجمة، ثم صاد مهملة، آخره فاء، مصغر -هو ابن عبد الرحمن الجزري؛ قال الحافظ ابن حجر: «صدوق سيئ الحفظ، خلط بأخرة».

الثالثة: عتاب بن بشير، صدوق حسن الحديث؛ إلا في روايته عن خصيف الجزري، فإنه ضعيف فيه:

قال الإمام أحمد: «أرجو أن لا يكون به بأس، روى بأخرة أحاديث منكرة، وما أرى أنها إلا من قبل خصيف».

وقال مرة: «أحاديث عتاب عن خصيف منكرة».

وقال ابن عدي: «روى عن خصيف نسخة، وفي تلك النسخة أحاديث ومتون أنكرت عليه». =

ح وأنبأ أبو رشيد حبيب بن إبراهيم بن عبد الله، وأبو غالب محمد بن محمد ابن ناصر بن منصور الأصبهانيان: أنبأ أبو منصور محمود بن إسماعيل الصيرفي: أنبأ أبو الحسين أحمد بن محمد بن الحسين بن فاذشاه: ثنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني: ثنا محمد بن عمرو بن خالد الحرّاني: ثنا أبي: ثنا عتاب بن بشير، عن خُصَيْف، عن مِقْسم، عن عائشة -رضي الله عنها-؛ قالت:

دخلت عليَّ أمُّ مِسْطح، فخرجنا إلى حَيْر (عاد)[1]، فوطئت أم مسطح على عظم أو شوك، فقالت: تعس مسطح. فقلت: بئس ما قلت، ...[2] رجل من أصحاب رسول الله ﷺ. فقالت: أشهد أنك من الغافلات المؤمنات، أتدرين ما قد طار عليك؟ قلت: لا والله، قالت: متى عهد رسول الله ﷺ بك؟ قلت: رسول الله ﷺ يفعل في أزواجه ما أحب، يبدأ بمن أحب منهنَّ، ويأتي من أحب، قالت: فإنه طبق[3] عليك كذا وكذا؛ فخررت مغشياً عليَّ، فبلغ أم رومان، فلما بلغها أن عائشة قد بلغها الأمر؛ جاء -يعني: رسول الله ﷺ- إليها، ودخل عليها، وجلس عندها، وقال: «يا عائشة، إن الله -تعالى- قد وسع التوبة»؛ فازددت السوء إلى ما بي.

فبينا نحن كذلك؛ إذ جاء أبو بكر فدخل عليَّ، فقال: يا رسول الله! ما تنتظر بهذه التي خانتك وفضحتني؟!! قالت: فازددت سوءاً إلى سوء، قالت: فأرسل إلى علي، فقال: «يا علي! ما ترى في عائشة؟»، فقال: قد وسع الله -تعالى- [عليك] النساء، ولكن أرسل إلى بريرة خادمها، فعسى أن تكون قد اطلعت على شيء من أمرها.

= الرابعة : محمد بن عمرو بن خالد الحراني -شيخ الطبراني- لم أر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٣٠) ونسبه للطبراني ، وقال: «وفيه خصيف؛ وقد وثقه جماعة وضعفه آخرون، وبقية رجاله رجال الصحيح!».

(١) زيادة من «المعجم الكبير».

(٢) بياض في الأصل يتسع لكلمتين، ومع ذلك فالكلام متصل؛ كما في السياق.

(٣) أي: عمَّ وانتشر.

فأرسل إلى بريرة، فجاءت، فقال: «أتشهدين أني رسول الله؟»، قالت: نعم، قال: «فإني سائلك عن شيء؛ فلا تكتميني»، قالت: نعم يا رسول الله! ما من شيء تسألني عنه إلا أخبرتك به، ولا أكتمك -إن شاء الله تعالى- شيئاً. قال: «قد كنت عند عائشة، فهل رأيت منها ما تكرهينه؟»، قالت: لا والذي بعثك بالنبوة، ما رأيت منها منذ كنت عندها إلا خلة، قال: «ما هي؟»، قالت: عجنت عجيناً لي، فقلت لعائشة: احفظي هذه العجينة حتى أقتبس ناراً فأختبز[١]، فقامت تصلي، فغفلت عن الخمير، فجاءت الشاة فأكلتها.

فأرسل إلى أسامة -رضي الله عنه[٢]-، فقال: «يا أسامة! ما ترى في عائشة؟»، قال: الله -تعالى- ورسوله أعلم، قال: «لتخبرني بما[٣] ترى فيها»، قال: فإني أرى أن تمسك عنها حتى يحدث الله -تعالى- إليك فيها.

قال: فما كان إلا يسيراً حتى نزل الوحي، فلما نزل؛ جعلنا نرى وجه رسول الله ﷺ، وجاء عذرها من الله -عز وجل-، فقال رسول الله ﷺ: «أبشري يا عائشة! ثم أبشري يا عائشة! فقد أنبأني الله -عز وجل- بعذرك».

فقلت: بغير حمدك وحمد صاحبك.

قالت: فعند ذلك تكلم، وكان إذا أتاها يقول: «كيف تيكم؟».

٥- أخبرنا أبو موسى: أنبأ أبو غالب: أنبأ أبو بكر. وأنبأ حبيب، ومحمد: أنبأ محمود بن إسماعيل: أنبأ أحمد بن محمد بن الحسين؛ قالا: ثنا أبو القاسم الطبراني: ثنا علي بن المبارك الصنعاني، وعبيد الله بن محمد العمري؛ قالا: أنبأ إسماعيل بن أبي أويس: حدثني أبي: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة -رضي الله عنها- بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-.

(١) في «م»: «فأخبز».

(٢) في الأصل: «عنها»!

(٣) في «م»: «ما»!.

٦- قال أبو أويس: وحدثني -أيضاً- عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ثم النجاري، عن عمرة ابنة[١] عبد الرحمن الأنصارية ثم النجارية، عن عائشة -زوج النبي ﷺ-؛ قالت:

كان النبي ﷺ إذا أراد أن يسافر سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فخرج سهم عائشة في غزو النبي ﷺ بني المصطلق من خزاعة، فلما انصرف رسول الله ﷺ وكان قريباً من المدينة، وكانت عائشة جويرية حديثة السن قليلة اللحم خفيفة، تلزم خدرها، فإذا أراد الناس الرحيل ذهبت فتوضأت[٢]، ورجعت فدخلت محفتها، [فيرحل بعيرها، ثم تحمل محفتها][٣]، فتوضع على البعير.

فكان[٤] أول ما قال فيها المنافقون وغيرهم ممن اشترك في أمر عائشة: أنها خرجت تتوضأ[٥] حين دنو من المدينة، فانسل من عنقها عقد لها من جزع[٦] أظفار، فارتحل النبي ﷺ والناس، وهي في بغاء[٧] العقد، ولم تعلم برحيلهم، فشدوا على بعيرها المحفة وهم يرون أنها فيها كما كانت تكون، فرجعت عائشة إلى منزلها، فلم تجد في العسكر[٨] أحداً، فغلبت عيناها.

وكان صفوان بن المعطل السلمي -صاحب النبي ﷺ- تخلف تلك الليلة عن العسكر حتى أصبح.

(١) في «م»: «بنة».

(٢) في «م»: «وتوضأت».

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل «ظ».

(٤) في «ح»: «وكان».

(٥) في «ح»: «سوها»!!

(٦) في «ح»: «خرع»- بالخاء المعجمة والراء المهملة-!!!

(٧) في «ح»: «بغي»! والبغاء طلب الشيء.

(٨) في «م»: «المعسكر».

قالت: فمر بي، فرآني واسترجع، فأعظم مكاني حين رآني وحدي، وقد كنت أعرفه ويعرفني قبل أن يضرب علينا الحجاب.

قالت: فسألني عن أمري، فسترت وجهي عنه بجلبابي، وأخبرته بأمري[١]، فقرب[٢] بعيره، فوطئ[٣] على ذراعه، وولاني قفاه حتى ركبت وسويت ثيابي، ثم بعثه، فأقبل يسير بي حتى دخلنا المدينة نصف النهار أو نحوه؛ فهنالك قال فيَّ وفيه من قال من أهل الإفك، وأنا لا أعلم شيئاً من ذلك، ولا مما يخوض الناس فيه من أمري، وكنت تلك الليالي شاكية.

وكان أول ما أنكرت من أمر النبي ﷺ أنه كان يعودني قبل ذلك إذا مرضت، وكان تلك الليالي لا يدخل عليَّ ولا يعودني؛ إلا أنه يقول وهو مار: «كيف تيكم؟»، فيسأل عني بعض أهل البيت.

فلما بلغ النبي ﷺ ما أكثر فيه[٤] الناس من أمري؛ غمَّه ذلك، وقد كنت شكوت قبل ذلك إلى أمي ما رأيت من النبي ﷺ من الجفوة، فقالت لي: يا بنية! اصبري؛ فوالله لقلما كانت امرأة حسناء يحبها زوجها، لها ضرائر؛ إلا رمينها.

قالت: فوجدت حسّاً تلك الليلة التي بعث النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، فاستشارهما في أمري، وكنا ذلك الزمان ليست لنا كنف نذهب فيها، إنما كنا نذهب كما تذهب العرب؛ ليلاً إلى ليل، فقلت لأم مسطح

(١) كذا في هذه الرواية! والصواب ما تقدم في الحديث (١)- وهو في «الصحيحين»-: «والله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه».

ولعل الوهم هنا من إسماعيل بن أبي أويس أو من والده؛ فإنهما متكلم في حفظها؛ فالمحفوظ الرواية الأولى.

(٢) في «ح»: «فضرب»!

(٣) في «ح»: «ووطئ».

(٤) في «ح»: «منه».

ابن أثاثة: خذي الإداوة فاملئيها[١]، فاذهي بنا إلى المناصع، وكانت هي وابنها مسطح بينهما وبين أبي بكر قرابة، وكان أبو بكر ينفق عليهما، فكانا يكونان معه ومع أهله، فأخذت الإداوة وخرجنا نحو المناصع، فعثرت أم مسطح، فقالت: تعس مسطح! فقلت لها: بئس ما قلت، قالت: ثم مشينا فعثرت -أيضاً-، فقالت: تعس مسطح! فقلت لها: بئس ما قلت لصاحب النبي ﷺ وصاحب بدر، فقالت: إنك لغافلة عما فيه الناس من أمرك، فقلت: أجل، فما ذاك؟! فقالت: إن مسطحاً وفلاناً وفلانة فيمن استزلهم الشيطان من المنافقين، يجتمعون في بيت عبد الله بن أبي ابن سلول، أخي بني الحارث[٢] بن الخزرج، يتحدثون عنك وعن صفوان بن المعطل، ويرمونك به.

قالت: فذهب عني ما كنت أجد من الغائط، ورجعت عودي على[٣] بدئي إلى بيتي.

فلما أصبحنا من تلك الليلة؛ بعث النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، فأخبرهما ما قيل فيَّ، واستشارهما في أمري؛ فقال أسامة: والله يا رسول الله! ما علمنا[٤] على أهلك سوءاً، وقال (له)[٥] علي بن أبي طالب: يا رسول الله! ما أكثر النساء! وإن أردت أن تعلم الخبر؛ فتوعد الجارية- يعني: بريرة-، فقال النبي ﷺ لعلي -رضي الله عنه-:«فشأنك أنت بالخادم».

(١) في «ح»: «فاملأيها»!

(٢) في «ح»: «الحرب»!!

(٣) في «ح»: «عليّ».

(٤) في«ح»: «علمت».

(٥) سقطت من «م».

فسألها عليٌّ عني، فلم تخبره- والحمد لله- إلا بخير، قالت: والله ما علمت على عائشة سوءاً؛ إلا أنها جويرية تصبح عن عجين أهلها، تدخل الشاة الداجن[فتأكله][(١)].

قالت: ثم خرج النبي ﷺ حين سمع ما قالت فيَّ بريرة لعليٍّ إلى الناس، فلما اجتمعوا إليه؛ قال: «يا معشر المسلمين! من لي من رجال يؤذونني في أهلي؟ فما[(٢)] علمت على أهلي سوءاً، ويرمون رجلاً من أصحابي ما علمت عليه سوءاً، ولا خرجت مخرجاً إلا خرج معي فيه».

فقال سعد بن معاذ الأنصاري، ثم الأشهلي[(٣)] من الأوس: (يا رسول الله!)[(٤)] إن كان ذلك في أحد من الأوس كفيناكه، وإن كان من الخزرج أمرتنا فيه بأمرك، فقام سعد بن عبادة الأنصاري، ثم الخزرجي، فقال لسعد بن معاذ: كذبت والله! وهذا الباطل.

فقام أسيد بن حضير[(٥)] الأنصاري، ثم الأشهلي[(٦)]، ورجال من الفريقين فاستبوا وتنازعوا؛ حتى كاد أن يعظم الأمر بينهم، فدخل النبي ﷺ بيتي، وبعث إلى أبويَّ فأتياه، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال لي: «يا عائشة! إنما أنت من بنات آدم، فإن[(٧)] كنت أخطأت؛ فتوبي إلى الله واستغفريه».

(١) سقطت من «الأصل»، واستدركتها من «المعجم الكبير»، والسياق يقتضيها.

(٢) في «م»: «ما».

(٣) في «ح»: «الأسهلي»- بمهملة-!

(٤) سقطت من «م».

(٥) في «ح»: «حفير»- بالفاء-!!

(٦) في «ح»: «الأسهلي»- بمهملة-!

(٧) في «م»: «وإن».

فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ، فقال لي أبي[١]: لا أفعل؛ هو نبي الله، والوحي يأتيه، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ، فقالت لي كما قال أبي، فقلت: والله لئن أقررت على نفسي بباطل؛ لتصدقنني، ولئن برأت نفسي -والله يعلم أني بريئة- لتكذبني[٢]، وما أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف حين يقول: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨]، ونسيت اسم يعقوب؛ لما بي من الحزن، والبكاء، واحتراق الخوف[٣]. فتغشى[٤] رسول الله ﷺ كما كان يتغشاه[٥] من الوحي، ثم سري عنه؛ فمسح وجهه بيده، ثم قال: «أبشري يا عائشة! فقد أنزل الله (-عز وجل-)[٦] براءتك».

قالت عائشة: والله[٧] ما كنت أظن أن ينزل القرآن في أمري؛ ولكني كنت أرجو -لما يعلم الله من براءتي- أن يري النبي ﷺ في أمري رؤيا، فيبرئني الله بها عند نبيه ﷺ.

فقال لي أبواي عند ذلك: قومي فقبلي رأس رسول الله ﷺ، فقلت: والله لا أفعل! بحمد الله كان ذلك لا بحمدكم.

قالت: وكان أبو بكر ينفق على مسطح وأمه، فلما رماني؛ حلف أبو بكر أن لا ينفعه بشيء أبداً.

(١) في «ح»: «إني».

(٢) في «م»: «لتكذبنني».

(٣) في «ح»: «الجوف» -بالجيم-!

(٤) في «ح»: «فغشي».

(٥) في «ح»: «يغشاه».

(٦) سقطت من «م».

(٧) في «م»: «فوالله».

قالت: فلما تلا ﷺ قول الله -عز وجل-:﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢]؛ بكى أبو بكر! فقال: بلى يا رب! وعاد النفقة على مسطح وأمه.

قالت: وقعد صفوان بن المعطل لحسان بن ثابت بالسيف، فضربه صفوان ضربة، فقال صفوان لحسان في الشعر حين ضربه:

تلق ذباب السيف مني فإنني غلام إذا هوجيت لست بشاعر
ولكنني أحمي حماي وأنتقم من الباهت الرامي البراة الطواهر

ثم صاح حسان، واستغاث الناس على صفوان، فلما جاء الناس(فر)[١] صفوان، فجاء حسان إلى النبي ﷺ فاستعداه على صفوان في ضربته[٢] إياه، فسأله النبي ﷺ أن يهب له ضربة صفوان إياه، فوهبها للنبي ﷺ، فعاضه منها[٣] حائطاً من نخل عظيم وجارية رومية- ويقال: قبطية- تدعى سيرين؛ فولدت لحسان ابنه عبد الرحمن -الشاعر-.

قال أبو أويس: أخبرني حسين بن عبدالله بن عبيد الله بن عباس[٤]، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قالت عائشة: ثم باع حسان ذلك الحائط من معاوية بن أبي سفيان في ولايته بمال عظيم.

قالت عائشة: فبلغني -والله أعلم- أن الذي قال الله -تبارك وتعالى- فيه: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١١]، أنه عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول، أحد بني الحارث[٥] بن[٦] الخزرج.

(١) سقطت من «ح».
(٢) في «م»: «ضربه».
(٣) في «م»: «عنها».
(٤) قلت: لكن حسين- هذا-: ضعيف؛ كما في «التقريب»؛ فزيادته هذه مردودة.
(٥) في «ح»: «الحرب»!!
(٦) في «م»: «من».

قالت عائشة: فقيل في أصحاب الإفك الأشعار[١].

وقال أبو بكر- رضي الله عنه- لمسطح في رميه عائشة، وكان يدعى عوفاً:

يا عوف ويحك هلا قلت عارفةً ... من الكلام ولم تتبع (به)[٢] طمعا
فادركتك[٤] حُمَيّاً معشرٍ أنفٍ ... فلم تكن قاطعاً يا عوف منقطعا[٣]
هلا جريت من الأقوام إذ حسدوا ... فلا تقول وإن عاديتهم قَدَعا
لما رأيت حصاناً غير مُقْرِفَة[٥] ... أمينة الجيب لم تعلم لها خضعا
فيمن رماها وكنتم معشراً[٦] أنفاً ... في سيئ القول من لفظ الخنا سرعا
فأنزل الله عذراً في براءتها ... وبين عوف وبين الله ما صنعا[٧]
فإن أعش أجز عوفاً في مقالته ... سوء الجزاء بما ألفيته تبعا

وقالت أم سعد بن معاذ -رضي الله عنهما- في الذين رموا عائشة من الشعر:

شهد الأوس كهلها وفتاها ... والخماسي من نسلها والفطيم[٨]
ونساء الخزرجيّين يشهد ... ن بحق وذلكم معلوم
أن ابنة الصديق كانت حَصاناً ... عفة الجيب دينها[٩] مستقيم

(١) في «ح»: «الإسعاد»!.
(٢) سقطت من «ح».
(٣) في «ح»: «مقطعاً».
(٤) في «ح»: «فادلكتك»!!
(٥) في «ح»: «معرفة».
(٦) في «ح»: «معسراً»- بالمهملة-!
(٧) في «ح»: «أصعا»!!
(٨) في «ح»: «فسلها واليظم»!!!
(٩) في «ح»: «ديناً»!

تـــــتقي الله في المغيـــــب علـــــيها نعمـــــة الله ســـــترها مـــــا تـــــريم
خـــير هـــدي النســـاء حـــالاً ونفســـاً وأبـــاً[١] للعـــلى نماهـــا كـــريم
للـــمـــــوالي إذ رموهـــــا بـــــإفك أخذتهـــــم[٢] مقـــــامع وجحـــــيم
ليـــت مـــن كـــان قـــد قفاهـــا بســـوء[٣] في حطـــام حـــتى يـــتوب اللئـــيم
وعـــوان مـــن الحـــروب تلظـــى يتبـــنى[٤] فوقهـــا عقـــاب كـــريم
ليـــت ســـعداً ومـــن رماهـــا بســـوءٍ[٥] في كظـــاظ حـــتى يـــتوب الظلـــوم

وقال حسان وهو يبرئ عائشة مما قيل فيها، ويعتذر إليها:

حَصَـان[٦] رَزَانٌ[٧] مـا تُـزَنُّ[٨] بريـبة وتصبح غرثى[٩] من لحوم الغوافل[١٠]

(١) في «ح»: «وانا»!

(٢) في «ح»: «أحدتهم»- بالحاء المهملة-!

(٣) في «ح»: «بشر».

(٤) في «ح»: «سا»!

(٥) في «ح»: «بشر».

(٦) قال الحافظ (٨/ ٤٨٥): «بفتح المهملة، قال السهيلي: هذا الوزن يكثر في أوصاف المؤنث وفي الأعلام منها، كأنهم قصدوا بتوالي الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى.

حَصان: من الحِصن والتحصين، يراد به: الامتناع على الرجال ومن نظرهم إليها».

(٧) من الرزانة، ويراد: قلة الحركة.

(٨) بضم أوله، ثم زاي، ثم نون ثقيلة؛ أي: ترمى.

(٩) بفتح المعجمة، وسكون الراء، ثم مثلثة؛ أي: خميصة البطن؛ أي: لا تغتاب أحداً، وهي استعارة فيها تلميح بقوله-تعالى- في المغتاب: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢].

(١٠) جمع غافلة، وهي العفيفة الغافلة عن الشر، والمراد: تبرئتها من اغتياب الناس بأكل لحومهم من الغيبة، ومناسبة تسمية الغيبة بأكل اللحم: أن اللحم ستر على العظم، فكأن المغتاب يكشف ما على من اغتابه من ستر؛ قاله الحافظ (٨/ ٤٨٦).

حليلة خير الناس ديناً ومنصباً نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حيٍّ من لؤي بن غالب كرام المساعي مجدهم غير ناصل[١]
مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل سَوْء وباطل
فإن كان ما قد جاء عني قلته فلا رفعت سوطي إليّ أناملي
وإن الذي قد قيل ليس بلائط بك الدهر بل قول امرىء بي ماحل
وكيف ووُدِّي ما حييت ونصرتي لآل رسول الله زين المحافل
له رُتَبٌ عال على الناس فضلها تقاصر عنها سَورة المتطاول

قال أبو أويس: وحدثني أبي: أن رسول الله ﷺ أمر بالذين[٢] رموا عائشة -رضي الله عنها- فجلدوا الحد جميعاً ثمانين[٣].

وقال حسان بن ثابت في الشعر حين جلدوا:

لقد ذاق عبد الله ما كان أهله وحمنة[٤] إذ قالوا هجيراً ومسطح
تعاطوا برجم القول زوج نبيهم وسخطة ذي العرش الكريم فأترحوا[٥]
فآذوا رسول الله فيها وعمموا مخازي سوء جُلِّلوها وفُضِّحوا

قال محمد بن إبراهيم التيمي في الحائط الذي أعطاه رسول الله ﷺ حسان:

(١) في «ح»: «زائل».

(٢) في «ح»: «بالذي».

(٣) في «ح»: «جميعه بمائتين».

(٤) في «ح»: «وحسان»! وقد كانت كذلك في «الأصل»؛ لكن كتب فوقها: «حمنة» وبجانبها علامة (صح).

(٥) في «ح»: «فأبرحوا».

هو قصر حاء[١] الذي كان لأبي طلحة، فتصدق به إلى رسول الله ﷺ، فهو قصر بني حديلة اليوم بالمدينة[٢].

٧- أخبرنا أبو موسى: أنبأ أبو غالب أحمد بن العباس الكوشيذي: أنبأ أبو بكر محمد بن عبد الله التاني: أنبأ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب: ثنا أحمد ابن القاسم بن مساور الجوهري: ثنا خالد بن خداش: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة -رضي الله عنها-؛ قالت:

لما بلغني ما تكلموا به؛ هممت أن آتي قليباً فأطرح نفسي فيه.

٨- وبه، قال: أنبأنا الطبراني: أنبأ أبو شعيب -عبد الله بن الحسن- الحراني: أنبأ أبو جعفر النفيلي: ثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق؛ قال: كانت غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ست، وفي تلك الغزوة قال أهل الإفك ما قالوا.

(١) في «م»، و«ح»: «بيرحاء».

(٢) قلت: هذا القدر الأخير- أعني: من قوله: قال أبو أويس إلى آخر الحديث- غير صحيح؛ لإرساله، والضعف الذي ذكرناه سابقاً في ابن أبي أويس وابنه.

وقد أخرجه ابن إسحاق في «السيرة (ص٩٨٠-٩٨١- ابن هشام): حدثني محمد بن إبراهيم به.

٧- إسناده حسن -أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٠٣/ ١٥٧)، و«المعجم الأوسط» (١/ ١٨٤/ ٥٨٢) به.

وأخرجه أبو عوانة في «صحيحه -كتاب المنافقين»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٤٣): ثنا أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب النسائي، وأبو بكر أحمد بن إسحاق، والبزار في «مسنده» (٣/ ٢٤١ / ٢٦٦٤- «كشف الأستار»): حدثنا محمد بن خالد بن خداش؛ ثلاثتهم عن خالد بن خِداش به.

قلت: رجاله كلهم ثقات معروفون؛ غير خالد بن خداش، وهو مختلف فيه، وفي «التقريب»: «صدوق يخطئ».

قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٦٦): «وعند الطبراني بإسناد صحيح عن أيوب عن ابن أبي مليكة، عن عائشة؛ قالت: (وذكره)، وأخرجه أبو عوانة -أيضاً-».

٨- مقطوع صحيح - أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٣٨/ ٢٦٠) به. =

وهكذا قال الواقدي.

وذكر بعضهم: أنه كان في عمرة القضاء سنة خمس، والأول أصح؛ لأنه ورد في طرقٍ لحديث الإفك: أنه كان في غزوة بني المصطلق، وذكر أن عذرها نزل بعد سبع وثلاثين ليلة.

٩- أخبرنا عبد الله بن محمد: أنبأنا عبد القادر بن محمد: أنبأ الحسن[1] بن علي: أنبأ أحمد بن جعفر: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي: ثنا هشيم: أنبأ عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن عائشة؛ قالت:

= وهو في «السيرة» لابن إسحاق (ص٩٦٦).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٤٣): «رجاله ثقات إلى محمد بن إسحاق».

٩- إسناده ضعيف- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٠٢-١٠٣/ ١٥٥): ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل به.

والحديث في «مسند الإمام أحمد» (٤٠/ ١٣/ ٢٤٠١٣) به.

وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٦/ ٢١/ ٧١٠٢-«إحسان»): ثنا أبو العباس -محمد بن إسحاق- السراج الثقفي: ثنا أبو معمر -إسماعيل بن إبراهيم- القطيعي الهذلي: ثنا هشيم به.

قلت: وهذا سند ضعيف؛ لضعف عمر بن أبي سلمة، وقد اضطرب في هذا الحديث: فتارة يرويه هكذا، وتارة يقول في حديثه: «فبينما النبي ﷺ عندي جالس؛ إذ أوحي إليه...».

أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (٣/ ٢٣٧/ ١٥١٨- «منتخب»)، وأحمد (٤١/ ٢٤٥/ ٢٤٧٢٠)، والطبري في «جامع البيان» (١٧/ ٢٢٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٠٣/ ١٥٦) من طرق عن أبي عوانة -الوضاح بن عبد الله- اليشكري، عن عمر بن أبي سلمة به.

وهذا هو المحفوظ في الحديث: أن عذر عائشة -رضي الله عنها- نزل ورسول الله ﷺ جالس عندها، لا أنه أتاها فأخبرها بنزول عذرها.

تنبيه: وقع في رواية أبي عوانة: أن الآيات التي نزلت في براءة عائشة من عند قوله -عز وجل-: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾!

لكن عمر -كما تقدم- ضعيف؛ فروايته هذه -دون شك- منكرة، والمعروف ما تقدم.

(١) في «م»: «الحسين» -بزيادة تحتانية-! وهو خطأ، والصواب: «الحسن»؛ وهو أبو=

لما نزل عذري من السماء؛ جاءني النبي ﷺ فأخبرني بذلك، فقلت: بحمد الله لا بحمدك.

١٠- أخبرنا أبو بكر البغدادي: أنبأ أبو طالب اليوسفي: أنبأ أبو علي التميمي: أنبأ أبو بكر القطيعي: ثنا أبو عبد الرحمن: حدثني أبي: ثنا ابن أبي عدي،

=علي -الحسن بن علي بن محمد- التميمي الواعظ، المعروف بـ (ابن المذهب).

١٠- إسناده حسن- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٣٩/ ٢٦٣): ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل به.

وأخرجه أبو عوانة في «صحيحه -كتاب المنافقين»؛ كما في «إتحاف المهرة» (١٧/ ٧٦٠): ثنا إبراهيم بن عبد الله بن أبي شيبة: ثنا أحمد بن حنبل به.

والحديث في «مسند الإمام أحمد» (٤٠/ ٧٦-٧٧/ ٢٤٠٦٦) به.

وأخرجه أبو داود (٤/ ١٦٢/ ٤٤٧٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٨٩-٤٩٠/ ٧٣١١)؛ قالا: ثنا قتيبة بن سعيد، والترمذي (٥/ ٣٣٦/ ٣١٨١)، وابن ماجه (٢/ ٨٥٧/ ٢٥٦٧)؛ قالا: ثنا محمد بشار -بندار-، والمحاملي في «الأمالي» (١٣٦/ ٩٩-رواية ابن البيع)، و«رواية ابن مهدي»- ومن طريقه ابن البخاري في «مشيخته»(٢/ ١٤٥٠-١٤٥٢/ ٣٨٧/ ٨٥٢و٨٥٣و٨٥٤)-: ثنا محمد بن المثنى، وأبو داود (٤/ ١٦٢/ ٤٤٧٤): ثنا مالك بن عبد الواحد المِسْمَعي، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧/ ١٣٣٨/ ٢٣٧٤) من طريق جعفر بن عمرو؛ خمستهم عن محمد بن أبي عدي به.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٧٤) من طريق أحمد بن عبد الجبار العطاردي -ضعيف-: ثني يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق به.

والحديث في «السيرة» لابن إسحاق (ص ٩٧٧) به.

قلت: وهذا سند حسن، رجاله ثقات معروفون؛ غير ابن إسحاق، وهو صدوق مدلس، وقد صرح بالسماع في كتابه «السيرة».

وأخرجه أبو داود (٤/ ١٦٢/ ٤٤٧٥): ثنا أبو جعفر -عبد الله بن محمد- النفيلي، عن محمد ابن سلمة الباهلي الحراني، عن ابن إسحاق به؛ لكن أسقط من سنده: (عن عائشة)، فصار مرسلاً.

عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عَمْرة[١]، عن عائشة؛ قالت: لما نزل عُذري؛ قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك، وتلا رسول الله ﷺ القرآن، فلما نزل؛ أمر برجلين وامرأة فضربوا حدَّهم[٢].

(١) في «م»: «عمر»!! وهو تحريف جد قبيح.

(٢) قال الإمام ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٣/ ٢٦٣-٢٦٤): «ولما جاء الوحي ببراءتها؛ أمر رسول الله ﷺ بمن صرح بالإفك، فحدوا ثمانين ثمانين، ولم يحد الخبيث عبد الله ابن أبي، مع أنه رأس أهل الإفك؛ فقيل: لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة، والخبيث ليس أهلاً لذلك، وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة، فيكفيه ذلك عن الحد.

وقيل: بل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه، ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه.

وقيل: الحد لا يثبت إلا بالإقرار أو ببيِّنة، وهو لم يقر بالقذف، ولا شهد به عليه أحد؛ فإنه إنما يذكره بين أصحابه، ولم يشهدوا عليه، ولم يكن يذكره بين المؤمنين.

وقيل: حد القذف حق الآدمي، لا يستوفى إلا بمطالبته، وإن قيل: إنه حق لله؛ فلا بد من مطالبة المقذوف، وعائشة لم تطالب به ابن أبيّ.

وقيل: بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته؛ كما ترك قتله مع ظهور نفاقه، وتكلمه بما يوجب قتله مراراً؛ وهي: تأليف قومه، وعدم تنفيرهم عن الإسلام؛ فإنه كان مطاعاً فيهم، رئيساً عليهم، فلم تؤمن إثارة الفتنة في حده، ولعله ترك لهذه الوجوه كلها.

فجلد مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بن جحش -وهؤلاء من المؤمنين الصادقين-؛ تطهيراً لهم وتكفيراً، وترك عبد الله بن أبي إذاً؛ فليس هو من أهل ذاك».

قال الحافظ ابن حجر (٨/ ٤٧٩) -متعقباً-: «وبنى على ذلك صاحب «الهدي»، فأبدى الحكمة في ترك الحد على عبد الله بن أبي، وفاته أنه ورد أنه ذكر -أيضاً- فيمن أقيم عليه الحد؛ وقع ذلك في رواية أبي أويس، عن حسن بن زيد وعن -وفي المطبوع: عن؛ وهو خطأ- عبد الله بن أبي بكر. أخرجه الحاكم في «الإكليل»».

قلت: رحم الله الحافظ؛ فإن ما اعترض به على الإمام ابن القيم -رحمه الله- منقوض بكلام الحافظ نفسه، حيث صرح (٨/ ٤٧١) بأن حديث عبد الله بن أبي بكر بن حزم مرسل، والمرسل من أقسام الضعيف، فكيف استجاز الاستدلال والاعتراض بما لا يصح؟!

وعليه؛ فكلام الإمام ابن القيم -رحمه الله- في محله، لا اعتراض عليه. =

١١- أخبرنا يحيى بن ثابت: أنبأ أبي: أنبأ البرقاني: أنبأ الإسماعيلي: أخبرني أبو يعلى، والحسن[١]؛ قالا: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا محمد بن

= وقال الحافظ ابن حجر (٨/ ٤٨١)-ضمن ذكر فوائد هذا الحديث-: «وفيه: تأخير الحد عمن يخشى من إيقاعه به الفتنة؛ نبه على ذلك ابن بطال، مستنداً إلى أن عبد الله بن أبي كان ممن قذف عائشة، ولم يقع في الحديث أنه ممن حد، وتعقبه عياض بأنه لم يثبت أنه قذف، بل الذي ثبت أنه كان يستخرجه ويستوشيه.

قلت: وقد ورد أنه قذف صريحًا؛ وقع ذلك في مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم وغيره، وفي مرسل مقاتل بن حيان عند الحاكم في «الإكليل» بلفظ: «فرماها عبد الله بن أبي»، وفي حديث ابن عمر عند الطبراني بلفظ أشنع من ذلك، وورد -أيضاً- أنه ممن جلد الحد؛ وقع ذلك في رواية أبي أويس عن الحسن بن زيد وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيرهما مرسلاً. أخرجه الحاكم في «الإكليل».

فإن ثبتا؛ سقط السؤال، وإن لم يثبتا[أ]؛ فالقول ما قال عياض، فإنه لم يثبت خبر بأنه قذف صريحاً[ب] ثم لم يحد!!

وقد حكى الماوردي إنكار وقوع الحد بالذين قذفوا عائشة أصلاً، واعتل قائله بأن حد القذف لا يجب إلا بقيام بينة أو إقرار -وزاد غيره: أو بطلب المقذوف-، قال: ولم ينقل ذلك.

كذا قال! وفيه نظر[ج]».

وانظر: «المفهم» للقرطبي (٧/ ٣٧٩)، و«تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٣٦).

(١) هو ابن سفيان النسوي.

(أ) وهو الصحيح، فلم يثبت من ذلك شيء.

(ب) بل ثبت؛ فقد قالت السيدة عائشة -رضي الله عنها- كما عند البخاري (٨/ ٤٥٢-٤٥٣/ ٤٧٥٠): «فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول».

وفي لفظ: «وكان الذي تولى كبر الإفك: عبد الله بن أبي ابن سلول».

(ج) قال الحافظ (٨/ ٤٧٩) -بعد ذكره بعض ما تقدم-: «وفيه رد على الماوردي؛ حيث صحح أنه لم يحدهم؛ مستنداً إلى أن الحد لا يثبت إلا ببينة أو إقرار، ثم قال: وقيل: إنه حدهم.

وما ضعفه هو الصحيح المعتمد».

فضيل، عن حُصَين، عن شقيق، عن مسروق؛ قال: سألت أم رومان- قال الحسن: وهي أم عائشة -أم المؤمنين-؛ قالا جميعاً- إذ قيل لها ما قيل، فأنزل الله -عز وجل- عذرها، فقالت: بينا أنا وعائشة؛ إذ دَخَلَتْ- وقال الحسن: إذ ولجت- عليها امرأة من الأنصار[1]، وإذا هي تقول: فعل الله بفلان كذا وكذا! فقالت: لم؟ قالت: لأنه كان فيمن حدث الحديث، فقالت عائشة: أي حديث؟! فأخبرتها، قالت: فسمعه[2] رسول الله ﷺ وأبو بكر؟! قالت: نعم، فخرت مغشياً عليها، فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافض[3]، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: «ما هذه؟» -وقال أبو يعلى:«ما هذا؟»-، فقلنا: حمى أخذتها[4]، قال: «فلعله من أجل

(١) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٤٦٧-٤٦٨): «طرق حديث الإفك مجتمعة على أن عائشة بلغها الخبر من أم مسطح؛ لكن وقع عند البخاري في (المغازي) من حديث أم رومان ما يخالف هذا، ولفظه: «بينا أنا قاعدة أنا وعائشة إذ ولجت امرأة من الأنصار، فقالت: فعل الله بفلان وفعل، فقالت أم رومان: وما ذلك؟ قالت: ابني فيمن حدث الحديث، قالت: وما ذاك؟ قالت: كذا وكذا».

وفي (قصة يوسف)؛ قالت: «فعل الله بفلان وفعل، وقالت: فقلت: لم؟ فقالت: إنه نمى ذكر الحديث، فقالت عائشة: أي حديث؟! فأخبرتها، قالت: فسمعه أبو بكر ورسول الله ﷺ؟ قالت: نعم؛ فخرت مغشياً عليها».

وطريق الجمع: أنها سمعت ذلك أولاً من أم مسطح، ثم ذهبت لبيت أمها؛ لتستيقن الخبر منها، فأخبرتها أمها بالأمر مجملاً بقولها: هوني عليك، وما أشبه ذلك، ثم دخلت الأنصارية فأخبرتها بمثل ذلك بحضرة أمها، فقوى عندها القطع بوقوع ذلك، فسألت: هل سمعه أبوها وزوجها؟ ترجياً منها أن لا يكون سمعا ذلك؛ ليكون أسهل عليها...ولم أقف على اسم هذه المرأة الأنصارية ولا على اسم ولدها».

قلت: وقد أورد هذا الإشكال الحافظ العلائي في «التنبيهات المجملة» (ص٥٢)، وحكم بوهم هذه اللفظة!!

(٢) في «ح»: «أسَمِعَ».

(٣) أي: برعدة شديدة، كأنها نفضتها- أي: حركتها-؛ قاله ابن الأثير في «النهاية» (٥/ ٩٧).

(٤) في «ح»: «أحدتها»!

حديث تُحدث به؟»، قالت: فقعدت. وقالت[١]: والله؛ لئن حلفت لا تصدقوني، ولئن اعتذرت لا تعذروني، فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه: ﴿وَاللَّهُ[٢] الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

قالت: فانصرف رسول الله ﷺ، وأنزل عليه ما أنزل، فأتاها فأخبرها، فقالت: بحمد الله لا بحمد أحد[٣].

(١) في «ح»: «فقالت».

(٢) في «ح»: «فالله»!!

(٣) صحيح- أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٦/ ٢٢-٢٣/ ٧١٠٣-«إحسان»): ثنا أبو يعلى- وهذا في «مسنده- رواية ابن المقرىء»-به.

وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٤٩٨/ ٧٩٢٩) من طريق الحسن بن سفيان به.

والحديث في «المستخرج» للحافظ الإسماعيلي.

وأخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٦/ ٣٣-٣٤/ ٣٢١٥)- ومن طريقه أبو نعيم الأصبهاني في «معرفة الصحابة»(٦/ ٣٤٩٨/ ٧٩٢٩)-، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥/ ٦٨-٦٩/ ٢١٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة- وهذا في «مسنده»- به.

وتابع ابن أبي شيبة عليه:

١- محمد بن سلاَّم الجمحي: أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦/ ٤١٨/ ٣٣٨٨)، و«التاريخ الأوسط» (١/ ١١٦-١١٧/ ١٠١)، و«التاريخ الصغير»؛ كما في «هدي الساري» (ص٣٧٣)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٣٨)، و«تهذيب التهذيب» (١٢/ ٤٦٨).

٢- علي بن حرب الطائي: أخرجه أبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «إتحاف المهرة بأطراف العشرة» (١٨/ ٢٥٨).

٣- أبو سعيد -عبد الله بن سعيد- الأشج: أخرجه الخطيب البغدادي في «المراسيل»؛ كما في «التنبيهات المجملة على المواضع المشكلة» للحافظ العلائي (ص٥١).

وتابع محمد بن فضيل عليه:

١- أبو عوانة -الوضاح بن عبد الله- اليشكري-: أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٣/ ٢٤٢-٢٤٣/ ١٧٧٠)، والبخاري في «صحيحه» (٧/ ٤٣٥-٤٣٦/ ٤١٤٣و٨/ ٣٦٣/ ٤٦٩١)،=

=و«التاريخ الأوسط» (١/ ١١٧/ ١٠٣)، و«التاريخ الصغير».

٢- سليمان بن كثير العبدي: أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٤٨٢/ ٤٧٥١)، و«التاريخ الأوسط» (١/ ١١٧/ ١٠٢).

٣- سويد بن عبد العزيز: أخرجه سعيد بن منصور في «سننه»؛ كما في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٧٣)- ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٠٤/ ١٦١)-.

٤- علي بن عاصم: أخرجه الإمام أحمد (٤٤/ ٦٢٩-٦٣١/ ٢٧٠٧١)- ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (٣٥/ ٣٥٩-٣٦٠)-.

٥- أبو جعفر -عيسى بن ماهان- الرازي: أخرجه أحمد (٤٤/ ٦٢٨-٦٢٩/ ٢٧٠٧٠).

قلت: ومع أن الحديث في «صحيح الإمام البخاري»- ومعلوم مكانته وقدره-؛ إلا أن كثيراً من أهل العلم أعلوه!! لكن بما لا يقدح:

قال الخطيب البغدادي؛ كما في «تهذيب الكمال» (٣٥/ ٣٦٠-٣٦١)، و«تحفة الأشراف» (١٣/ ٧٩-٨٠)، و«تهذيب التهذيب» (١٢/ ٤٦٧-٤٦٨): «هذا حديث غريب من رواية أبي وائل عن مسروق، ولا نعلم رواه غير حُصَين بن عبد الرحمن عنه، وفيه إرسال؛ لأن مسروقاً لم يدرك أم رومان، وكانت وفاتها على عهد رسول الله ﷺ[1]!! وكان مسروق يرسل رواية هذا الحديث عنها، ويقول: سُئِلت أم رومان، فوهم حصين فيه؛ إذ جعل السائل لها مسروقاً! اللهم إلا أن يكون بعض النقلة كتب «سألت» بالألف؛ فإن من الناس=

.....

(١) اعتمد القائلون بذلك على ما أخرجه ابن سعد في«الطبقات الكبرى» (١٠/ ٢٦٢)، والبخاري في «التاريخ الكبير»؛ كما في «الإصابة» (٤/ ٤٥١)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (١٩٩/ ٢٨٧)، وأبو نعيم الأصبهاني في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٤٩٨/ ٧٩٢٨)، وابن منده، من طريق القاسم بن محمد؛ قال: لما دليت أم رومان في قبرها، قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين؛ فلينظر إلى هذه».

قلت: لكن هذا الحديث منكر؛ لعلتين فيه:

الأولى: الإرسال.

الثانية: علي بن زيد بن جدعان؛ ضعيف الحديث، سيىء الحفظ.

وقد أعله البخاري بقوله: «فيه نظر، وحديث مسروق أسند».

وقال أبو نعيم: «قيل: إنها ماتت في عهد رسول الله ﷺ؛ وهو وهم».

وقد أعله الإمامان ابن قيم الجوزية وابن حجر- كما سيأتي-.

= من يجعل الهمزة في الخط ألفاً وإن كانت مكسورة أو مرفوعة[1]، فتبرأ حينئذ حصين من الوهم فيه، على أن بعض الرواة قد رواه عن حصين على الصواب.

قال: وأخرج البخاري هذا الحديث في «صحيحه» لما رأى فيه: عن مسروق؛ قال: سألت أم رومان، ولم تظهر له علّتهُ- في الأصل: يظهر له عليه؛ وهو تصحيف-!! وقد بينا ذلك في كتاب «المراسيل»، وأشبعنا القول بما لا حاجة لنا إلى إعادته».

وقد تلقى كلام الخطيب- هذا- بالتسليم جمع من أهل العلم - كما سيأتي بيانه-، وردَّ عليهم رداً علمياً وافياً: أمير المؤمنين في الحديث -بحق وصدق- الحافظ ابن حجر -رحمه الله-.

ونص كلام الخطيب في «المراسيل»؛ كما في «الإصابة» (٤/ ٤٥١): «هذا حديث غريب، ولا نعلم أحداً رواه غير حصين، ومسروق لم يدرك أم رومان -يعني: أنه إنما قدم من اليمن بعد وفاة النبي ﷺ-، فوهم حصين في قوله: حدثتني؛ إلا أن يكون بعض النقلة كتب سُئلت بألف، فصارت سألت، وتحرفت الكلمة فذكرها بعض الرواة بالمعنى فعبر عنها بلفظ: (حدثتني)، على أن بعض الرواة رواه عن حصين بالعنعنة.

قال الخطيب: وأخرج البخاري في «التاريخ»- كذا! ولعل الصواب: «الصحيح»- لما وقع فيه: عن مسروق: سألت أم رومان، ولم يظهر له علّته».

قال الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٤٥١-٤٥٢) -متعقباً-:

«قلت: بل عرف البخاري العلة المذكورة وردها -كما تقدم-، ورجح الرواية التي فيها التصريح على الرواية التي فيها أنها ماتت في حياة النبي ﷺ؛ لأنها مرسلة، وراويها علي بن زيد -وهو ابن جدعان- ضعيف.

قلت: وأما دعوى من قال: إنها ماتت سنة أربع، أو خمس، أو ست؛ فيردها ما أخرجه الزبير بن بكار، عن إبراهيم بن حمزة الزبيري، عن ابن عيينة، عن علي بن زيد: أن عبد الرحمن ابن أبي بكر خرج في فتية من قريش قبل الفتح إلى النبي ﷺ.

وكذا قال محمد بن سعد: إن إسلامه كان في صلح الحديبية، وكان أول الصلح في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف، والفتح كان في رمضان سنة ثمان.

=

(١) قال الحافظ العلائي في «التنبيهات المجملة» (ص٥١): «قلت: ولا يتأتى هذا التأويل في قول مسروق: حدثتني أم رومان؛ كما في البخاري من طريق أبي عوانة».

= وقد ثبت في «الصحيحين» عن أبي عثمان النهدي عن عبد الرحمن بن أبي بكر: أن أصحاب الصفة كانوا ناساً فقراء... فذكر الحديث في قصة أضياف أبي بكر. قال عبد الرحمن: وإنما هو أنا وأمي وامرأتي وخادم بيتنا، وفي بعض طرقه عند البخاري في (كتاب الأدب): فلما جاء أبو بكر؛ قالت له أمي: احتبست عن أضيافك.

وأم عبد الرحمن؛ هي أم رومان بلا خلاف، وإسلام عبد الرحمن كان بين الحديبية والفتح كما نبهت عليه آنفاً، وهذه القصة كانت بعد إسلامه قطعاً؛ فلا يصح أن تكون ماتت في آخر سنة ست؛ إلا إن كان عبد الرحمن أسلم قبل ذلك! وأقرب ما قيل في وفاتها من الوفاة النبوية: إنها كانت في ذي الحجة سنة ست، والحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست، وقدوم عبد الرحمن بعد ذي الحجة سنة ست، فإن ادعي: أن الرجوع من الحديبية، وقصة الجفنة المذكورة، وقدوم عبد الرحمن بن أبي بكر، ووفاة أم رومان كان الجميع في ذي الحجة سنة ست؛ كان ذلك في غاية البعد، ووقفت على قصة أخرى تدل على تأخر وفاة أم رومان عن سنة ست؛ بل هي عن سنة سبع؛ بل عن سنة ثمان:في «مسند الإمام أحمد»[٦/ ٢١١-٢١٢)] من طريق أبي سلمة عن عائشة؛ قالت: لما نزلت آية التخيير؛ بدأ رسول الله ﷺ بعائشة، فقال: «يا عائشة! إني عارض عليك أمراً، فلا تفتاتي فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك: أبي بكر، وأم رومان»، قالت: يا رسول الله! وما هو؟ قال: قال الله -عز وجل-: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية إلى ﴿أَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٢٨-٢٩]»، قالت: قلت: فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ولا أوامر في ذلك أبا بكر ولا أم رومان؛ فضحك.

وسنده جيد، وأصل القصة في «الصحيحين» من طريق أخرى عن أم سلمة، والتخيير كان في سنة تسع، والحديث مصرح بأن أم رومان كانت موجودة حينئذ، وقد أمعنت في هذا الموضوع في مقدمة «فتح الباري» في الفصل المشتمل على الرد على من ادعى في بعض ما في «الصحيحين» علة قادحة، ولله الحمد.

فلقد تلقى هذا التعليل لحديث أم رومان بالانقطاع جماعة عن الخطيب من العلماء، وقلدوه في ذلك، وعذرهم واضح؛ ولكن فتح الله ببيان صحة ما في «الصحيح» وبيان خطأ من قال: إنها ماتت سنة ست، وقيل غير ذلك، وأول من فتح هذا الباب: صاحب «الصحيح» كما ذكره أولاً؛ فإنه رجح رواية مسروق على رواية علي بن زيد، وهو كما قال؛ لأن مسروقاً متفق على ثقته، وعلي بن زيد متفق على سوء حفظه، ثم وجدت للخطيب سلفاً؛ فذكر أبو علي بن السكن في «كتاب الصحابة» في ترجمة أم رومان: أنها ماتت في حياة=

=النبي ﷺ، قال: وروى حصين، عن أبي وائل، عن مسروق؛ قال: سألت أم رومان.

قال ابن السكن: «هذا خطأ»، ثم ساق بسنده إلى حصين عن أبي وائل عن مسروق: أن أم رومان حدثتهم: (فذكر قصة الإفك التي أوردها البخاري)، قال: تفرد به حصين، ويقال: إن مسروقاً لم يسمع من أم رومان؛ لأنها ماتت في حياة النبي ﷺ!! وبالله التوفيق»ا.هـ.

وقال في «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٤٦٨-٤٦٩)- متعقباً-:

«قلت: بل الذي ظهر للبخاري أن هذا كله ليس بعلّه؛ فقد صرح بأن قول من قال: إنها توفيت في حياة النبي ﷺ وَهَم، وأن قول مسروق: حدثتني أم رومان هو الصحيح، فقال في «تاريخه الأوسط» و«الصغير» لما ذكر أم رومان في (فصل من مات في خلافة عثمان): روى علي بن زيد، عن القاسم؛ قال: ماتت أم رومان في زمن النبي ﷺ سنة ست.

قال البخاري: وفيه نظر، وحديث مسروق أسند.

وقال أبو نعيم الأصبهاني: بقيت بعد النبي ﷺ دهراً، وقال إبراهيم الحربي: سمع منها مسروق وعمره خمس عشرة سنة؛ يعني: في خلافة عمر؛ لأن مولد مسروق في السنة الأولى من الهجرة.

وتعقب ذلك الخطيب على التحري؛ لاعتقاد الخطيب أنها توفيت في حياة النبي ﷺ، وليس كما اعتقد، والله -تعالى- أعلم، ومما يؤيد ذلك: حديث أبي عثمان النهدي، عن عبد الرحمن بن أبي بكر- المخرج في «الصحيح»-: أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء... فذكر الحديث في أضياف أبي بكر، وفيه: قال عبد الرحمن: إنما هو أنا وأمي وامرأتي وخادم بيتنا.... الحديث. وأم عبد الرحمن؛ هي: أم رومان بلا خلاف، وفي رواية للبخاري في (الأدب): فلما جاء أبو بكر؛ قالت له أمي: احتبست عن ضيفك.

وإسلام عبد الرحمن على ما حكاه الزبير بن بكار، عن إبراهيم بن حمزة، عن ابن عيينة، عن علي بن زيد: أن عبد الرحمن بن أبي بكر خرج في فتية من قريش قبل الفتح إلى النبي ﷺ.

وقال ابن سعد وغيره: كان إسلامه في صلح الحديبية.

قلت: وابتداء الصلح كان في سنة ست، والفتح كان في سنة ثمان، فيكون إسلامه في سنة سبع، فاتضح أن أمه كانت حينئذ موجودة؛ فدل على وهم من قال: إنها ماتت سنة ست.

وأيضاً: فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» [(٦/ ٢١١-٢١٢)]: ثنا محمد بن بشر: ثنا محمد ابن عمرو: ثنا أبو سلمة: أن عائشة قالت: لما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بي، فقال: «يا عائشة! إني عارض عليك أمراً فلا تعجلي فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك: أبي=

=بكر، وأم رومان»، قالت: يا رسول الله! وما هو؟ قال: «قال الله -عز وجل-:﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية إلى ﴿أَجْراً عَظِيماً﴾»؛ قالت: فقلت: فإني أريد الله -تعالى- ورسوله والدار الآخرة، ولا أوامر في ذلك أبا بكر وأم رومان؛ فضحك.

وهذا إسناد جيد، وأصله في «الصحيحين» من طريق الزهري- في الأصل: أبي هريرة! وهو تحريف فاحش جداً- عن أبي سلمة بلفظ: «استأمري أبويك»، ولم يسمهما، والتخيير كان في سنة تسع، والحديث دال على أن أم رومان كانت إذ ذاك موجودة؛ فبان وهم علي بن زيد ومن معه»ا.هـ.

وقال -رحمه الله- في «هدي الساري» (ص٣٧٣):

«قال الخطيب؛ أخرج البخاري عن مسروق عن أم رومان -رضي الله عنها، وهي أم عائشة -طرفاً من حديث الإفك، وهو وَهَم؛ لم يسمع مسروق من أم رومان -رضي الله عنها-؛ لأنها توفيت في عهد النبي ﷺ، وكان لمسروق حين توفيت ست سنين».

قال: «وخفيت هذه العلة على البخاري، وأظن مسلماً فطن لهذه العلة فلم يخرجه له، ولو صح هذا؛ لكان مسروق صحابياً، لا مانع له من السماع من النبي ﷺ، والظاهر أنه مرسل!».

قال: «وروايته في تفسير سورة يوسف من «الصحيح» عن مسروق؛ قال: سألت أم رومان (فذكره)، قال: وهو من رواية حصين عن شقيق عن مسروق، وحصين اختلط؛ فلعله حدث به بعد اختلاطه! وقد رأيته من رواية أخرى عنه عن شقيق عن مسروق؛ قال: سُئِلَتْ أم رومان؛ فلعل قوله في رواية البخاري: (سَأَلْتُ) تصحيف من سُئِلتْ».

وقال ابن عبد البر [في «الاستيعاب» (٤/ ٤٥٢- هامش الإصابة)]: «رواية مسروق عن أم رومان مرسلة». وتبعه القاضي عياض، وتبعهما جماعة من المتأخرين المقلدين للخطيب وغيره.

وعندي: أن الذي وقع في «الصحيح» هو الصواب والراجح؛ وذلك أن مستند هؤلاء في انقطاع هذا الحديث إنما هو ما روي عن علي بن زيد بن جدعان -وهو ضعيف-: أن أم رومان ماتت سنة ست، وأن النبي ﷺ حضر دفنها، وقد نبه البخاري في «تاريخه الأوسط» و«الصغير» على أنها رواية ضعيفة، فقال في (فصل من مات في خلافه عثمان): قال علي بن زيد، عن القاسم: ماتت أم رومان في زمن النبي ﷺ سنة ست. قال البخاري: وفيه=

=نظر، وحديث مسروق أسند؛ أي: أصح إسناداً.

وهو كما قال، وقد جزم إبراهيم الحربي الحافظ بأن مسروقاً إنما سمع من أم رومان في خلافة عمر، وقال أبو نعيم الأصبهاني: عاشت أم رومان بعد النبي ﷺ دهراً.

قلت: ومما يدل على ضعف رواية علي بن زيد بن جُدْعان: ما ثبت في «الصحيح» من رواية أبي عثمان النهدي، عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق-رضي الله عنهما-: أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء... فذكر الحديث في قصة أضياف أبي بكر، وفيه: قال: قال عبد الرحمن: إنما هو أنا وأمي وامرأتي وخادم بيتنا... الحديث. وأم عبد الرحمن: هي أم رومان؛ لأنه شقيق عائشة، وعبد الرحمن إنما أسلم بعد سنة ست، وقد ذكر الزبير بن بكار من طريق ابن عيينة عن علي بن زيد: أن إسلام عبد الرحمن كان قبل الفتح، وكان الفتح في رمضان سنة ثمان؛ فبان ضعف ما قال علي بن زيد في تقييد وفاة أم رومان، مع ما اشتهر من سوء حفظه في غير ذلك؛ فكيف تعل به الروايات الصحيحة المعتمدة؟! والله أعلم».

وقال -رحمه الله- في «فتح الباري» (٧/ ٤٣٨):

«استشكل قول مسروق: حدثني أم رومان، مع أنها ماتت في زمن النبي ﷺ، ومسروق ليست له صحبة؛ لأنه لم يقدم من اليمن إلا بعد موت النبي ﷺ في خلافة أبي بكر -أو عمر-. قال الخطيب: «ولا نعلمه روى هذا الحديث عن أبي وائل غير حصين، ومسروق لم يدرك أم رومان، وكان يرسل هذا الحديث عنها، ويقول: سئلت أم رومان؛ فوهم حصين فيه حيث جعل السائل لها مسروقاً، أو يكون بعض النقلة كتب (سُئِلتْ) بألف فصارت (سألت)، فقرئت بفتحتين. قال: على أن بعض الرواة قد رواه عن حصين على الصواب -يعني: بالعنعنة-، قال: وأخرج البخاري هذا الحديث بناء على ظاهر الاتصال، ولم يظهر له علته!» انتهى.

وقد حكى المزي كلام الخطيب هذا في «التهذيب» وفي «الأطراف» ولم يتعقبه، بل أقره! وزاد: أنه روى عن مسروق عن ابن مسعود عن أم رومان؛ وهو أشبه بالصواب. كذا قال! وهذه الرواية شاذة، وهي من المزيد في متصل الأسانيد على ما سنوضحه. والذي ظهر لي بعد التأمل: أن الصواب مع البخاري؛ لأن عمدة الخطيب ومن تبعه في دعوى الوهم: الاعتماد على قول من قال: إن أم رومان ماتت في حياة النبي ﷺ سنة أربع، وقيل: سنة خمس، وقيل: ست؛ وهو شيء ذكره الواقدي! ولا يتعقب الأسانيد الصحيحة بما يأتي عن الواقدي. وذكره الزبير بن بكار بسند منقطع فيه ضعف: أن أم رومان ماتت سنة ست في ذي الحجة. =

= وقد أشار البخاري إلى رد ذلك في «تاريخه الأوسط»، و«الصغير»، فقال -بعد أن ذكر أم رومان في فصل من مات في خلافة عثمان-: روى علي بن زيد، عن القاسم؛ قال: ماتت أم رومان في زمن النبي ﷺ سنة ست!

قال البخاري: وفيه نظر، وحديث مسروق أسند؛ أي: أقوى إسناداً، وأبين اتصالاً. انتهى.

وقد جزم إبراهيم الحربي بأن مسروقاً سمع من أم رومان وله خمس عشرة سنة، فعلى هذا يكون سماعه منها في خلافة عمر؛ لأن مولد مسروق كان في سنة الهجرة، ولهذا قال أبو نعيم الأصبهاني: عاشت أم رومان بعد النبي ﷺ.

وقد تعقب ذلك كله الخطيب معتمداً على ما تقدم عن الواقدي والزبير، وفيه نظر؛ لما وقع عند أحمد من طريق أبي سلمة عن عائشة؛ قالت: لما نزلت آية التخيير؛ بدأ النبي ﷺ بعائشة، فقال: «يا عائشة! إني عارض عليك أمراً فلا تفتاني فيه بشي حتى تعرضيه على أبويك: أبي بكر، وأم رومان...» الحديث، وأصله في «الصحيحين» دون تسمية أم رومان، وآية التخيير نزلت سنة تسع اتفاقاً؛ فهذا دال على تأخر موت أم رومان عن الوقت الذي ذكره الواقدي والزبير-أيضاً-؛ فقد تقدم في علامات النبوة من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في قصة أضياف أبي بكر: قال عبد الرحمن: وإنما هو أنا وأمي وامرأتي وخادم»، وفيه عند المصنف في (الأدب): «فلما جاء أبو بكر؛ قالت له أمي: احتبست عن أضيافك...» الحديث، وعبد الرحمن إنما هاجر في هدنة الحديبية، وكانت الحديبية في ذي القعدة سنة ست، وهجرة عبد الرحمن في سنة سبع في قول ابن سعد، وفي قول الزبير فيها أو في التي بعدها؛ لأنه روى أن عبد الرحمن خرج في فئة من قريش قبل الفتح إلى النبي ﷺ، فتكون أم رومان تأخرت عن الوقت الذي ذكراه فيه، وفي بعض هذا كفاية في التعقب على الخطيب ومن تبعه فيما تعقبوه على هذا «الجامع الصحيح»، والله المستعان.

وقد تلقى كلام الخطيب بالتسليم: صاحب«المشارق» [وهو القاضي عياض، وكلامه فيه (٢/ ٣٠)]، و«المطالع» [وهو لأبي إسحاق ابن قُرْقول]، والسهيلي [في «الروض الأنف» (٦/ ٤٤٠)]، وابن سيد الناس [في «عيون الأثر» (٢/ ١٠١)]، وتبع المزيُّ: الذهبي في «مختصراته»، والعلائي في «المراسيل» [المعروف بـ«جامع التحصيل» (ص٢٧٧-٢٧٨)، وكتابه: «التنبيهات المجملة على المواضع المشكلة» (ص٤٧-٥١)]، وآخرون [مثل: أبي زرعة العراقي في «تحفة التحصيل» (ص٤٨٩-٤٩٠)، وعبد الغني المقدسي، والرشيد العطار]، وخالفهم صاحب «الهدي»». =

= قلت: يعني: الإمام الفذ ابن قيم الجوزية- رحمه الله- في «زاد المعاد في هدي خير العباد»، ونص كلامه (٣/ ٢٦٦-٢٦٧):

«ومما وقع في حديث الإفك: أن في بعض طرق البخاري: عن أبي وائل، عن مسروق؛ قال: سألت أم رومان عن حديث الإفك، فحدثتني....

قال غير واحد: هذا غلط ظاهر؛ فإن أم رومان ماتت على عهد رسول الله ﷺ، ونزل رسول الله ﷺ في قبرها، وقال: «من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين؛ فلينظر إلى هذه»!

قالوا: ولو كان مسروق قدم المدينة في حياتها وسألها؛ للقي رسول الله ﷺ وسمع منه، ومسروق إنما قدم المدينة بعد موت رسول الله ﷺ.

قالوا: وقد روى مسروق، عن أم رومان حديثاً غير هذا، فأرسل الرواية عنها؛ فظن بعض الرواة أنه سمع منها، فحمل هذا الحديث على السماع، قالوا: ولعل مسروقاً قال: سئلت أم رومان، فتصحفت على بعضهم: سألت؛ لأن من الناس من يكتب الهمزة بالألف على كل حال.

وقال آخرون: كل هذا لا يرد الرواية الصحيحة التي أدخلها البخاري في «صحيحه»، وقد قال إبراهيم الحربي وغيره: إن مسروقاً سألها وله خمس عشرة سنة، ومات وله ثمان وسبعون سنة، وأم رومان أقدم من حدث عنه، قالوا: وأما حديث موتها في حياة رسول الله ﷺ، ونزوله في قبرها؛ فحديث لا يصح، وفيه علتان تمنعان صحته:

إحداهما: رواية علي بن زيد بن جُدْعان له؛ وهو ضعيف الحديث، لا يحتج بحديثه.

والثانية: أنه رواه -يعني: ابن جدعان- عن القاسم بن محمد، عن النبي ﷺ، والقاسم لم يدرك زمن رسول الله ﷺ؛ فكيف يقدم هذا على حديث إسناده كالشمس، يرويه البخاري في «صحيحه»، ويقول فيه مسروق: سألت أم رومان، فحدثتني؟! وهذا يرد أن يكون اللفظ: سئلت.

وقد قال أبو نعيم في كتاب «معرفة الصحابة»: قد قيل: إن أم رومان توفيت في عهد رسول الله؛ وهو وهم».

وجملة القول: إن الحديث صحيح دون ريب كما تقدم تفصيله بما لا مزيد عليه.

الذيل
على جزء حديث الإفك

صنعة

أبي أسامة
سليم بن عيد الهلالي السلفي

كان الله له

١- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأصاب عائشة القرعة في غزوة بني المصطلق، فلما كان في جوف الليل؛ انطلقت عائشة لحاجة، فانحلت قلادتها، فذهبت في طلبها، وكان مسطح يتيماً لأبي بكر وفي عياله، فلما رجعت عائشة لم تر العسكر. قال: وكان صفوان بن المعطل السلمي يتخلّف عن الناس، فيصيب القدح، والجراب، والإداوة؛ فيحمله.

قال: فانتهى إلى العسكر، فقالوا قولاً -أو قالوا فيه-، قال: ثم ذكر الحديث حتى انتهى. قال: وكان رسول الله ﷺ يجيء، فيقوم على الباب، فيقول: «كيف تيكم؟»، حتى جاء يوماً، فقال: «أبشري يا عائشة! فقد أنزل الله عذرك»، فقالت:

١- حسن- أخرجه البزار في «مسنده» (٣٣/ ٢٤١/ ٢٦٦٣ -«كشف الأستار»): ثنا محمد بن المثنى ومحمد بن معمر؛ قالا: ثنا عمرو بن خليفة البكراوي: ثنا محمد بن عمرو[أ]، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة به.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٠٩-١١٠/ ١٦٥) من طريقين عن محمد ابن بشار -بندار-: ثنا عمرو[ب] بن خليفة به مختصراً.

قال البزار: «لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٠): «رواه البزار، وفيه محمد بن عمرو؛ وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات».

قلت: وفيما قال -رحمه الله- نظر؛ فإن عمرو بن خليفة -هذا- لم يوثقه إلا ابن حبان، ومع ذلك قال عنه (٧/ ٢٢٩): «ربما كان في بعض روايته بعض المناكير».

وروى عنه جمع من الثقات، وأخرج له ابن خزيمة في «صحيحه»، فهو-إن شاء الله- صدوق حسن الحديث؛ ما لم يخالف، ومعظم حديثه يشهد له ما سبق.

ولعله من أجل ذلك قال السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٧٤): «وأخرج البزار وابن مردويه بسند حسن عن أبي هريرة: (وذكره)».

.....

(أ و ب) تحرف في «كشف الأستار» و«المعجم الكبير» إلى «عمر»؛ فلتصحح.

بحمد الله لا بحمدك. وقال: وأنزل في ذلك عشر آيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾، قال: فحدَّ رسول الله ﷺ مسطحاً وحمنة وحسان.

٢- عن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-: أن النبي ﷺ كان إذا سافر جاء ببعض نسائه، وسافر بعائشة وكان لها هودج، وكان الهودج له رجال يحملونه ويضعونه، فعرَّس رسول الله ﷺ وأصحابه، وخرجت عائشة للحاجة فباعدت، فلم يعلم بها، فاستيقظ النبي ﷺ، والناس قد ارتحلوا، وجاء الذين يحملون الهودج فحملوه لا يعملون إلا أنها فيه، فساروا، وأقبلت عائشة فوجدت النبي ﷺ والناس قد ارتحلوا، فجلست مكانها، فاستيقظ رجل من الأنصار يقال له: صفوان بن المعطل، وكان لا يقرب النساء، فتقرَّب منها ومعه بعير، فلما رآها -وكان قد عرفها وهي صغيرة-؛ قال: أم المؤمنين؟! ولوى وجهه، وحملها، ثم أخذ بخطام الجمل، وأقبل يقوده حتى لحق الناس، والنبي قد نزل وفقد عائشة، فأكثروا القول، وبلغ ذلك النبي ﷺ فشق عليه حتى اعتزلها، واستشار فيها زيد بن ثابت وغيره، فقال: يا رسول الله! دعها لعل الله أن يُحْدِثَ لك فيها، فقال علي بن أبي طالب: النساء كثير، وخرجت عائشة ليلة تمشي في نساء، فعثرت أم مسطح، فقالت: تعس مسطح! قالت عائشة: بئس ما قلت، فقالت: إنك لا تدري ما يقول. فأخبرتها، فسقطت عائشة مغشياً عليها، ثم أنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾ الآيات.

وكان أبو بكر يعطي مسطحاً ويصله ويَبرُّه، فحلف أبو بكر لا يعطيه، فنزل: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ الآية. فأمره النبي ﷺ أن يأتيها

٢- منكر- أخرجه ابن مردويه في «تفسيره»؛كما في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٧٥-٦٧٦).

قلت: في بعض متنه نكارة، والمعروف -أيضاً-: أن رسول الله ﷺ استشار علياً وأسامة، ولم يستشر زيد بن ثابت!

ويبَشِّرها، فجاء أبو بكر فأخبرها بعذرها وما أنزل الله فيها، فقالت: لا بحمدك، ولا بحمد صاحبك.

٣- عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ثلاثاً، فمن أصابته القرعة خرج بها معه، فلما غزا بني المصطلق؛ أقرع بينهن، فأصابت عائشة وأم سلمة، فخرج بهما معه، فلما كانوا في بعض الطريق، مال رحل أم سلمة، فأناخوا بعيرها؛ ليصلحوا رحلها، وكانت

٣- موضوع- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٠٦-١٠٩/ ١٦٤): ثنا عبدالرحمن بن خلاد الدورقي: ثنا سعدان بن زكريا الدورقي؛ قال: ثنا إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي؛ عن ابن أبي ذئب، عن نافع، عن ابن عمر به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٠): «رواه الطبراني، وفيه إسماعيل بن يحيى ابن عبيد الله [1] التيمي، وهو كذاب».

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٧٦)، وزاد نسبته لابن مردويه في «تفسيره».

وذكره الحافظ في «فتح الباري» (٨/ ٤٥٧)، ونسبه لابن مردويه -أيضاً-.

وفي متنه نكارة ظاهرة:

١- خروج أم سلمة في غزوة بني المصطلق، فالمعروف خروج سهم عائشة وحدها.

٢- اتباع عائشة للجيش، والمعروف أنها برحت مكانها خشية أن تضل الطريق.

٣- احتباس عائشة في جمع نظم عقدها، والمعروف أنها فقدته، ولم تجده إلا بعد أن أثاروا البعير.

٤- وقوع الشك في قلب رسول الله ﷺ -وحاشاه وحاشاها-، وإنما تأنى الرسول ﷺ لحكم باهرة، مضى شيء منها (ص ١٥٢).

٥- طرد أبي بكر -رضي الله عنه- لابنته!

٦- تضارب الأوس والخزرج وقتالهم.

٧- جلد المنافق عبد الله بن أبي حدّين!

.....

(أ) تحرفت في مطبوع «المعجم الكبير» إلى «عبد الله» -مكبراً-؛ وهو تصحيف.

عائشة تريد قضاء حاجة، فلما أبركوا إبلهم، قالت عائشة: فقلت في نفسي: إلى ما يُصْلَحُ رحل أم سلمة أقضي حاجتي. قالت: فنزلتُ من الهودج، ولم يعلموا بنزولي، فأتيت جوبة[1]، فانقطعت قلادتي، فاحتبست في جمعها ونظامها، وبعث القوم إبلهم ومضوا، وظنوا أني في الهودج، فخرجت ولم أر أحداً، فاتبعتهم حتى أعييت، فقلت في نفسي: إن القوم سيفقدوني فيرجعون في طلبي، فقمت على بعض الطريق، فمر بي صفوان بن المعطل، وكان سأل النبي ﷺ أن يجعله على الساقة فجعله، وكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم، فما سقط منهم من شيء حمله حتى يأتي به أصحابه، قالت عائشة: فلما مر بي ظنَّ أني رجل، فقال: يا نومان! قم؛ فإن الناس قد مضوا. فقلت: إني لست رجلاً، أنا عائشة. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم أناخ بعيره فعقل يديه، ثم ولى عني، فقال: يا أُمَّهْ! قومي فاركبي، فإذا ركبت فآذنيني. قالت: فركبت، فجاء حتى حل العقال، ثم بعث جمله فأخذ بخطام الجمل. قال ابن عمر: فما كلَّمها كلاماً حتى أتى بها رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن أبيّ ابنُ سلول المنافق: فَجَرَ بها وربِّ الكعبة، وأعانه على ذلك حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة، وشاع ذلك في العسكر، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فكان في قلب النبي ﷺ مما قالوا حتى رجعوا إلى المدينة، وأشاع عبد الله بن أبي هذا الحديث في المدينة، واشتد ذلك على رسول الله ﷺ. قالت عائشة: فدخلت ذات يوم أم مسطح فرأتني وأنا أريد المذهب، فحملت معي السطل وفيه ماء، فوقع السطل منها، فقالت: تعس مسطح! قالت لها عائشة: سبحان الله! تسبين رجلاً من أهل بدر وهو ابنك؟ فقالت لها أم مسطح: إنه سال بك السيل وأنت لا تدرين! وأخبرتها بالخبر. قالت: فلما أخبرتني أخذتني الحُمَّى، فتقلص ما كان، ولم أجد المذهب.

(١) مكان وطئ من الأرض، قليل الشجر؛ كالغائط المستدير.

قالت عائشة: وقد كنت أرى من النبي ﷺ قبل ذلك جفوة، ولم أدر من أي شيء هو، فلما حدثتني أم مسطح؛ علمت أن جفوة رسول الله ﷺ كانت لما أخبرتني أم مسطح، فقلت للنبي ﷺ: أتأذن لي أن أذهب أهلي؟ قال: «اذهبي»، فخرجت عائشة حتى أتت أباها، فقال لها: ما لك؟ قالت: أخرجني رسول الله ﷺ من بيته! قال لها أبو بكر: فأخرجك رسول الله ﷺ وآويك أنا؟ والله لا آويك حتى يأمر رسول الله ﷺ، فأمره رسول الله ﷺ أن يؤويها، فقال لها أبو بكر: والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية قط، فكيف وقد أعزنا الله بالإسلام؟ فبكت عائشة، وأمها -أم رومان-، وأبو بكر، وبكى معهم أهل الدار.

وبلغ ذلك النبي ﷺ، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: «أيها الناس من يعذرني ممن يؤذيني؟»، فقام إليه سعد بن معاذ، فسل سيفه، وقال: يا رسول الله! أنا أعذرك منه، وإن يكن من الأوس أتيتك برأسه، وإن يكن من الخزرج أمرتنا بأمرك فيه، فقام سعد بن عبادة، فقال: كذبت، والله ما تقدر على قتله، إنما طلبتنا بذحول[1] كانت بيننا وبينكم في الجاهلية. فقال هذا: يا للأوس! وقال هذا: يا للخزرج! فاضطربوا بالنعال والحجارة وتلاطموا، فقام أسيد بن حضير، فقال: فيم الكلام؟ هذا رسول الله يأمرنا بأمره فينفذ عن رغم أنف من رغم، ونزل جبريل وهو على المنبر، فلما سُرِّيَ عنه تلا عليهم ما نزل به جبريل: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ إلى آخر الآيات، فصاح الناس: رضينا بما أنزل الله. وقام بعضهم إلى بعض فتلازموا وتصالحوا، فنزل النبي ﷺ عن المنبر، وانتظر الوحي في عائشة، فبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، وبريرة، وكان إذا أراد أن يستشير في أمر أهله لم يَعْدُ علياً، وأسامة بعد موت أبيه زيد، فقال لعلي: «ما تقول في عائشة فقد أهمني ما قال الناس؟» قال له: يا رسول الله، قد قال الناس،

(١) جمع ذحل، وهو: الترة والعداوة.

وقد حل لك طلاقها، وقال لأسامة: «وما تقول أنت؟»، قال: سبحان الله! ما يحل لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم، فقال لبريرة: «ما تقولين يا بريرة؟»، قالت: والله يا رسول الله! ما علمت على أهلك إلا خيراً؛ إلا أنها امرأة نئوم، تنام حتى تجيء الداجن فتأكل عجينها، وإن كان شيء من هذا؛ ليخبرنك الله.

فخرج النبي ﷺ حتى أتى منزل أبي بكر، فدخل عليها، فقال لها: «يا عائشة! إن كنت فعلت هذا الأمر؛ فقولي لي حتى أستغفر الله لك»، فقالت: والله لا أستغفر الله منه أبداً، إن كنت قد فَعَلْتُه؛ فلا غفر الله لي، وما أجد مثلي ومثلكم إلا مثل أبي يوسف -وذهب اسم يعقوب من الأسف-: قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٨٦]. فبينا رسول الله ﷺ يكلمها؛ إذ نزل جبريل بالوحي، فأخذت النبي ﷺ نعسة، فَسُرِّيَ وهو يتبسَّم، فقال: «يا عائشة! إن الله قد أنزل عذرك». فقالت: بحمد الله لا بحمدك. فتلا عليها سورة النور إلى الموضع الذي انتهى خبرها وعذرها وبراءتها، فقال رسول الله ﷺ: «قومي إلى البيت». فقامت.

وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد، فدعا أبا عبيدة بن الجراح، فجمع الناس، ثم تلا عليهم ما أنزل الله من البراءة لعائشة، وبعث إلى عبد الله بن أبي، فجيء به فضربه النبي ﷺ حدَّين، وبعث إلى حسَّان، ومسطح، وحَمْنَة، فضربوا ضربًا وجيعًا، ووجأ في رقابهم.

قال ابن عمر: إنما ضرب رسول الله ﷺ عبدالله بن أُبيٍّ حَدَّيْنِ؛ لأنه من قذف أزواج النبي ﷺ فعليه حدّان.

فبعث أبو بكر إلى مسطح: لا وصلتك بدرهم أبداً، ولا عطفت عليك بخير أبداً، ثم طرده أبو بكر وأخرجه من منزله، فنزل القرآن: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى آخر الآية. فقال أبو بكر: أما إذ نزل القرآن يأمرني فيك؛

لأضاعفنَّ لك.

وكانت امرأة عبد الله بن أبيٍّ منافقة معه، فنزل القرآن﴿الْخَبِيثَاتُ﴾؛ يعني: امرأة عبد الله ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾؛ يعني: عبد الله ﴿وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾؛ يعني: عبد الله وامرأته ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾؛ يعني: عائشة وأزواج النبي ﷺ ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾؛ يعني: النبي ﷺ.

٤- عن أبي اليَسَر الأنصاري -رضي الله عنه-: أن النبي ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة! قد أنزل الله عذرك»، فقالت: بحمد الله لا بحمدك.

فخرج رسول الله ﷺ من عند عائشة، فبعث إلى عبد الله بن أبيّ؛ فضربه حدين، وبعث إلى مسطح وَحَمْنة فضربهم.

٤- موضوع- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٠٥-١٠٦/ ١٦٣) من طريق إبراهيم بن صالح بن حرب: ثنا إسماعيل بن يحيى التيمي: ثنا أبو معشر المدني[1]، عن محمد ابن قيس، عن أبي اليسر به.

قلت: وهذا سند موضوع؛ فيه علل:

الأولى: قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٨٠): «فيه إسماعيل بن يحيى التيمي؛ وهو كذاب».

الثانية: أبو معشر المدني؛ هو نجيح السندي: ضعيف، أسن، واختلط؛ كما في «التقريب».

الثالثة: محمد بن قيس -هذا- ضعيف؛ كما في «التقريب».

الرابعة: الانقطاع؛ فإن محمداً -هذا- لم يدرك أبا اليسر.

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٨١)، وزاد نسبته لابن مردويه في «تفسيره».

ونسبه الحافظ في «فتح الباري» (٨/ ٤٥٧) لابن مردويه.

.....

(أ) تحرفت في «الكبير» إلى «المديني!».

٥- عن ابن عباس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾؛ يريد: إن الذين جاءوا بالكذب على عائشة أم المؤمنين أربعة منكم ﴿لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ يريد: خيراً لرسول الله ﷺ وبراءة لسيدة نساء المؤمنين، وخيراً لأبي بكر، وأم عائشة، وصفوان بن المعطل﴿لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾؛ يريد: إشاعته ﴿مِنْهُمْ﴾؛ يريد: عبد الله بن أبي ابن سلول ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ يريد: في الدنيا، جلده رسول الله ﷺ ثمانين، وفي

٥- موضوع- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١١٠-١١٣/ ١٦٨): ثنا بكر ابن سهل الدمياطي: ثنا عبد الغني بن سعيد الثقفي؛ قال: ثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس. وعن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك ابن مزاحم، عن ابن عباس به.

قلت: وهذا سند موضوع؛ فيه علل:

قال الحافظ ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٢٢٠): «ومن التفاسير الواهية؛ لوهاء رواتها: التفسير الذي جمعه موسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني، وهو قدر مجلدين، يسنده إلى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وقد نسب ابن حبان موسى -هذا- إلى وضع الحديث. ورواه عن موسى: عبد الغني بن سعيد الثقفي؛ وهو ضعيف».

وقال -أيضاً- عن موسى بن عبد الرحمن الصنعاني -هذا- في (٢/ ٧٥٥): «وهو كذاب».

وقال في «الإصابة» (٣/ ٥٥٠) عن موسى وعبد الغني: «هالكان».

وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٢١١) عن موسى بن عبد الرحمن الصنعاني -هذا-: «ليس بثقة؛ فإن ابن حبان قال فيه: دجال، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في «التفسير»».

وأما السند الآخر؛ ففيه مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، قال الحافظ في «التقريب»: «كذبوه، وهجروه، ورمي بالتجسيم».

والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

زد على ذلك كله: أن شيخ الطبراني -بكر بن سهل الدمياطي- ضعيف؛ ضعفه النسائي وابن يونس وغيرهما.

الآخرة مصيره إلى النار،﴿لَّوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُواْ هَـذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾: وذلك أن رسول الله ﷺ استشار فيها أسامة وبريرة وأزواج النبي ﷺ، فقالوا خيراً، وقالوا: هذا كذب عظيم. ﴿لَّوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾؛ لكانوا هم والذين شهدوا كاذبين ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَـئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾؛ يريد: الكذب بعينه ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾؛ يريد: فلولا ما مَنَّ الله به عليكم وستركم. ﴿هَـذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾؛ يريد بالبهتان: الافتراء، مثل قوله في مريم: ﴿بُهْتَاناً عَظِيماً﴾ [النساء: ١٥٦]، ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَداً﴾؛ يريد: مسطحاً، وحمنة، وحسان. ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ التي أنزلها في عائشة والبراءة لها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبكم من الندامة فيما خضتم به ﴿حَكِيمٌ﴾: حكم في القذف ثمانين جلدة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾؛ يريد: من بعد هذا﴿فِي الَّذِينَ امَنُواْ﴾؛ يريد: المحصنين والمحصنات من المصدِّقين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: وجيع ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾؛ يريد: الحد، وفي الآخرة العذاب في النار ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء ما دخلتم فيه وما فيه من شدة العذاب، وأنتم لا تعلمون شدة سخط الله على من فعل هذا.

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾؛ يريد: لولا ما تفضل الله به عليكم، ورحمته لندامتكم؛ يريد: مسطحاً، وحمنة، وحسان ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ يريد: من الرحمة، رءوف بكم حيث ندمتم ورجعتم إلى الحق: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ امَنُواْ﴾؛ يريد:صدِّقوا بتوحيد الله ﴿لاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾؛يريد: الزلات ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾؛ يريد بالفحشاء: عصيان الله، والمنكر: كل ما يكره الله: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾؛ يريد: ما تفضل الله به عليكم ورحمكم به ﴿مَا زَكَى مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾ يريد: ما قَبِلَ توبة أحد منكم أبداً ﴿وَلَـكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾؛يريد: فقد شئت أن أتوب عليكم﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ يريد:

سميع لقولكم، عليم بما في أنفسكم من الندامة في التوبة.

﴿وَلاَ يَـأْتَلِ﴾؛ يريد: ولا يحلف ﴿أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾؛ يريد: ولا يحلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح ﴿أَن يُؤْتُواْ أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ﴾ فقد جعلت فيك يا أبا بكر الفضل، وجعلت عندك السعة والمعرفة بالله وصلة الرحم، فتعطف يا أبا بكر! على مسطح؛ فإن له قرابة، وله هجرة ومسكنة ومشاهد رضيتها منه يوم بدر﴿أَلاَ تُحِبُّونَ﴾ يا أبا بكر ﴿أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾؛ يريد: فاغفر لمسطح ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ يريد: فإني غفور لمن أخطأ، رحيم بأوليائي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾؛ يريد: العفائف ﴿الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾؛ يريد: المصدقات بتوحيد الله وبرسله.

وقد قال حسان بن ثابت في عائشة:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة: ولكنك يا حسان! ما أنت كذلك.

﴿لُعِنُواْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: أخرجهم من الإيمان، مثل قوله في سورة الأحزاب للمنافقين: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُواْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦١]. ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾؛ يريد: كبر القذف وإشاعته؛ عبد الله بن أبي ابن سلول الملعون. ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]؛ يريد: أن الله ختم على ألسنتهم، فتكلمت الجوارح، وشهدت على أهلها، وذلك أنهم قالوا: تعالوا نحلف بالله ما كنا مشركين؛ فختم الله على ألسنتهم؛ فنطقت الجوارح بما عملوا، ثم شهدت ألسنتهم عليهم بعد ذلك. ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾؛ يريد: يجازيهم بأعمالهم بالحق، كما يجازي أولياءه بالثواب؛ كذلك يجزي أعداءه بالعقاب؛ كقوله في الحمد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]؛ يريد: يوم الجزاء ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾؛ يريد: يوم القيامة ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ

الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾: وذلك أن عبد الله بن أبي بن سلول كان يشك في الدين، وكان رأس المنافقين، فذلك قول الله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ ويعلم ابن سلول يوم القيامة ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾؛ يريد: انقطع الشك، واستيقن حيث لا ينفعه اليقين قال: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾؛ يريد: أمثال عبد الله بن أبي ابن سلول، ومن شك في الله -عز وجل-، ويقذف مثل سيدة نساء العالمين ثم قال: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾: عائشة طيبها الله لرسوله -عليه السلام-؛ أتى بها جبريل -عليه السلام- في سَرَقَة من حرير قبل أن تُصَوَّر في رحم أمها، فقال له: «هذه عائشة بنت أبي بكر زوجتك في الدنيا، وزوجتك في الجنة عوضاً من خديجة بنت خويلد»، وذلك عند موتها، فسر بها رسول الله ﷺ، وَقَرَّ بها عيناً.

ثم قال: ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾؛ يريد: رسول الله ﷺ، طيبه الله لنفسه، وجعله سيد ولد آدم، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾؛ يريد: عائشة ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾؛ يريد: برأها الله من كذب عبد الله بن أبي ابن سلول ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾؛ يريد: عصمة[1] في الدنيا، ومغفرة في الآخرة ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾؛ يريد: رزق الجنة وثواب عظيم.

٦- عن عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة؛ قال: استأذن ابن عباس -قبيل موتها- على عائشة وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يُثْنَى عليّ، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ، ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت، قال: فأنت بخير إن شاء الله -تعالى-؛ زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء.

ودخل عبد الله بن الزبير خلافه، فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليّ، وددت أني كنت نسياً منسياً.

(١) انظر ما تقدم (ص ١٤٢-١٤٦).

٦- صحيح- أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٤٨٢-٤٨٣/ ٤٧٥٣و٤٨٣/ ٤٧٥٤).

٧- وعن ذكوان -مولى عائشة-: أنه استأذن لابن عباس على عائشة وهي

٧- صحيح- أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٠٨-٣٠٩/ ٣٢٦٢)، و«فضائل الصحابة» (٢/ ٨٧٣-٨٧٤/ ١٦٣٩) -ومن طريقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص٢١٨-٢١٩)-: ثنا عبد الرزاق، عن معمر بن راشد، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن عبدالله[1] ابن مليكة، عن ذكوان به.

وخالف عبد الرزاق: سفيان بن عيينة، فرواه عن معمر به؛ لكن أسقط (ذكوان) من سنده!

أخرجه المخلص -وعنه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨/ ١٤٢٨/ ٢٧٥٤)-: نا يحيى بن صاعد: نا محمد بن ميمون الخياط البزاز المكي، عن سفيان بن عيينة به.

قلت: لكن محمد بن ميمون -هذا- صدوق ربما أخطأ، فهو حسن الحديث؛ ما لم يتبين خطؤه، وقد أخطأ على ابن عيينة في هذا الحديث؛ فقد رواه أثبت الناس في معمر -أعني: عبد الرزاق- بذكر (ذكوان) في سنده؛ وهو المحفوظ، ويؤيده: أن معمراً توبع على إثبات ذكوان في سنده من جمع من الثقات.

وتابع معمراً:

١- زائدة بن قدامة: أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٧-٢٩٨/ ٢٤٩٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٣٢١/ ١٠٧٨٣) عن معاوية بن عمر الأزدي، عن زائدة به.

٢- زهير بن معاوية الجعفي: أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «النقض على بشر ابن غياث المريسي العنيد» (١/ ٥٢٠-٥٢١)، و«الرد على الجهمية» (٤٧-٤٨/ ٨٤): ثنا أبو جعفر -عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل -النفيلي الحراني، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٠/ ٧٤): نا مالك بن إسماعيل النهدي؛ كلاهما عن زهير بن معاوية به.

٣- بشر بن المفضل بن لاحق الرقاشي: أخرجه أبو يعلي الموصلي في «مسنده» (٥/ ٥٦-٥٧/ ٢٦٤٨): حدثنا عبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريري، عن بشر به.

قال شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- في «مختصر العلو» (ص١٣٠): «وسنده صحيح على شرط مسلم».

قلت: وهو كما قال.

وخالف الجماعة في روايتهم: يحيى بن سليم الطائفي، فرواه عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به؛ لكن أسقط من سنده (عن ذكوان). =

(١) تحرفت في «مسند أبي يعلى» إلى «عبيد الله» -مصغر-؛ وهو تصحيف.

تموت، وعندها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن، فقال: هذا ابن عباس يستأذن عليك، وهو من خير بنيك، فقالت: دعني من ابن عباس، ومن تزكيته، فقال لهما عبد الله بن عبد الرحمن: إنه قارئ لكتاب الله، فقيه في دين الله؛ فأذني له، فليُسَلِّمْ عليك وليودّعْك، قالت: فأذن له إن شئت، قال: فأذن له، فدخل ابن عباس، ثم سلم وجلس، وقال: أبشري يا أم المؤمنين! فوالله ما بينك وبين أن يذهب عنك

= أخرجه الحسن بن سفيان النسوي في «مسنده» -وعنه ابن حبان في «صحيحه» (١٦/ ٤١-٤٢/ ٧١٠٨ -«إحسان»)، وأبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» (٢/ ٤٥) -ومن طريقه ابن قدامة المقدسي في «إثبات صفة العلو» (١٠٧-١٠٨/ ٨٠)-: ثنا الهيثم بن جنّاد الحلبي، عن يحيى به.

قلت: لكن يحيى بن سليم -هذا- صدوق سيء الحفظ؛ كما في «التقريب»، فالنفس لا تطمئن لحديثه إذا تفرد، فكيف إذا خالف؟!

لكن تابعه سفيان بن عيينة، عن ابن خثيم به.

أخرجه الحاكم (٤/ ٨-٩) من طريق بشر بن موسى، عن الحميدي، عن ابن عيينة به.

وقال عقبه: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وهو كما قالا؛ لكن الصواب فيه من ذكر ذكوان في سنده، فيحمل أن ابن أبي مليكة كان ينشط أحياناً فيذكره، ويكسل أحياناً أخرى فلا يذكره، أو أنه حضر القصة وثبتها من ذكوان؛ فكان يرويه من الوجهين، ويؤيد هذا الترجيح: رواية البخاري السابقة؛ فإن في سياق الحديثين بعض الاختلاف. والله أعلم.

ويؤيد هذا الأمر: ما أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٨٧٢/ ١٦٣٦): ثني وكيع بن الجراح: حدثني هارون بن أبي إبراهيم البربري، عن ابن أبي مليكة؛ قال: استأذن ابن عباس على عائشة في مرضها الذي ماتت فيه فأبت أن تأذن له، فلم يزل بها حتى أذنت له، فسمعها وهي تقول: أعوذ بالله من النار، قال: يا أم المؤمنين! إن الله -عز وجل- قد أعاذك من النار؛ كنت أول امرأة نزل عذرها من السماء.

وهذا سند صحيح غاية، ففي هذا السياق ألفاظ ليست في رواية ابن خثيم، وهذا يرجح شهود ابن أبي مليكة للقصة، وأنه كان موجوداً ساعتئذ.

كل أذى ونصب -أو قال: وصب-، وتلقي الأحبة: محمداً وحزبه -أو قال: أصحابه- إلا أن تفارق روحك جسدك، فقالت: وأيضاً؟ فقال ابن عباس: كنت أحبُّ أزواج رسول الله ﷺ إليه، ولم يكن يحبُّ إلا طيباً، وأنزل الله -عز وجل- براءتك من فوق سبع سماوات، [جاء بها الروح الأمين فأصبح] ليس في الأرض مسجد إلا وهو يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار، وسقطت قلادتك بالأبواء، فاحتبس النبي ﷺ في المنزل والناس معه في ابتغائها -أو قال: في طلبها- حتى أصبح القوم على غير ماء؛ فأنزل الله -عز وجل-: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً...﴾ الآية [النساء: ٤٣، والمائدة: ٦]، فكان في ذلك رخصة للناس عامة في سببك، فوالله إنك لمباركة. فقالت: دعني يا ابن عباس! من هذا؛ فوالله لوددت أني كنت نسياً منسياً.

٨- عن عائشة -رضي الله عنها-؛ قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا

٨- ضعيف- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٠١-١٠٢/ ١٥٣): ثنا عبدان بن أحمد: ثنا زيد بن الحريش: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي: ثنا أبو سعد البقال، عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه، عن عائشة به.

قلت: وهذا سند ضعيف، وفي متنه نكارة؛ فيه علتان:

الأولى: أبو سعد -سعيد بن المرزبان- البقال الكوفي؛ ضعيف مدلس، وقد عنعن.

الثانية: زيد بن الحريش: مجهول الحال؛ قاله ابن القطان الفاسي.

وقد توبع المحاربي؛ تابعه: سفيان بن عيينة، عن أبي سعد البقال به؛ لكن مختصر جداً، لفظه: «تزوجني رسول الله ﷺ وعليَّ حوف، فما هو إلا أن تزوجني، فألقي علي الحياء».

قال ابن عيينة: والحوف: ثياب من سيور، تُلْبِسُهُ الأعراب أبناءهم.

أخرجه الحميدي في «مسنده» (١/ ١١٣-١١٤/ ٢٣٢)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٨/ ٢٤٣-٢٤٤/ ٤٨٢٢).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٣١): «فيه أبو سعد البقال؛ وهو ضعيف، وقد وثق».

=

أخوض المطر بمكة، وما عندي ما يرغب فيه الرجال، وأنا بنت ست سنين، فلما بلغني أنه تزوجني ألقى الله علي الحياء، ثم إن رسول الله ﷺ هاجر وأنا معه، فاحتملت إليه وقد جاءني وأنا بنت تسع سنين، فسار رسول الله ﷺ مسيراً فخرج بي معه، وكنت خفيفة في حدجة[1] لي عليها ستور، فإذا ارتحلوا جلست عليها، واحتملوا وأنا فيها، فشدوها على ظهر البعير، فنزلوا منزلاً وخرجت لحاجتي، فرجعت وقد بادروا بالرحيل، فجلست في الحداجة، وقد رأوني حين حركت الستور، فما جلست فيها ضربت بيدي على صدري، فإذا قد نسيت قلادة كانت معي، فخرجت مسرعة أطلبها، فرجعت، فإذا القوم قد ساروا، فإذا أنا لا أرى إلا الغبار من بعيد، فإذا هم قد وضعوا الحداجة على ظهر البعيرة، لا يرون إلا أني فيها؛ لما رأوا من خفتي، فإذا رجل آخذ برأس بعيره، فقلت: من الرجل؟ قال: صفوان بن المعطل السلمي، أم المؤمنين أنت؟ قلت: نعم، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قلت: أدر عني وجهك وضع رجلك على ذراع بعيرك، قال: أفعل ونعمة عين وكرامة، قال: فأدركت الناس حين نزلوا، فذهب فوضعني عند الحداجة، فنظر الناس إليَّ ولا أشعر، قالت: وأنكرت لطف أبوي وأنكرت رسول الله، ولا أعلم ما قد قيل حتى دخلت خادمتي -أو ربيبتي-، فقالت: كذا قالت، وقال لي رجل من المهاجرين: ما أغفلك، فأخذتني حمى نافض، فأخذت أمي كل ثوب في البيت فألقته علي، فاستشار رسول الله أناساً من أصحابه، فقال: «ما ترون؟»، فقال بعضهم: ما أكثر النساء وتقدر على البدل، وقال

= وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٤/ ١١٦): «مدار حديث عائشة -هذا- علي أبي سعد -سعيد بن المرزبان- البقال الكوفي الأعور؛ وهو ضعيف».

والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٤٥٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٩٠-٦٩١) ونسباه لابن مردويه -أيضاً-.

(١) قتب البعير بأداته.

بعضهم: أنت رسول الله وعليك ينزل الوحي، وأمرنا لأمرك تبع، وقال بعضهم: والله ليبينه الله فلا تعجل، قالت: وقد صار وجه أبي كأنه صب عليه الزرنيخ، قالت: فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فرأى ما بي، قال: «ما لهذه؟»، قالت أمي: ما لهذه مما قلتم وقيل، فلم يتكلم ولم يقل شيئاً، قالت: فزادني ذلك على ما عندي، قالت: وأتاني، فقال: «اتقي الله يا عائشة! إن كنت قارفت من هذا شيئاً؛ فتوبي إلى الله؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات»، قال: وطلبت اسم يعقوب فلم أقدر عليه، فقلت: غير أني أقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾، ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾. قالت: فبينا رسول الله مع أصحابه ووجهه كأنما ذيب الزرنيخ، حتى نزل عليه الوحي، وكان إذا أوحي إليه لم يطرف، فعرف أصحابه أنه يوحى إليه، وجعلوا ينظرون إلى وجهه، وهو يتهلل ويسفر، فلما قضي الوحي، قال: «أبشر يا أبا بكر؛ قد أنزل الله عذر ابنتك وبراءتها»، فانطلق إليها فبشرها، قالت: وقرأ عليه ما نزل فيَّ، قالت: وأقبل أبو بكر مسرعاً يكاد أن ينكب، قالت: فقلت: بحمد الله لا بحمد صاحبك الذي جئت من عنده، فجاء رسول الله ﷺ فجلس عند رأسي، فأخذ بكفي فانتزعت يدي منه، فضربني أبو بكر، وقال: أتنزعين كفك من رسول الله -أو برسول الله تفعلين هذا-؟ فضحك رسول الله، قالت: فهذا كان أمري.

٩- عن عائشة: أنه لما نزل عذرها؛ قبَّل أبو بكر رأسها، فقالت: ألا

٩- ضعيف- أخرجه البزار في «مسنده» (٣/ ٢٤٢/ ٢٦٦٥- «كشف»): ثنا الفضل بن يعقوب البغدادي: ثنا قريش بن خالد العسكري: ثنا عبد الله بن جعفر الرقي: ثنا عبد الله بن المبارك، عن مالك بن مِغْول، عن أبي حصين الأسدي، عن مجاهد، عن عائشة به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٠): «رواه البزار؛ ورجاله رجال الصحيح».

قلت: وقد وهم في ذلك؛ فإن قريش بن خالد -هذا- ليس من رجال واحد منهما، بل=

عَذَرْتني؟ فقال: أي سماء تظلني، أو أي أرض تقلني؛ إن قلت ما لا أعلم؟

١٠- عن الزهري؛ قال: كنت عند الوليد بن عبد الملك، فقال: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾: عليٌّ! فقلت: لا؛ حدثني سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبد الله بن عتبة بن مسعود؛ كلهم سمع عائشة -رضي الله عنها- تقول: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾: عبد الله بن أبي، قال: فقال لي: فما كان جرمه؟ قال: قلت: سبحان الله! (وفي رواية: قال لي الوليد بن عبد

=ليس من رجال الكتب الستة، وقد بحثت عنه جاهداً؛ فلم أر له ذكراً في كتب الرجال، فهو علّة الحديث.

وفيه علة أخرى؛ وهي: أن عبد الله بن جعفر الرقي كان قد اختلط، وبقي في اختلاطه إلى أن مات، ولم يكن اختلاطه فاحشاً، ربما خالف؛ قاله ابن حبان في «الثقات» (٨/ ٣٥١-٣٥٢).

وقد خولف في هذا الحديث؛ فمع كثرة من روى قصة الإفك، أو طرفاً منها، أو جزءاً يسيراً متعلقاً بها؛ فلم يذكر واحد من الرواة ما ذكر في هذه الطريق، فهي -أعني: هذه الزيادة المذكورة في هذا الحديث- منكرة لا تصح، وأين كان أصحاب عبد الله بن جعفر الرقي -على كثرتهم- حين روى قريش -المجهول- هذه اللفظة عنه؟!

وهذا كله مما يجعل النفس لا تطمئن لهذه الرواية، والله أعلم.

فالعجب بعد هذا كله أن يقول السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٩٢): «وأخرج البزار بسند صحيح عن عائشة!!».

فأنى له الصحة وفيه ما ذكرت؟!

١٠- صحيح- أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٧٢-٧٣)، والإسماعيلي وأبو نعيم الأصبهاني في «المستخرج»؛ كما في «الفتح» (٧/ ٤٣٦و٤٣٧) من طريق عبد الرزاق -وهذا في «التفسير» له (٢/ ٥١-٥٢)-: أنا معمر بن راشد، عن الزهري به.

قلت: وهذا سند صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧/ ٤٣٥/ ٤١٤٢) من طريق هشام بن يوسف الصنعاني: نا معمر به؛ بالرواية الثانية التي وضعتها بين قوسين.

وانظر -لزاماً-: «فتح الباري» (٧/ ٤٣٧، سطر ٢٤-٢٩)، و«الدر المنثور» (١٠/ ٦٩٦).

الملك: أبلغك أن علياً كان فيمن قذف عائشة؟ قلت: لا؛ ولكن قد) أخبرني رجلان من قومك -أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أنهما سمعا عائشة تقول: كان مسيئاً في أمري (وفي رواية: كان عليٌّ مسلماً في شأنها).

١١- عن مسروق بن الأجدع؛ قال: دخلنا على عائشة -رضي الله عنها- وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعراً؛ يشبب[1] بأبيات له، فقال:

حصان رزان ما تُزَنُّ بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك!

قال مسروق: فقلت لها: لم تأذني له أن يدخل عليك وقد قال الله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؟! فقالت: وأي عذاب أشد من العمى؟!

قالت له: إنه كان ينافح -أو يهاجي- عن رسول الله ﷺ.

١٢- عن عروة بن الزبير؛ قال: ذهبت أسبُّ (وفي رواية: سببت) حسان عند عائشة، [وكان ممن كثَّر عليها]، فقالت: لا تسبه؛ فإن كان ينافح عن رسول الله ﷺ.

وقالت عائشة: استأذن النبي ﷺ في هجاء المشركين، قال: «وكيف بنسبي؟!» (وفي رواية: قال حسان: يا رسول الله! ائذن لي في أبي سفيان، قال: «كيف بقرابتي منه؟!»)، قال: [والذي أكرمك]؛ لأسُلَّنَّك منهم كما تسلُّ الشعرة من العجين (وفي رواية: الخمير).

١١- صحيح- أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧/ ٤٣٦/ ٤١٤٦)، ومسلم في «صحيحه» (٤/ ١٩٣٤/ ٢٤٨٨).

(١) يتغزل.

١٢- صحيح- أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧/ ٤٣٦/ ٤١٤٥)، ومسلم في «صحيحه» (٤/ ١٩٣٤-١٩٣٥/ ٢٤٨٩)

[فقال حسان:

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

قصيدته هذه].

١٣- عن عائشة -رضي الله عنها- كانت تقرأ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُم﴾، وتقول: (الولق): الكذب.

قال ابن أبي مليكة: وكانت أعلم من غيرها بذلك؛ لأنه نزل فيها[1].

١٤- عن عامر بن شراحيل الشعبي: أن عائشة قالت: ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة؛ قوله لأبي سفيان:

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
أتشتمه ولست له بكفء فشر كما لخير كما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

فقيل: يا أم المؤمنين! ليس هذا لغواً؟ قالت: لا؛ إنما اللغو ما قيل عند النساء، قيل: أليس الله يقول: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؟ قالت: أليس قد أصابه عذاب عظيم؟ أليس قد ذهب بصره، وكنع بالسيف؟

١٥- عن عائشة -رضي الله عنها؛ قالت: كان أبو أيوب الأنصاري -رضي الله

١٣- صحيح- أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧/ ٤٣٦/ ٤١٤٤).

(١) قال الحافظ: «لكن القراءة المشهورة: بفتح اللام، وتشديد القاف؛ من التلقي، وإحدى التاءين فيه محذوفة».

١٤- حسن- أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٧/ ١٩٣): ثنا الحسن بن قزعة: ثنا مسلمة بن علقمة: ثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي به.

قلت: وهذا سند حسن.

١٥- ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٧٠١) ونسبه لابن مردويه. =

عنه- حين أخبرته امرأته قالت: يا أبا أيوب! ألا تسمع ما يتحدث الناس؟ فقال: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم؛ فأنزل الله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

١٦- عن بعض رجال بني النجار: أن أبا أيوب -خالد بن زيد- قالت له امرأته -أم أيوب- حين قال أهل الإفك ما قالوا: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت أنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟! قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة -والله- خير منك وأطيب، وإنما هذا كذب وإفك باطل. فلما نزل القرآن؛ ذكر الله من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك، ثم قال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: كما قال أبو أيوب وصاحبته.

١٧- عن عائشة -رضي الله عنها-؛ قالت: فضلت على نساء النبي ﷺ بعشر.

= لم أقف على إسناده. وانظر ما بعده.

١٦- ضعيف- أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٤٦)، والطبري في «جامع البيان» (١٧/ ٢١٢)، و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٣/ ٧٠) من طريقين عن سلمة بن الفضل الأبرش، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٤٦-٢٥٤٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/ ٣٥-٣٦) من طريق عبد الله بن إدريس؛ كلاهما عن محمد بن إسحاق -وهذا في «السيرة» له (ص ٩٧٧ -ابن هشام)-: ثني أبي، عن بعض رجال بني النجار به.

قلت: وهذا سند ضعيف؛ لإرساله، وجهالة البعض من بني النجار؛ فإنه لم يسم.

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٩٩)، وزاد نسبته لابن المنذر، وابن مردويه.

١٧- ضعيف- أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٠/ ٦٣-٦٤): نا حجاج بن نصير[1]: نا عيسى بن ميمون، عن القاسم بن محمد، عن عائشة به.

قلت: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان: =

(أ) في المطبوع «نصر»؛ وهو تصحيف.

قيل: ما هنَّ يا أم المؤمنين؟ قالت: لم ينكح بكراً قط غيري، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله -عز وجل- براءتي من السماء، وجاءه جبريل بصورتي من السماء في حريرة، وقال: تزوجها؛ فإنها امرأتك، وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري، وكان يصلّي وأنا معترضة بين يديه، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي، ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري، وقبض الله نفسه وهو بين سحري ونحري، ومات في الليلة التي كان يدور عليَّ فيها ودفن في بيتي.

١٨- عن أفلح -مولى أبي أيوب-: أن أم أيوب قالت: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى؛ وذلك الكذب، أفكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك؟ قالت: لا والله، قال: فعائشة -والله- خير منك. فلما نزل القرآن وذكر أهل الإفك؛ قال الله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَن نَتَكَلَّمَ بِهَذَا

= الأولى: حجاج بن نُصير الفساطيطي القيسي؛ ضعيف، كان يقبل التلقين.

الثانية: عيسى بن ميمون المدني -مولى القاسم بن محمد-، يعرف بالواسطي؛ ضعيف -أيضًا-.

١٨- موضوع- أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/ ٣٦) من طريق محمد بن شجاع الثلجي: أنا محمد بن عمر الواقدي -وهذا في «المغازي» له (٢/ ٤٣٤)-: حدثني ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن أبي سفيان، عن أفلح به.

قلت: وهذا سند موضوع؛ فيه علل:

الأولى: محمد بن شجاع الثلجي؛ مبتدع، متروك الحديث.

الثانية: الواقدي -المذكور- كذاب معروف.

الثالثة: إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة؛ ضعيف الحديث.

الرابعة: الإرسال.

والأثر ذكره الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٧٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٧٠٠) وزاد نسبته للحاكم.

سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾؛ يعني: أبا أيوب حين قال لأم أيوب.

١٩- عن عبد الرحمن بن الضحاك: أن عبد الله بن صفوان أتى عائشة

١٩- ضعيف- أخرجه الحاكم (٤/ ١٠) من طريق أبي الخطاب -زياد بن يحيى- الحسّاني[أ] النُكْري، عن مالك بن سعير، عن إسماعيل بن أبي خالد: أنبأ عبد الرحمن بن الضحاك به.

قال الحاكم:«هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي!

قال شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- في «الضعيفة» (١٠/ ٢/ ٧١٦): «ورجاله ثقات رجال مسلم[ب]، غير عبد الرحمن بن الضحاك، وقد أورده ابن أبي حاتم (٢/ ٢/ ٢٤٦-٢٤٧) من رواية إسماعيل بن أبي خالد -هذا-؛ إلا أنه وقع فيه عبد الرحمن بن أبي الضحاك، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً.

ولم أره في «ثقات ابن حبان»؛ فهو على كل حال مجهول، فهو علة الحديث».

قلت: هو في «ثقات ابن حبان» (٨/ ٣٧١)؛ لكن فات شيخنا -رحمه الله- التنبيه على أن عبد الرحمن بن أبي الضحاك -هذا- يبعد أن يدرك القصة؛ لأمرين:

الأول: أن مروان بن معاوية الفزاري رواه عن إسماعيل بن أبي خالد به؛ لكن قال: عن عبد الرحمن بن أبي الضحاك، عن عبد الرحمن بن محمد بن زيد بن جدعان: أن عبد الله بن صفوان ... الحديث.

أخرجه أبو القاسم البغوي في «حديث داود بن عمرو الضبي» -ومن طريقه قوام السنة الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٧١-٣٧٢/ ٣٦٨)-: ثنا داود بن عمرو الضبي، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣٤٥): وقال مؤمل بن الفضل؛ كلاهما قال: ثنا مروان بن معاوية به.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/ ١٨٥-١٨٦/ ٣٢٨١٧-ط الرشد)، و«المسند»؛ كما في «المطالب العالية» (٤/ ٣١٥-٣١٦/ ٤١٠٤/ ١-ط دار الوطن، أو ١٦/ ٥٧٢/ ٤١٠٦-ط دار العاصمة) -وعنه البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣٤٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ٤٠٢/ ٣٠٣٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٢٥-٢٦/ ٧٧) -: ثنا عبد الرحيم بن سليمان، عن إسماعيل بن أبي خالد به. =

(أ) تحرفت في «مطبوع المستدرك» إلى الغساني -بالغين المعجمة-! وهو تصحيف، والصواب المثبت.

(ب) قلت: فيه نظر؛ فإن سعير بن مالك بن الخِمْس من رجال البخاري، ولم يرو له مسلم!

= ورواه البخاري عن محمد بن بشر، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٢٥-٢٦/ ٧٧) من طريق أبي شهاب الحناط؛ كلاهما عن ابن أبي خالد به.

فقد بينت هذه الرواية الانقطاع الواقع في سند الحاكم، وأن عبد الرحمن بن أبي الضحاك يرويه بواسطة عبد الرحمن بن محمد بن زيد بن جُدْعان.

ويؤيد ذلك:

الأمر الثاني: أن ابن أبي حاتم وابن حبان لما ترجما لابن أبي الضحاك؛ ذكرا أنه إنما يروي عن ابن جدعان المذكور، ولم يذكرا أنه يروي عن عبد الله بن صفوان، فكان ينبغي على شيخنا -رحمه الله- التنبيه على ذلك، لا سيما والسياق ظاهر الانقطاع.

إذا تبين ذلك؛ فاعلم أن الحديث باق على ضعفه؛ فإن عبد الرحمن بن محمد بن زيد ابن جدعان مجهول الحال، فقد ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣٤٥-٣٤٦)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥/ ٢٨٠-٢٨١)؛ ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً، ولا راويًا عنه إلا ابن أبي الضحاك -المجهول- وأبا جعفر الفراء، وقد وثقه -على عادته- ابن حبان (٥/ ١٠٢)!.

ولعل قائلاً يقول: ذكر البخاري وابن حبان أبا جعفر الفراء -وهو ثقة- ضمن الرواة عن ابن جدعان المذكور مما يقوي أمره، لا سيما وهو من التابعين، وتوثيق ابن حبان قد يعتبر به لهذه الطبقة!

أقول: هذه قاعدة ليست مطردة، بل محفوفة بالقرائن، لا سيما وأحد الراويين عنه في عداد المجاهيل، فهذا مما يضعف في النفس قبول روايته والاطمئنان لحديثه، والله أعلم.

وللحديث طريقٌ أخرى؛ إلا أنه لا يتقوى بها، فقد قال ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٠/ ٦٥): ثنا أبو الوليد -هشام بن عبد الملك- الطيالسي: ثنا أبو عوانة -الوضاح بن عبد الله- اليشكري، عن عبد الملك بن عمير، عن عائشة به نحوه؛ لكن قال في الخلّة الأخيرة:

ومرض رسول الله ﷺ في بيتي؛ فمرّضته، فقبض ولم يشهده غيري والملائكة.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٢٤-٢٥/ ٧٤): ثنا أبو مسلم الكشي: ثنا سهل بن بكار، عن أبي عوانة[1] به. =

(أ) لكن تحرف اسم «عبدالملك بن عمير» إلى «عبدالله بن عمير»! فليصحح.

= قال الذهبي في «السير» (٢/ ١٤٧): «صالح الإسناد؛ لكن فيه انقطاع».

قال شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- في «الضعيفة» (١٠/ ٢/ ٧١٦): «ورجاله ثقات رجال الشيخين؛ غير أن عبد الملك بن عمير لم يذكروا له رواية عن عائشة، على أنه قد رمي بالتدليس.

فمن المحتمل أن يكون الواسطة بينه وبينها رجلاً مطعونًا، أو مجهولاً؛ كعبد الرحمن بن أبي الضحاك -هذا».

قلت: الصواب أن يقال: كعبد الرحمن بن محمد بن زيد بن جدعان؛ فهو الواسطة بين عائشة وابن أبي الضحاك المذكور، والله أعلم.

وقد وجدت للحديث طريقًا ثالثة:

أخرجها أبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٨/ ٩٠-٩١/ ٤٦٢٦)، والآجري في «الشريعة» (٥/ ٢٣٦٦-٢٣٦٧/ ١٨٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٢٥/ ٧٦)، وقوام السنة الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٧٢/ ٣٦٩) عن بشر بن الوليد الكندي، عن عمر بن عبد الرحمن -أبي حفص الأبار-، عن أبي إسحاق -سليمان بن أبي سليمان- الشيباني[1]، عن علي بن زيد بن جدعان، عن جدته، عن عائشة -رضي الله عنها-؛ أنها قالت: لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة؛ إلا مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتي في راحته، حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري، ولقد قبض ورأسه لفي حجري، ولقد قبرته في بيتي، ولقد حفت الملائكة بيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فيفترقون عنه، وإن كان لينزل عليه وإني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خُلِقْتُ طَيِّبَةً وعند طيِّبٍ، ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً.

قلت: وهذا سند ضعيف جدًا؛ فيه علل:

الأولى: بشر بن الوليد الكندي؛ ضعيف الحديث، شاخ وخرف.

الثانية: علي بن زيد بن جُدعان؛ ضعيف، سيء الحفظ.

الثالثة: جدة علي بن زيد، قال الحافظ: «أمية بنت عبد الله؛ هي أم محمد، امرأة والد علي بن زيد بن جدعان وليست بأمه». =

(١) وقع سنده في «مطبوع الحجة-تحقيق محمد أبو رحيم!!»: ثنا عمر أبو حفص -كذا بالمعجمة- الشيباني!

والصواب: عمر أبو حفص -بالمهملة- (عن) الشيباني.

= وبالتالي هي ليست جدة علي، وإنما زوجة أبيه، وهي مجهولة العين والحال، تفرد بالرواية عنها علي بن زيد بن جدعان، ولم يوثقها أحد!

وخالف أبا إسحاق الشيباني: حفص الحلبي -مولى السكون-؛ فرواه علي بن زيد بن جدعان، عن أمه، عن عائشة به؛ لكن قال: (أمه) بدل (جدته)؛ وهي هي.

أخرجه ابن أبي حاتم في «جزء من حديثه» -ومن طريقه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨/ ١٤٣٤/ ٢٧٥٨)، وقوام السُّنة الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٧٢-٣٧٣/ ٣٧٠)-.

قلت: وحفص -هذا-؛ الظاهر أنه المترجم له في «الجرح والتعديل» (٣/ ١٧٩-١٨٠)، قال أبو حاتم الرازي: هو ضعيف الحديث، وهو دون حفص بن سليمان في الضعف. وقال أبو زرعة الرازي: منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات الموضوعات، لا يحل الاحتجاج به.

تنبيه: هكذا وقع في كتاب «الحجة»: «عن أبيه» بدل: «عن أمه»، وهذا يؤيد ما قررته من قبل، وإلا؛ فإنه لا يوثق بتحقيق أبي رحيم! قيد أنملة.

وخالف عمر بن عبد الرحمن -أبا حفص الأبار-: أبو حنيفة النعمان، فرواه عن سليمان الشيباني؛ لكن قال: عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: أعطيت سبعاً لم يعطها نساء النبي ﷺ، كنت أحب الناس إليه نفساً وأحب الناس إليه أباً، وتزوجني رسول الله ﷺ بكراً ولم يتزوج غيري، وكان جبريل ينزل عليه بالوحي وأنا معه في لحاف، ولم يفعل ذلك لغيري، وكان لي يومين وليلتين، وكان لنسائه يوم وليلة، وأُنزِل فيَّ عذر من السماء كاد أن يهلك بي فئام من الناس، وقبض رسول الله بين سحري ونحري.

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٢٥/ ٧٥): ثنا إسحاق بن داود الصوَّاف، عن يحيى بن غيلان، عن عبد الله بن يزيع، عن أبي حنيفة به.

قلت: وهذا سند ضعيف؛ فيه علل:

الأولى: أبو حنيفة النعمان مع فقهه وشهرته ضعيف الحديث؛ كما قرره جمهور علماء الجرح والتعديل.

الثانية: عبد الله بن بزيع ضعيف؛ ضعفه الدارقطني، وابن عدي، وغيرهم.

الثالثة: شيخ الطبراني؛ لم أر فيه جرحًا ولا تعديلاً. =

وآخر معه، فقالت عائشة لأحدهما: أسمعت حديث حفصة يا فلان؟! قال: نعم يا أم المؤمنين!

فقال لها عبد الله بن صفوان: وما ذاك يا أم المؤمنين؟! قالت: خلال لي تسع لم تكن لأحد من النساء قبلي؛ إلا ما آتى الله -عز وجل- مريم بنت عمران، والله ما أقول هذا أني أفخر على أحد من صواحباتي، فقال لها عبد الله ابن صفوان: وما هن يا أم المؤمنين؟!

قالت: جاء الملك بصورتي إلى رسول الله ﷺ، فتزوجني رسول الله ﷺ وأنا ابنة سبع سنين، وأهديت إليه وأنا ابنة تسع سنين، وتزوجني بكرًا لم يكن في أحد من الناس، وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد، وكنت من أحب الناس إليه، ونزل فيَّ آيات من القرآن كادت الأمة تهلك فيها، ورأيت جبريل -عليه الصلاة والسلام-؛ ولم يره أحد من نسائه غيري، وقبض في بيتي؛ لم يله أحد غير الملك إلا أنا.

٢٠- عن سعيد بن جبير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾: الكذب، ﴿عُصْبَةٌ

= وجملة القول: إن الحديث بمجموع طرقه لا يصح؛ لكن لكثير من فقراته شواهد معروفة في «الصحيحين» وغيرهما، وإنما يهمنا في هذا المقام الفقرة المتعلقة بحادثة الإفك؛ وهي قول الصديقة -رضي الله عنها-: ولقد نزل عذري من السماء، وهي لفظة صحيحة، يشهد لمعناها الكتاب والسنة.

٢٠- ضعيف- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١١٧/ ١٨٤ و١١٨/ ١٨٧و ١١٩/ ١٩١ و١٢٠/ ١٩٤ و١٢١/ ١٩٧ و١٢٢/ ٢٠٤ و١٢٤/ ٢١٠ و١٢٥/ ٢١٤ و٢١٧ و ١٢٦/ ٢١٩ و١٢٨/ ٢٢٥ و٢٢٩/ ٢٢٨ و١٣٢/ ٢٣٧ و١٣٣/ ٢٣٩ و١٣٧/ ٢٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٤٤-٢٥٥١) من طريق يحيى بن بكير، عن ابن لهيعة، عن عطاء ابن دينار، عن سعيد بن جبير به.

قلت: وهذا سند ضعيف؛ لإرساله، وضعف ابن لهيعة.

مِّنكُمْ﴾؛ يعني: عبدالله بن أبيّ المنافق، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحَمْنَة بنت جحش، ﴿لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ﴾. يقول لعائشة وصفوان: لا تحسبوا الذي قيل لكم من الكذب ﴿ شَرّاً لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ لأنكم تؤجرون على ذلك، ﴿لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ﴾؛ يعني: من خاض في أمر عائشة ﴿مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾. على قدر ما خاض فيه من أمرها، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾؛ يعني: عُظْمَه ﴿مِنْهُمْ﴾؛ يعني: القذفة، وهو ابن أبيّ -رأس المنافقين-، وهو الذي قال: ما برئتْ منه وما برئ منها، ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وفي هذه الآية عِبْرَة عظيمة لجميع المسلمين: إذ كانت منهم خطيئة، فمن أعان عليها بفعل، أو كلام، أو عرَّض بها، أو أعجبه ذلك، أو رضيَ؛ فهو في تلك الخطيئة على قدر ما كان منه، وإذا كان خطيئةٌ بين المسلمين: فمن شهدَ وكرهَ؛ فهو مثل الغائب، ومن غاب ورضيَ؛ فهو مثلُ شاهدٍ.

﴿لَّوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾: قذفَ عائشة بصفوان﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾؛ لأن منهم حَمْنَة بنتُ جحش، يعني: هلاَّ كذَّبتم به،﴿بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً﴾: هلاَّ ظنَّ بعضهم ببعض خيرًا أنهم لم يَزْنُوا، ﴿وَقَالُواْ هَـذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾، ألا قالوا: هذا القذف كذب بيِّنٌ، ﴿لَّوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ﴾؛ يعني: على القذف﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾، ﴿فَأُوْلَـئِكَ﴾؛ يعني: الذين قذفوا عائشة ﴿عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾: في قولهم. ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ من تأخُّرِ العقوبة؛ ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾؛ يعني: في ما قلتم من القذف ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ وذلك حين خاضوا في أمر عائشة، فقال بعضهم: سمعت فلانًا يقول كذا وكذا، وقال بعضهم: بلى كان كذا وكذا. فقال: ﴿تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾؛ يقول: يرويه بعضكم عن بعض، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾؛ يعني: بألسنتكم من قذفها، ﴿مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾؛ يعني: من غير أن تعلموا أن الذي

قلتم من القذف حقٌّ، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾؛ يعني: تحسبون أن القذف ذنبٌ هيِّنٌ، ﴿وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾؛ يعني: في الوزر، ﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾؛ يعني: القذف، ﴿قُلْتُمْ مَّا يَكُونُ﴾؛ يعني: ألا قلتم: ﴿مَّا يَكُونُ﴾؛ ما ينبغي ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ ولم ترهُ أعيننا، ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾؛ يعني: ألا قلتم: هذا كذب عظيم، مثل قول سعد بن معاذ الأنصاري، وذلك أن سعدًا لما سمع قول مَن قال في أمر عائشة؛ قال: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾. والبهتان: الذي يَبْهَت فيقول ما لم يكن.

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾؛ يعني: ما ذكِرَ من المواعظ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾؛ يعني: تفشو ويظهر الزنى، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بالحدِّ، وفي الآخرة عذاب النار.

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ...﴾ الآية، لعاقبكم، فيما قلتم لعائشة، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: حين عفا فلم يعاقبكم. ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾؛ يعني: تزيينه، ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾؛ يعني: بالمعاصي، ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾: مالا يُعرَف، مثل ما قيل لعائشة، ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾؛ يعني: نعمته، ﴿مَا زَكَى﴾: ما صلح، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾: يصلح ﴿مَن يَشَاءُ﴾. فلما أنزل الله عذر عائشة وأبرَأها، وكذَّبَ الذين قذفوهَا؛ حلف أبو بكر أن لا يصل مِسطح بن أثاثة بشيء أبدًا؛ لأنه كان في من ادَّعى على عائشة من القذف، وكان مسطح من المهاجرين الأولين، وكان ابن خالة أبي بكر، وكان يتيمًا في حَجره فقيرًا، فلما حلف أبو بكر ألا يصله؛ نزلت في أبي بكر: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ﴾؛ أي: ولا يحلف ﴿أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾؛ يعني: في الغنى، يعني: أبا بكر الصديق، ﴿وَالسَّعَةِ﴾؛ يعني: في الرزق، ﴿أَن يُؤْتُواْ أُوْلِي الْقُرْبَى﴾؛ يعني: مسطح بن أثاثة قرابة أبي بكر وابن خالته، ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾؛ يعني: لأن مسطحًا كان فقيرًا، ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ يعني: لأن مسطحًا كان من المهاجرين، ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ﴾؛ يعني: ليتجاوزوا عن مسطح، ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾؟

فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أما تحبُّ أن يغفر الله لك؟»، قال: بلى يا رسول الله!قال: «فاعف واصفح»، فقال أبو بكر: قد عفوتُ وصفحتُ، لا أمنعه معروفًا بعد اليوم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾؛ يعني: يقذفون بالزنى الحافظات لفروجهن العفائف، ﴿الْغَافِلَاتِ﴾؛ يعني: عن الفواحش، يعني: عائشة، ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾؛ يعني: الصادقات، ﴿لُعِنُوا﴾؛ يعني: جلدوا،﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾: يعذبون بالنار؛ يعني: عبدالله بن أبيٍّ؛ لأنه منافق له عذاب عظيم.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾؛ قال: من قذف عائشة يوم القيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ يعني: في الآخرة، ﴿يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾: حسابهم العَدْل لا يظلمهم، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾؛ يعني: العدل المبين. ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾؛ يعني: السيِّئ من الكلام؛ قذف عائشة ونحوه﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرجال والنساء؛ يعني: الذين قذفوها، ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾؛ يعني: من الرجال والنساء ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾؛ يعني: السيئ من الكلام؛ لأنه يليق بهم الكلام السيئ، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾؛ يعني: الحسن من الكلام،﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الرجال والنساء، يعني: الذين ظنوا بالمؤمنين والمؤمنات خيراً. ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ من الرجال والنساء، ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾: للحسن من الكلام؛ لأنه يليق بهم الكلام الحسن، ﴿أُولَئِكَ﴾؛ يعني: الطيبين من الرجال والنساء، ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: هم برآء من الكلام السيئ، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾؛ يعني: لذنوبهم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾؛ يعني: حسنًا في الجنة، فلما نزل عذر عائشة ضمَّها رسول الله ﷺ إلى نفسه، وهي من أزواجه في الجنة.

٢١- عن سعيد بن جبير في قوله -تعالى-:﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ

٢١- ضعيف- أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٤٣-٢٥٤٤): ثنا أبو زرعة: ثنا=

عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ وذلك أن النبي ﷺ انطلق غازياً، وانطلق معه بعائشة بنت أبي بكر-زوج النبي ﷺ-، ومع النبي ﷺ يومئذ رفيق يقال له: صفوان بن المعطّل من بني سليم، وكان إذا سار النبي ﷺ ليلاً مكث صفوان في مكانه حتى يصبح، فإن سقط من المسلمين شيء من متاعهم حمله إلى المعسكر، فعرفه، فإذا جاء صاحبه دفعه إليه، وإن عائشة لما نودي بالرحيل ذات ليلة ركبت الرحل، فدخلت هودجها، ثم ذكرت حلياً لها كانت نسيته في المنزل، فنزلت لتأخذه، ولم يشعر صاحب البعير، فانبعث، فسار مع المعسكر، فلما وجدت عائشة حليها فإذا البعير قد ذهب، فأخذت تمشي على إثر المعسكر، وهي تبكي، وأصبح صفوان بن المعطل في المنزل، ثم سار على إثر النبي ﷺ، فإذا هو بعائشة قد غطت وجهها وهي تبكي، فقال صفوان: من هذه؟ ثم نزل، فحملها على بعيره، ونزل النبي ﷺ وأصحابه، ففقدوا عائشة ولم يجدوها، ومكثوا ما شاء الله، إذ جاء صفوان قد حملها على بعيره، فقذفها عبد الله بن أبي المنافق، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش الأسدية، فقال عبد الله بن أبيّ المنافق: ما برئت عائشة من صفوان، وما برئ صفوان منها، وخاض الناس في ذلك، وقال بعضهم: قد كان كذا وكذا، وقال بعضهم: كذا، وعرض بالقوم، وبعضهم أعجبه ذلك، فنزلت ثماني عشرة آية متواليات بتكذيب من قذف عائشة، وببرائتها، ويؤدب فيها المؤمنين، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾.

٢٢- عن الحكم بن عتيبة؛ قال: لما خاض الناس في أمر عائشة؛ أرسل

=يحيى بن عبد الله بن بكير: ثني ابن لهيعة: ثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير به.

قلت: وسنده كسابقه.

٢٢- ضعيف- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٣٦/ ٢٥١): ثنا عبد الرحمن ابن سلم الرازي: ثنا سهل بن عثمان: ثنا يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنية: ثنا أبي، عن الحكم به. =

رسول الله ﷺ إلى عائشة، فقال: «يا عائشة! ما يقول الناس؟»، فقالت: لا أعتذر من شيء قالوا حتى ينزل عذري من السماء. فأنزل الله فيها خمس عشرة آية من سورة (النور)، ثم قرأ حتى بلغ: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾.

٢٣- عن محمد بن عبد الله بن جحش؛ قال: تفاخرت عائشة وزينب؛ فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي، وقالت عائشة: وأنا التي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطل.

فقالت لها زينب: يا عائشة! ما قلت حين ركبتيها؟ قالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل.

قالت: قلت كلمة المؤمنين.

٢٤- عن عروة بن الزبير: أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: كتبت إليَّ تسألني في الذين جاءوا بالإفك، وهم كما قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ

= قال السيوطي في «لباب النقول» (ص١٥٨): «مرسل صحيح الإسناد».

قلت: ومتنه منكر؛ فإن الثابت في «الصحيح» خلاف ما في هذا المرسل.

٢٣- ضعيف جداً- أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٧/ ١٩٤-١٩٥و١٩/ ١١٨)، وابن أبي الدنيا في «التوكل على الله» (٨٥/ ٤٧) من طريق جعفر بن عون، عن المعلى بن عرفان، عن محمد به.

قلت: وهذا سند ضعيف جدًا؛ فيه المعلى بن عرفان -هذا-، قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك الحديث.

والأثر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٢/ ٦١)، وزاد نسبته للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول».

٢٤- صحيح- أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٧/ ١٩٠): ثنا عبد الوارث بن عبد الصمد: ثنا أبي: ثنا أبان بن يزيد العطار: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه به.

قلت: وهذا سند صحيح.

والأثر ذكره في السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٩٥) وزاد نسبته لابن المنذر.

عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾، وإنه لم يُسَمَّ منهم إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم؛ غير أنهم عصبة؛ كما قال الله.

٢٥- عن ابن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: قوله: ﴿جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ الآية؛ الذين افتروا على عائشة: عبد الله بن أُبيّ-وهو الذي تولى كبره-، وحسان بن ثابت، ومسطح، وحمنة بنت جحش.

٢٦- عن عائشة؛ قالت: كان مسطح بن أثاثة ممن تولى كبره من أهل الإفك، وكان قريباً لأبي بكر، وكان في عياله، فحلف أبو بكر ألا ينيله خيراً أبداً؛ فأنزل الله: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ الآية. قالت: فأعاده أبو بكر إلى عياله، وقال: لا أحلف على يمين؛ فأرى غيرها خيراً منها؛ إلا تحللتها، وأتيت الذي هو خير.

٢٧- عن قتادة في قوله: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ الآية؛ قال: نزلت

٢٥- ضعيف جداً- أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٧/ ١٩٠و١٩٦): ثنا القاسم: ثنا الحسين: ثني حجاج بن محمد الأعور المصيصي، عن ابن جريج؛ قال ابن عباس: (وذكره).

قلت: وهذا سند ضعيف جدًا؛ فيه علل:

الأولى: الإعضال.

الثانية: الحسين بن داود، وهو المعروف بـ (سُنيد)؛ ضعيف.

الثالثة: القاسم -شيخ الطبري- لم أجد له ترجمة.

والأثر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٩٥)، وزاد نسبته لابن المنذر.

٢٦- ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٧٠٤-٧٠٥) ونسبه لابن المنذر.

قلت: لم أقف على إسناده.

٢٧- ضعيف- ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٧٠٤-٧٠٥) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر.

قلت: فاته أنه عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٢٨/ ٢٢٤)، وهذا أخرجه من طريق العباس بن الوليد النرسي: ثنا يزيد بن زريع: ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة.

وهذا مرسل صحيح الإسناد.

هـذه الآيـة في رجـل مـن قـريش يقال له: مسطح، كان بينه وبين أبي بكر قرابة، وكان يتيماً في حجرِه، وكان فيمن أذاع على عائشة ما أذاع، فلما أنزل الله براءتها وعذرهـا؛ تـألى أبـو بكر لا يرزؤه خيراً، فأنزل الله هذه الآية، فذكر لنا أن نبي الله ﷺ دعا أبا بكر فتلاها عليه، فقال: «أما تحب أن يغفر الله لك؟» قال: بلى. قال: «فـاعف عـنه وتجـاوز»، فقال أبو بكر: لا جرم، والله لا أمنعه معروفاً كنت أوليه قبل اليوم.

٢٨- عـن الحسـن البصـري قـال: كـان ذو قـرابة لأبي بكر ممن كثر على عائشـة، فحلـف أبـو بكـر لا يصله بشيء، وقد كان يصله قبل ذلك، فلما نزلت هـذه الآية: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى آخر الآية، فصار أبو بكر يُضَعِّفُ له بعد ذلك -بعدما نزلت هذه الآية- ضعفي ما كان يعطيه.

٢٩- عـن عـبد الله بـن عـباس -رضـي الله عنهما-؛ قال: قوله: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ الآية. قال: كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد رَمَـوْا عائشـة بالقبيح، وأفشوا ذلك، وتكلموا فيها، فأقسم ناس من أصحاب رسول الله ﷺ -مـنهم أبـو بكر-، ألا يتصدقوا على رجل تكلم بشي من هذا ولا يصلوه، فقـال: لا يقسـم أولـوا الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم، وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك، فأمر الله أن يغفر لهم وأن يعفى عنهم.

٢٨- ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٧٠٥) ونسبه لابن المنذر.

قلت: هو مرسل، ومراسيل الحسن كالريح.

٢٩- ضـعيف جـداً- أخـرجه الطـبري في «جامع البيان» (١٧/ ٢٢٥)، والطبراني في «المعجـم الكـبير» (٢٣/ ١٢٧-١٢٨/ ٢٢٣)، وابـن مـردويه في «تفسـيره»؛ كمـا في «الـدر المنثور» (١٠/ ٧٠٦) بالسند المسلسل بالعوفيين الضعفاء.

قلت: إسناده ضعيف جداً.

٣٠- عن مقاتل بن حيان؛ قال: حلف أبو بكر لا ينفع مسطح بن أثاثة ولا يصله، وكان بينه وبين أبي بكر قرابة من قِبَلِ النساء، فأقبل إلى أبي بكر يعتذر، فقال مسطح: جعلني الله فداك! والله الذي أنزل على محمد؛ ما قذفتها، وما تكلمت بشيء مما قيل لها، أيْ خال- وكان أبو بكر خاله-، قال أبو بكر: ولكن قد ضحكت وأعجبك الذي قيل فيها، قال: لعله يكون قد كان بعض ذلك. فأنزل الله في شأنه: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ الآية.

٣١- عن محمد بن سيرين؛ قال: حلف أبو بكر في يتيمين كانا في حجره، كانا فيمن خاض في أمر عائشة، أحدهما: مسطح بن أثاثة -قد شهد بدراً- فحلف لا يصلهما ولا يصيبان منه خيراً، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ الآية.

٣٢- عن مجاهد قوله: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾؛ قال: أبو بكر حلف ألا ينفع يتيماً في حجره، كان أشاع ذلك، فلما نزلت هذه الآية قال: بلى أنا أحب أن يغفر الله لي، فلأكونَنَّ ليتيمي خير ما كنت له قط.

٣٠- ضعيف جداً- أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٤) من طريق محمد بن مزاحم: ثنا بكير بن معروق، عن مقاتل به.

قلت: وهذا سند ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف بكير.

٣١- ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٧٠٦) ونسبه لعبد بن حميد، وابن مردويه.

قلت: لم أقف على إسناده، ومتنه منكر.

٣٢- ضعيف- أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٧/ ٢٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٢٦-١٢٧/ ٢٢٠و١٢٧/ ٢٢١) من طريقين عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

قلت: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

٣٣- عـن الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّـعَةِ﴾: لما أنزل الله -تعالى ذكره- عذر عائشة من السماء، قال أبو بكر وآخرون مـن المسـلمين: والله لا نصـل رجـلاً مـنهم تكلم بشيء من شأن عائشة، ولا ننفعه؛ فأنزل الله: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾. يقول: ولا يحلف.

٣٤- عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُواْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ قال: نزلت في عائشة خاصة.

٣٥- عـن ابـن عـباس أنه قرأ في سورة النور ففسرها، فلما أتى على هذه

٣٣- ضعيف جداً- أخـرجه الطبري في «جامع البيان» (١٧/ ٢٢٥-٢٢٦): حدثت عن الحسين: سمعت أبا معاذ: نا عبيد: سمعت الضحاك به.

قلت: وهذا سند ضعيف جداً.

٣٤- صـــحيح- أخـرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٦-٢٥٥٧): ثنا أبو سعيد الأشج: ثنا عبد الله بن خراش، عن العوام بن حوشب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

قلت: وهذا سند ضعيف؛ فإن عبد الله -هذا- ضعيف؛ كما في «التقريب».

لكن توبع، تابعه: يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب به.

أخـرجه الحاكم (٤/ ١٠-١١): ني أبو العباس المحبوبي: ثنا سعيد بن مسعود: ثنا يزيد ابن هارون به.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

قلـت: وهو كما قالا، وهذه المتابعة العزيزة الهامة قد فاتني ذكرها في كتابنا «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٢/ ٥٧٤)؛ فلتستدرك.

والأثر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٧٠٧-٧٠٨)، وزاد نسبته لابن مردويه.

٣٥- ضـــعيف- أخـرجه سـعيد بـن منصـور في «سننه»؛ كما في «الدر المنثور» (١٠/ ٧٠٩) -ومـن طـريقه الطـبراني في «المعجـم الكـبير» (٢٣/ ١٣١/ ٢٣٤)-، والطـبري في «جامع البيان» (١٧/ ٢٢٨-٢٢٩) عن هشيم: نا العوام بن حوشب، عن شيخ من بني أسد، عن ابن عباس به.

قـال الهيـثمي في «مجمـع الـزوائد» (٧/ ٨٠): «رواه الطـبراني، وفي هذا الإسناد راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات».

الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾؛ قال: هذه في عائشة وأزواج النبي ﷺ، ولم يجعل لمن فعل ذلك توبة، وجعل لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي ﷺ التوبة، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾؛ فجعل لمن قذف امرأة من المؤمنين التوبة، ولم يجعل لمن قذف امرأة من أزواج النبي ﷺ توبةً، ثم تلا هذه الآية: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:٢٣]. فهمَّ بعض القوم أن يقوم إلى ابن عباس فيقبل رأسه؛ لُحسْنِ ما فسر.

٣٦- عن خصيف بن عبدالرحمن الجزري قال: قلت لسعيد بن جبير: أيما أشد الزنى أو القذف؟ قال: الزنى. قلت: إن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾. قال: إنما أنزل هذا في شأن عائشة خاصة.

٣٧- عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:٢٣]؛ قال:

٣٦- ضعيف- أخرجه سفيان الثوري في «تفسيره» (رقم ٧١٨و٧١٩)، والطبري في «جامع البيان» (١٧/ ٢٢٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٢٩/ ٢٢٦و٢٢٧)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣١٤) من طرق عن خصيف به.

قلت: وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف خصيف -هذا-، وإرساله.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٧٩): «رواه الطبراني، وفيه يحيى الحماني؛ وهو ضعيف».

قلت: عفا الله عنك! فإن الحماني -هذا- توبع عند الطبراني نفسه وعند الطبري، والصواب: أن العلة ممن ذكرنا.

والأثر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٧٠٨)، وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر.

٣٧- ضعيف- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٣٠/ ٢٣٠) من طريق العباس بن الوليد النرسي: ثنا يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به.

قلت: وهذا سند مرسل صحيح الإسناد.

أنزلت في شأن عائشة -رضي الله عنها-.

٣٨- عن الضحاك بن مزاحم؛ قال: نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ خاصة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية.

٣٩- عن سلمة بن نبيط ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾؛ قال: هن نساء النبي ﷺ.

٤٠- عن أبي الجوزاء؛ قال: قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾؛ قال: هذه لأمهات المؤمنين خاصة.

٤١- عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ قال: نزلت في عائشة حين رماها

٣٨- ضعيف- أخرجه سفيان الثوري في «تفسيره» (٧٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٢٩-١٣٠/ ٢٢٩)، والطبري في «جامع البيان» (١٧/ ٢٢٧-٢٢٨).

قلت: سنده ضعيف.

والأثر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٧٠٨)، وزاد نسبته لعبد حميد.

٣٩- مقطوع صحيح الإسناد- أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٧): ثنا أبو سعيد الأشج: ثنا أبو أسامة، عن سلمة به.

قلت: وهذا مقطوع صحيح الإسناد.

٤٠- مقطوع صحيح الإسناد- أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٧): ثنا علي بن الحسن الهسنجاني: ثنا مسدد: ثنا جعفر بن سليمان الضبعي: ثنا عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء به.

قلت: وهذا مقطوع حسن الإسناد.

٤١- ضعيف جداً- أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٧/ ٢٢٩و٢٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٧و٢٥٦٢و٢٥٦٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٣٣/ ٢٤٠و١٣٨/ ٢٥٨).

قلت: سنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وعبد الرحمن بن زيد -هذا- نفسه ضعيف جداً، متهم.

المنافق بالبهتان وبالفرية؛ فبرأها الله من ذلك.

وفي لفظ: وكان عبد الله بن أبي هو الخبيث، فكان هو أولى بأن تكون الخبيثة ويكون لها، وكان رسول الله ﷺ طيباً، وكان أولى أن تكون له الطيبة، وكانت عائشة الطيبة، وكانت أولى أن يكون لها الطيب. وفي قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾. قال: هاهنا برئت عائشة.

٤٢- عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة حدَّ الله الذين شتموا عائشة ثمانين ثمانين على رؤوس الخلائق، فيستوهبُ ربي المهاجرين منهم، فأستأمرك يا عائشة!».

فسمعت عائشة الكلام؛ فبكت وهي في البيت، ثم قالت: والذي بعثك بالحق نبيًّا؛ لسرورك أحبُّ إليَّ من سروري. فتبسَّم رسول الله ﷺ ضاحكًا، وقال: «إنها ابنة أبيها».

٤٣- عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: أن رسول الله ﷺ قال لأسامة بن زيد في شأن عائشة لما رميت بالإفك: «ما تقول أنت؟»، فقال: سبحان

٤٢- ضعيف- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٣٩/ ٢٦٤): ثنا زكريا بن يحيى الساجي: ثنا عبد الله بن هارون -أبو علقمة الفروي-: ثنا قدامة بن محمد الأشجعي: ثنا مخرمة بن بكير، عن أبيه، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٠): «وفيه عبد الله بن هارون -أبو علقمة الفروي-؛ وهو ضعيف».

٤٣- موضوع- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٢٢/ ٢٠٢): ثنا عبد الرحمن بن خلاد الدورقي: ثنا سعدان بن زكريا الدورقي: ثنا إسماعيل بن يحيى التيمي، عن ابن أبي ذئب، عن نافع، عن ابن عمر به.

قلت: وهذا سند موضوع؛ فإن إسماعيل -هذا- كذاب.

الله! ما يحل لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك! هذا بهتان عظيم.

٤٤- عن ابن عمر -رضي الله عنهما-؛ قال: كانت امرأة عبد الله بن أبي منافقة معه، فنزل القرآن ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾؛ يعني: امرأة عبد الله ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾؛ يعني: عبد الله بن أبي ﴿وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾؛ يعني: عبد الله بن أبي لامرأته ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾؛ يعني: عائشة وأزواج النبي ﷺ ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾؛ يعني: النبي ﷺ ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ لعائشة وأزواج النبي ﷺ ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ إلى آخر الآية.

٤٥- عن مجاهد في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾؛ قال: أصحاب عائشة؛ عبد الله بن أبي ابن سلول، ومسطح، وحسان.

٤٦- عن محمد بن سيرين: أن عائشة -رضي الله عنها- كانت تأذن لحسان

٤٤- موضوع- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٣٣/ ٢٤١): ثنا عبد الرحمن ابن خلاد الدورقي: ثنا سعدان بن زكريا الدورقي: ثنا إسماعيل بن يحيى التيمي، عن ابن أبي ذئب، عن نافع، عن ابن عمر به.

قلت: وهذا سند موضوع؛ إسماعيل -هذا- كذاب.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨١): «وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي، وهو كذاب».

٤٥- ضعيف- أخرج الفريابي في «تفسيره» -ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١١٤/ ١٧٠)-، والطبري في «جامع البيان» (١٧/ ١٩٠و١٩٢) من طريقين عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

قلت: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

والأثر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٩٤-٦٩٥)، وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

٤٦- ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٩٨و٦٩٩) ونسبه لابن سعد، وعبد بن حميد.

قلت: لم أقف على سنده!

ابـن ثابـت، وتدعو لـه بالوسادة، وتقول: لا تؤذوا حسان (وفي رواية: لا تقولوا لحسان إلا خيراً)؛ فإنه كان ينصر رسول الله ﷺ بلسانه، وقال الله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وقد عمي، والله قادر أن يجعل ذلك العذاب العظيم عماه، [ويغفر لحسان ويدخله الجنة].

٤٧- عـن قـتادة في قولـه: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ قال: الذي تولى كبره: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة.

٤٨- عن قتادة؛ قال: ذكر لنا أن الذي تولى كبره رجلان من أصحاب النبي ﷺ: أحدهمـا مـن قـريش، والآخر من الأنصار؛ عبد الله بن أبي ابن سلول، ولم يكن شر قط إلا وله قادة ورؤساء في شرهم.

٤٩- عـن مجـاهد قولـه: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾؛ قال: عبد الله بن أبي ابن سلول يذيعه (وفي رواية: وهو بدأه).

٥٠- عـن عـبد الله بـن عـباس -رضي الله عنهما-؛ قال: نزلت في الذين

٤٧- أخـرجه الطـبراني في «المعجـم الكبير» (٢٣/ ١١٨/ ١٨٥) من طريق العباس بن الوليد النرسي: ثنا يزيد بن زريع: ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به.

قلت: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

٤٨- ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٩٨-٦٩٩) ونسبه لعبد بن حميد.

قلت: لم أقف على إسناده.

٤٩- ضـعيف- أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٧/ ١٩٦)، وابن أبي حاتم في«تفسيره» (٨/ ٢٥٤٥)، والفـريابي في «تفسـيره»؛ كما في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٩٨)- ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١١٧/ ١٨٣)- من طرق عن ابن أبي نجيح، عنه به.

وهذا مرسل صحيح الإسناد.

والأثر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٩٨)، وزاد نسبته لعبد بن حميد.

٥٠- ضعيف جداً- أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٧/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في=

قالوا في زوجة النبي ﷺ ما قالوا من البهتان.

٥١- عن عائشة -رضي الله عنها-:﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾؛ قالت: عبد الله ابن أبي ابن سلول.

٥٢- عن هشام بن عروة في الذين جاءوا بالإفك: يزعمون أنه كان كِبْرَ ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول أحد بني عوف بن الخزرج، وأخبرت أنه كان يحدث به عنهم فيقره ويسمعه ويستوشيه.

٥٣- وعنه -أيضاً-؛ قال: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾: عبد الله بن أبي ابن سلول، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، وكان أكثر ذلك

=«تفسيره» (٨/ ٢٥٦٠و٢٥٦٢و٢٥٦٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٣٥-١٣٦/ ٢٥٠) بالسند المسلسل بالعوفيين.

قلت: إسناده ضعيف جداً.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨١): «رواه الطبراني بأسانيد، وكل إسناد فيها فيه ضعف لا يحتج به».

وقال السيوطي في «لباب النقول» (ص١٥٨): «وأخرجه الطبراني بسندين فيهما ضعف عن ابن عباس».

والأثر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٧١٢-٧١٣)، وزاد نسبته لابن مردويه.

٥١- صحيح- أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٤٥١/ ٤٧٤٩).

٥٢- مقطوع صحيح- أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٧/ ١٩٦): ثنا عبد الوارث ابن عبد الصمد بن عبد الوارث: ثنا أبي: ثنا أبان يزيد بن العطار: ثنا هشام به.

قلت: وهذا مقطوع صحيح.

٥٣- مقطوع صحيح الإسناد- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١١٧/ ١٨٢) من طريقين عن حماد بن زيد، عن هشام به.

قلت: وهذا مقطوع صحيح الإسناد.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٧٧): «وإسناده جيد».

من قبل عبد الله بن أبي.

٥٤- عن قتادة في قوله: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ قال: هذا في شأن عائشة -رضي الله عنها- وما قيل فيها، كاد أصحاب رسول الله ﷺ أن يهلكوا فيه.

٥٥- عن أم محمد بن السائب ابن بركة؛ قالت: طفقت مع عائشة -زوجة النبي ﷺ- بالبيت في نسوة من بني المغيرة، فذكر حسان بن ثابت ووقعن فيه، فقالت عائشة: آبن الفريعة الليلة؟ قلت: يا أم المؤمنين! إنه ممن قال، قالت: أليس الذي هو يقول:

هجوت محمداً وأجبت عنه وعبد الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

والله لأرجو أن يدخله الله الجنة.

٥٦- عن قتادة؛ قال: كانت عائشة تقول: لا تقولوا لحسان إلا خيراً؛ فإنه

٥٤- ضعيف- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٢٠/ ١٩٥) من طريق العباس بن الوليد النرسي: ثنا يزيد بن زريع: ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به.

قلت: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٧٨): «وإسناده جيد».

٥٥- ضعيف- أخرجه عبد الكريم بن الهيثم الديرعاقولي في «حديث الإفك بطوله» (ق ٣٩): ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي: ثنا سفيان بن عيينة، عن محمد بن السائب ابن بركة، عن أمه به.

قلت: وهذا سند ضعيف؛ فإن والدة محمد بن السائب -هذا- مجهولة العين والحال، فلم يرو عنها إلا ابنها، ولم يوثقها أحد.

٥٦- صحيح- أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٢٣٧/ ٢٠٤٢١) عن معمر، عن قتادة به.

قلت: سنده ضعيف؛ لانقطاعه، لكن هو صحيح بشاهده المتقدم (ص ٢٢٠).

كان يهاجي عن النبي ﷺ ويهجو المشركين.

قال: وكان حسان إذا دخل على عائشة ألقت له وسادة فجلس إليها.

٥٧- عن سعيد بن جبير: أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة؛ قال: سبحانك! هذا بهتان عظيم.

٥٨- عن سعيد بن المسيب؛ قال: كان رجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا سمعا شيئاً من ذلك؛ قالا: سبحانك! هذا بهتان عظيم: زيد بن حارثة، وأبو أيوب.

٥٩- عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان إذا سافر سافر ببعض نسائه، ويقسم

٥٧- ضـــعيف- أخرجه سنيد في «تفسيره»؛ كما في «فتح الباري» (١٣/ ٧٠٢)، و«الدر المنثور» (١٠/ ٧٠١-٧٠٢).

قلت: إسناده ضعيف؛ لإرساله -أو إعضاله-؛ وضعف سنيد.

٥٨- ضعيف- أخرجه محمد بن عبد الله -المعروف- بابن أخي ميمي في «فوائده»؛ كما في «الفتح» (١٣/ ٣٤٤)، و«الدر المنثور» (١٠/ ٧٠٢).

قلت: وسنده ضعيف؛ لإرساله، هذا إن صح السند إلى سعيد.

٥٩- ضعيف جداً- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٠٤-١٠٥/ ١٦٢): ثنا سلمة بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل: ثني أبي، عن جده، عن سلمة بن كهيل، عن الحسن العرني[1]، عن ابن عباس به.

قلت: وهذا سند ضعيف جداً؛ مسلسل بالعلل:

الأولى: يحيى بن سلمة بن كهيل؛ متروك الحديث.

الثانية: إسماعيل بن يحيى بن سلمة؛ متروك -أيضاً-.

وبه وحده أعله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٣٧)! وهو قصور واضح.

الثالثة: ابنه -إبراهيم بن إسماعيل -ضعيف؛ كما في «التقريب».

الرابعة: شيخ الطبراني -هذا- لم أجد له ترجمة بعد طول بحث. =

(١) تحرفت في مطبوع «المعجم الكبير» إلى «العربي» -بموحدة-! وهو تصحيف.

بينهم، فسافر بعائشة بنت أبي بكر، وكان لها هودج، وكان الهودج له رجال يحملونه ويضعونه، فعرَّس رسول الله ﷺ وأصحابه، وخرجت عائشة للحاجة، فتباعدت فلم يعلم بها، فاستيقظ النبي ﷺ والناس قد ارتحلوا، وجاء الذين يحملون الهودج فحملوه ولا يعلمون إلا أنها فيه، فساروا، وأقبلت عائشة فوجدتهم قد ارتحلوا، فجلست مكانها، فاستيقظ رجل من الأنصار يقال له: صفوان بن المعطل، وكان لا يقرب النساء، فتقرب منها، وكان معه بعير له، فلما رآها حملها، وقد كان يراها قبل الحجاب، وجعل يقود بها البعير حتى أتوا الناس والنبي ﷺ ومعه عائشة، وأكثروا القول، فبلغ ذلك النبي ﷺ؛ فشق عليه حتى اعتزلها، واستشار فيها زيد بن ثابت وغيره، فقال: يا رسول الله! دعها؛ لعل الله أن يحدث لك فيها، فقال علي بن أبي طالب: النساء كثير، فحمل النبي ﷺ عليها، وخرجت عائشة ليلة تمشي في نساء فعثرت أم مسطح، فقالت: تعس مسطح! فقالت عائشة: بئس ما قلت! تقولين لرجل من أصحاب رسول الله؟ فقالت: إنك لا تدرين ما يقولون، وأخبرتها الخبر، فسقطت عائشة مغشياً عليها، ثم نزل القرآن بعذرها في سورة النور:﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ حتى بلغ: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ونزل: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وكان أبو بكر يعطي مسطحاً ويبره ويصله، وكان ممن أكثر على عائشة، فحلف أبو بكر أن لا يعطيه شيئاً؛ فنزلت هذه الآية:﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، فأمره النبي ﷺ أن يأتيها ويبشرها، فجاء أبو بكر، فأخبرها بعذرها وبما أنزل الله، فقالت: لا بحمدك ولا بحمد صاحبك.

٦٠- عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن رسول الله ﷺ جلدهم

= الخامسة: الحسن بن عبد الله العرني مع ثقته؛ إلا أنه أرسل عن ابن عباس؛ كما في «التقريب».

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٧٥-٦٧٦)، ونسبه لابن مردويه وحده!!

٦٠- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٣٨-١٣٩/ ٢٦٢): ثنا علي بن عبدالعزيز البغوي، وأبو مسلم الكشي؛ قالا: ثنا حجاج بن منهال الضرير: ثنا حماد بن سلمة، عن=

ثمانين ثمانين.

٦١- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-؛ قال: كنت جالسًا عند أم المؤمنين عائشة لأقرَّ عينهَا بالبراءة وهي تبكي، فقالت: والله هجرني القريب والبعيد حتى هجرتني الهرَّة، وما عرض عليَّ طعام ولا شراب، فكنت أرقد وأنا جائعة ظامئة، فرأيت في منامي فتىً، فقال: ما لك؟ فقلت: حزينة مما ذكر الناس، فقال: ادْعي بهذه يفرِّج الله عنك، فقلت: وما هي؟ فقال: قولي: يا سابغ النعم! ويا دافع النقم! ويا فارج الغُمم!، ويا كاشف الظُّلَم! يا أعدل مَن حكم! يا حسيب مَن ظُلِم! يا وليَّ من ظُلِم! يا أوَّل بلا بداية! ويا آخر بلا نهاية! يا من له اسم بلا كنية! اللهم! اجعل لي من أمري فرجًا ومخرجًا.

قالت: فانتبهت وأنا ريَّانة شبعانة، وقد أنزل الله منه فرجي.

=محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس به.

قلت: وهذا سند موضوع؛ فيه علتان:

الأولى: قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٨٠): «وفيه محمد بن السائب الكلبي؛ وهو كذاب».

الثانية: أبو صالح -واسمه باذام- ضعيف مدلس.

٦١- ضعيف- أخرجه ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد»؛ كما في «الدر المنثور» (١٠/ ٧١٩-٧٢٠) من طريق أبي بكر محمد بن عمر البغدادي الحنبلي، عن أبيه: حدثنا محمد بن الحسن الكاراتي: حدثني إبراهيم الحربي: حدثني أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل: ثني سفيان بن عيينة: ثنا محمد بن واصل الأنصاري، عن أبيه، عن جده، عن أنس بن مالك به.

قال ابن النجار عقبه: «خبر غريب»؛ وأقره الآلوسي في «روح المعاني» (١٨/ ٤٤٧).

قلت: وهو كما قالا، فالإسناد مسلسل بالمجاهيل النكرات الذين لم نجدهم.

الفهارس العلمية

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار السلفية.
- فهرس الرواة والأعلام المترجم لهم.
- فهرس الأشعار.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس القبائل والفرق والجماعات والمذاهب والأنساب.
- فهرس الفوائد العلمية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

١- فهرس الآيات

السورة / الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة		
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٤	٢١٢
البقرة		
﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾	٨	٦٧
﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	٩	٦٧
﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾	١٠	٦٧
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾	١١-١٢	٦٧
﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾	١٢	٦٦
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾	١٣	٦٨
﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُوا آمَنَّا﴾	١٤	٦٨
﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ﴾	١٥	٦٨
﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾	١٦	٦٨
﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾	١٧	٦٨
﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾	١٨	٦٨
﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾	١٩	٦٩
﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾	٢٠	٦٩
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	٢٠٤	٧٠
﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾	٢٠٥	٧٠
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾	١٥٦	١١٦
آل عمران		
﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾	٩٢	٢١
﴿لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾	١١٨	١٥٤
﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾	١٢٠	٧٣

النساء

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾ ٢٦ ١٤٥

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ ٢٨ ١٤٥

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ ٦١ ٧٠-٧١

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ٦٢ ٧١

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ٦٣ ٧١

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ٦٥ ٧١

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ ١٤١ ٧٠

﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى﴾ ١٤٢ ٦٩

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء﴾ ١٤٣ ٦٩

المائدة

﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً﴾ ٦ ٢١٦

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ ٦ ١٤٥و١٤٦

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ ٥٢ ٥

الأنعام

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ ١١٢ ٦٦

التوبة

﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ٣١ ١٤٣

﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ﴾ ٤٦ ٧٣

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ ٤٧ ٥و٧٣

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ ٥٠-٥١ ٧٢

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ ٥٦ ٧٢

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ ٥٨ ٧٨

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ ٦١ ٧٨

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ ٦٧ ٧٠

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾	٧٣	٧٢
﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾	٧٥-٧٦	٧٧
يوسف		
﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾	١٨	١٤٨و١٧٣و١٩٢و٢١٨
﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾	٢٦	٨٥-٨٦و١٥٣
﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾	٨٦	٢٠٨و٢١٨
الحجر		
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾	٩٧	٦٤
النحل		
﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾	١٠٥	٨٣
الكهف		
﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾	١٠٤	٢٥
مريم		
﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِم حِجَاباً﴾	١٧	١١٦
﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾	٣٠	٨٦و١٥٣
﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَـــنُ وَلَداً﴾	٨٨	٨٨
الأنبياء		
﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَـــنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ﴾	٢٦	٩٦
الحج		
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ امَنُواْ﴾	٣٨	٣٠
المؤمنون		
﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	٥٣	٢٧و٦٦
النور		
﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾	٤	١٨٧

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾	١١	٨٩-٩٠و١١٩و١٢٠و١٢١و١٥٢ و١٨٢و٢٠٤و٢١٠و٢١٢و٢١٩و ٢٢٠و٢٢١و٢٢٨و٢٣١-٢٣٢و ٢٣٣-٢٣٤و٢٣٤و٢٤١و٢٤٢و ٢٤٣و٢٤٦
﴿لَّوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾	١٢	١٢١و٢١١و٢٢٢و ٢٢٣و٢٢٩
﴿لَّوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾	١٣	٨٤و٢١١و٢٢٩
﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾	١٤	٢١١و٢٢٩و٢٤٤
﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾	١٥	٨٣و٨٤و٩٦و١٤٢ و٢٢١و٢٢٩و٢٣٠
﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـذَا﴾	١٦-١٧	٨٤و٨٨و٩٠و٩٢و ١٢٩و١٥٢و٢١١و ٢٢٢و٢٣٠
﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	١٨	٢١١
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُواْ﴾	١٩	٨٣-٨٤و٢٢١و٢٣٠
﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾	٢٠	٢١١و٢٣٠
﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾	٢١	٢١١و٢٣٠
﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾	٢٢	١٥٤و١٦٨و١٧٤و١٨٢و٢٠٤و ٢٠٨و٢١٢و٢٣٠و٢٣١و٢٣٤و ٢٣٥و٢٣٦و٢٣٧و٢٤٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾	٢٣	٩٥و٢١٢و٢٣١و٢٣٧و٢٣٨و٢٣٩
﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾	٢٤	٢١٢و٢٣١
﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾	٢٥	٢١٢و٢١٣

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾	٢٦	٩٤و٩٥و٩٧و١٢٩و ٢٠٩و٢١٣و٢٣١و٢٣٣ و٢٤٠و٢٤١
﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾	٣٩	٧٦
الفرقان		
﴿اتَّخَذُواْ هَـــذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾	٣٠	٦٦
الشعراء		
﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ﴾	٨٨و٨٩	٦و١٧
لقمان		
﴿وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾	١٧	٢٣
الأحزاب		
﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾	١٢	٧٨
﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾	٢٨-٢٩	١٩٥و١٩٧
﴿يا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾	٣٠-٣٣	٨٦-٨٧و١٤٥
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُــمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾	٣٣	٨٤و١٤٣و١٤٤و١٤٥
﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾	٥٣	١١٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾	٥٧-٥٨	٩٦
﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾	٥٩	١١٧
يس		
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾	٨٢	١٤٥
محمد		
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾	٩	٧٤
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ﴾	٢٦-٢٨	٧٤

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾	٢٩-٣٠	٧٤
الحجرات		
﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ امَنُواْ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ﴾	٦	٨٢
﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾	١٢	١٨٤
الحديد		
﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾	١٣	٧٤
﴿قِيلَ ارْجِعُواْ وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُواْ نُوراً﴾	١٣	٧٥
﴿أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ﴾	١٤	٧٥
﴿وَلَـكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ﴾	١٤و١٥	٧٥
الصف		
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾	٨	٦٦
المنافقون		
﴿اتَّخَذُواْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٢	٧١
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُوا﴾	٣	٧١-٧٢
﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾	٤	٧٢
التحريم		
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾	١٠	١٤١
القلم		
﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾	٤٣	٧٤
الفجر		
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾	١٤	٨١

٢- فهرس الأحاديث النبوية

الحديث الصفحة

حرف الألف

أبشر يا أبا بكر قد أنزل الله عذر ابنتك ٢١٨
أبشري يا عائشة! ثم أبشري يا عائشة ١٧٦
أبشري يا عائشة! فقد أنزل الله براءتك ١٦٤، ١٧٣، ١٨١
أبشري يا عائشة! فقد أنزل الله عذرك ٢٠٣
أتشهدين أني رسول الله؟ ١٧٦
اتقي الله يا عائشة ٢١٨
إذا كان يوم القيامة حد الله الذين شتموا عائشة ٢٤٠
اذهبي ٢٠٧
استأمري أبويك ١٩٧
أما بعد، أشيروا عليَّ في أناس ١٧٠
أما بعد، فأشيروا عليَّ في أناس ١٦٢
أما بعد، يا عائشة! إن كنت قارفت سوءاً ١٦٤
أما بعد يا عائشة فإن كنت قارفت سوءاً ١٧٢
أما بعد، يا عائشة! فإنه بلغني عنك كذا وكذا ١٤١
أما تحب أن يغفر الله لك ٢٣١و٢٣٥
أن رسول الله ﷺ أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد ١٨٥
أن رسول الله ﷺ قال: لأسامة بن زيد لَمَّا رميت عائشة بالإفك: ما تقول أنت؟ ٢٤١
إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ٩٦
إن الله قال لهم: اعملوا ما شئتم ١٢٥
أن النبي ﷺ كان إذا سافر جاء ببعض نسائه ٢٠٤
أن النبي ﷺ كان إذا سافر سافر ببعض نسائه ٢٤٥
إنما أنت من بنات آدم ١٤٢

إنها ابنة أبيها ٢٤١
أي بريرة!هل رأيت شيئًا يريبك ١٣٢
أيها الناس من يعذرني ممن يؤذيني ٢٠٧

حرف الدال

دخل رسول الله ﷺ فسلَّم ثم جلس..... ١٤٠
دعه لا يتحدث أن محمدًا يقتل أصحابه ٧٩
دعوها فإنها منتنة ٧٩

حرف الفاء

فإذا استيقظت فصلِّ ١٦٦
فاعف عنه وتجاوز ٢٣٥
فاعف واصفح ٢٣١
فالمعصوم من عصمه الله..... ١٤٢
فإني سائلك عن شيء فلا تكتميني ١٧٦
فشأنك أنت بالخادم ١٧٩
فلعله من أجل ذلك حديث تحدث به ١٩١-١٩٢

حرف القاف

قام رسول الله ﷺ خطيبًا ١٢٧، ١٦٢
قام رسول الله ﷺ فيَّ خطيبًا، فتشهَّد ١٧٠
قال الله عز وجل: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ١٩٧
قد كنت عند عائشة، فهل رأيت منها ما تكرهينه ١٧٦
قولوا اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد ٨٤
قومي إلى البيت ٢٠٨

حرف الكاف

كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه ثلاثاً ٢٠٤
كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأصاب عائشة القرعة..... ١٧٧
كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهنَّ..... ١٠٧

كان رسول الله ﷺ يجيء فيقوم على الباب، فيقول: كيف تيكم؟ ٢٠٣
كان النبي ﷺ إذا أراد أن يسافر سفرًا أقرع ١٧٧
كيف بقرابتي منه ٢٢٠
كيف تيكم؟ ١٢٢، ١٧٦، ١٢٦، ١٧٨

حرف اللام

لتخبرني بما ترى فيها ١٧٦
لست عن هذا أسألك ١٦٥
اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس ١٤٥
لو كانت سورة واحدة لكفت الناس ١٦٦
لا تدخل عائشة رحلي ١٢١
لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها ١٦٦

حرف الميم

ما بال دعوى الجاهلية ٧٩
ما ترون؟ ٢١٧
ما تقول أنت؟ ٢٤١
ما تقول في عائشة، فقد أهمني ما قال الناس؟ ٢٠٧
ما تقولين يا بريرة؟ ٢٠٨
ما لهذه؟ ٢١٨
ما هذا؟ ١٩١
ما هذه؟ ١٩١
ماذا علمت أو رأيت ١٥٥
من سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين ١٩٣، ٢٠٠
من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي ١٥٣

حرف الهاء

هاجهم وجبريل معك ١١٩
هذه عائشة بنت أبي بكر زوجتك ٢١٣

حرف الواو

وكيف بنسبي ٢٢٠
وما تقول أنت؟ ٢٠٨

حرف الياء

يا أسامة ما ترى في عائشة؟ ١٧٦
يا عائشة! أما الله فقد برأك ١٥١
يا عائشة إن كنت فعلت هذا الأمر ٢٠٨
يا عائشة إن الله قد أنزل عذرك ٢٠٨
يا عائشة إن الله قد وسّع التوبة ١٧٥
يا عائشة إنما أنت من بنات آدم ١٨٠
يا عائشة إني عارض عليك أمرًا ١٩٥، ١٩٦، ١٩٩
يا عائشة قد أنزل الله عذرك ٢٠٩
يا عائشة ما يقول الناس؟ ٢٣٣
يا عباس ألا تعجب من بعض بريرة مغيثاً ١٣٢
يا علي ما ترى في عائشة؟ ١٧٥
يا معشر المسلمين من لي من رجال يؤذونني في أهلي ١٨٠
يا معشر المسلمين من يعذرني من رجال قد بلغني أذاهم في أهلي ١٣٤

٣- فهرس الآثار

أسامة بن زيد

الله -تعالى- ورسوله أعلم ١٧٦

سبحان الله ما يحل لنا أن نتكلم بهذا ٢٠٨و٢٤١

فإني أرى أن تمسك عنها ١٧٦

والله يا رسول الله ما علمنا على أهلك سوءاً ١٧٩

يا رسول الله! أَهْلَكَ ولا نعلم إلا خيراً ١٢٨و١٣٠

أسيد بن حضير

فيم الكلام ٢٠٧

كذبت لعمر الله لنقتلنه ١٣٩

أفلح -مولى أبي أيوب-

أن أم أيوب قالت: ألا تسمع ما يقول الناس؟ ٢٢٢

أنس بن مالك

كنت جالسًا عند أم المؤمنين عائشة لأقرَّ عينها بالبراءة ٢٤٧

بريرة

سبحان الله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ ١٧٢

عجنت عجيناً لي ١٧٦

لا والذي بعثك بالنبوة ١٧٦

لا والله لا أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب ١٦٥

لا والله لا أعلم عليها عيباً ١٦٥

ما علمت منها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر ١٣٣

نعم يا رسول الله ما من شيء تسألني عنه ١٧٦

والله لعائشة أطيب من الذهب ١٣٣

والله لعائشة أطيب من الطيب ١٦٥

والله ما علمت عليها عيباً ١٧٢
والله ما علمت على عائشة سوءاً..... ١٨٠
والله يا رسول الله! ما علمت على أهلك إلا خيراً..... ٢٠٨

جابر بن عبد الله

يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ٧٩

حذيفة بن اليمان

يا ابن أخي لو هلك المنافقون..... ٧٥

حسان بن ثابت

حصان رزان ما تزن بريبة ١٢٠و١٨٤و٢٢٠
هجوت محمداً فأجبت عنه ٢٢١
وإن سنام المجد من آل هاشم ٢٢١
والذي أكرمك لأسلنك منهم..... ٢٢٠

الحسن

كان ذو قرابة لأبي بكر ممن كثر على عائشة ٢٣٥

الحكم بن عتيبة

لما خاض الناس في أمر عائشة ٢٣٢

خصيف بن عبد الرحمن الجزري

قلت لسعيد بن جبير: أيما أشد الزنى أو القذف..... ٢٣٨

ذكوان -مولى عائشة-

هذا ابن عباس يستأذن عليك..... ٢١٥

الزبير بن العوام

عسى الله أن يصلح بك بين الناس..... ١٣٠

زيد بن ثابت

يا رسول الله! دعها لعل الله أن يحدث لك فيها ٢٠٤

زينب بنت جحش

أحمي سمعي وبصري ١٥٥

سعد بن عبادة

كذبت أما والله أن لو كانوا من الأوس..... ١٧١
كذبت والله ما تقدر على قتله ٢٠٧
كذبت وهذا الباطل ١٨٠
ما قلت هذه المقالة إلا أنك علمت أنه من الخزرج ١٣٨
يا ابن معاذ!والله ما بك نصرة رسول الله ﷺ ١٣٨

سعد بن معاذ

ترى يا رسول الله أن نضرب أعناقهم ١٧١
نرى يا رسول الله أن تضرب أعناقهم ١٦٢
يا رسول الله إن كان ذلك في أحد من الأوس..... ١٨٠
يا رسول الله أنا أعذرك منه ١٣٧و٢٠٧

سعيد بن جبير

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾: الكذب ٢٢٨
أن سعد بن معاذ لمّا سمع ما قيل في أمر عائشة..... ٢٤٥
إنما أنزل هذا في شأن عائشة خاصة ٢٣٩
في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ ٢٣١-٢٣٢

سعيد بن المسيب

كان رجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا سمعا شيئًا..... ٢٤٥

سلمة بن نبيط

هن نساء النبي ﷺ..... ٢٣٩

صفوان بن المعطل

أفعل ونعمة عين وكرامة ٢١٧
سبحان الله! والله ما كشفت كنف أنثى قط ١٦٧
يا رسول الله! أما قولها؛ يضربني إذا صليت ١٦٦و١٦٧و١٧٢
صفوان بن المعطل السلمي..... ٢١٧
يا نومان قم..... ١١٧و٢٠٦

الضحاك بن مزاحم

لما أنزل الله عذر عائشة من السماء ٢٣٧
نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ ٢٣٩

عائشة

أتسبين ابنك؟ ١٧١
أجب عني رسول الله ﷺ ١٨١
أجبه ١٦٤
أجيبي عني رسول الله ١٨١
أجيبيه ١٦٤
أخرجني رسول الله ﷺ من بيته ٢٠٧
أخشى أن يثنى علي ٢١٣
أدر عني وجهك ٢١٧
إذا مرَّ ابن عمر فأرينه ١٣١
أرسلني إلى بيت أبي ١٦٣و١٧١
أسمعت حديث حفصة يا فلان ٢٢٨
أعطيت سبعًا لم يعطها نساء النبي ﷺ ٢٢٧
أعوذ بالله من النار ٢١٥
ألا تستحي من هذه المرأة ١٦٤و١٧٢
ألا عذرتني ٢١٨-٢١٩
أليس الذي هو يقول: هجوت محمداً ٢٤٤-٢٤٥
أليس قد أصابه عذاب عظيم ٢٢١
أما بعد فوالله لئن قلت لكم ١٦٤و١٧٣
أما والله لو نهيت ما خرجت ١٣١
إنه كان ينافح عن رسول الله ٢٢٠
أنه لما نزل عذرها قبَّل أبو بكر رأسها، فقالت: ألا عذرتني ٢١٨
إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثًا ١٣١

الولق: الكذب ٢٢١
بئس ما قلت ٢٠٤
بحمد الله لا بحمد أحد ١٩٢
بحمد الله لا بحمد صاحبك ٢١٨
بحمد الله لا بحمدك ١٨٨
بخير إن اتقيت ٢١٣
بغير حمدك وحمد صاحبك ١٧٦
بينا أنا وعائشة إذ دخلت عليها امرأة ١٩١
تزوجني رسول الله ﷺ وأنا أخوض المطر بمكة ٢١٦-٢١٧
تزوجني رسول الله ﷺ وعلي حوف ٢١٦
جاء الملك بصورتي إلى رسول الله ﷺ ٢٢٨
حسبي الله ونعم الوكيل ٢٣٣
خذي الإداوة فاملئيها ١٧٨
خلال لي تسع لم تكن لأحد من النساء ٢٢٨
دخل ابن عباس فأثنى عليّ ٢١٣
دخلت عليّ أم مسطح، فخرجنا إلى حير عاد ١٧٥
دعني من ابن عباس ومن تزكيته ٢١٥
دعني يا ابن عباس من هذا ٢١٦
سبحان الله! تسبين رجلاً من أهل بدر ٢٠٦
علام تسبين ابنك ١٦٣
فأما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها ١٦٧
فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ١٩٥و١٩٧
فضلت على نساء النبي ﷺ بعشر ٢٢٢
فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب ١٤٣
فقلت في نفسي: على ما يصلح رحل أم سلمة ٢٠٥
فقيل في أصحاب الإفك الأشعار ١٨٣

فهلك من هلك، وكان الذي تولّى الإفك عبدالله ١٩٠
كان أبو أيوب الأنصاري حين أخبرته امرأته ٢٢١-٢٢٢
كان علي مسلماً في شأنها ١٣٠
كان مسطح بن أثاثة ممن تولّى كبره ٢٣٤
كان مسيئاً في أمري ٢٢٠
كانت تقرأ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ ٢٢١
لا أعتذر من شيء قالوا حتى ينزل عذري ٢٣٣
لا إنما اللغو ما قيل عند النساء ٢٢١
لا بحمدك ولا حمد صاحبك ٢٠٥
لا تؤذوا حسان ٢٤٢
لا تسبه فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ ٢٢٠
لا تقولوا لحسان إلا خيراً ٢٤٢و٢٤٤
لقد أعطيت تسعًا ما أعطيتها امرأة ٢٢٦
لكنك لست كذلك ٢٢٠
لم ينكح بكراً قط غيري ٢٢٣
لَمّا أنزل الله براءتي قال أبو بكر: والله لا أنفق على مسطح ١٥٤
لَمّا بلغني ما تكلموا به، هممت أن آتي قليبًا ١٨٦
لما ذكر من شأني الذي ذكر، وما علمت به ١٢٧، ١٦٢، ١٧٠
لَمّا نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر ١٨٩
لَمّا نزل عذري من السماء، جاءني النبي ﷺ ١٨٨
لَمّا نزلت آية التخيير، بدأ رسول الله ﷺ بعائشة ١٩٥، ١٩٦، ١٩٩
ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان ٢٢١
ما منعك أن تنهاني عن مسيري ١٣١
﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾، قالت: عبد الله بن أبي ٢١٩و٢٤٣
وأي عذاب أشد من العمى ٢٢٠
والذي بعثك بالحق نبياً لسرورك أحب إليّ ٢٤٠

والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل له ليقول..... ١٥٦
والله لئن أقررت على نفسي بباطل ١٨١
والله لئن حلفت لا تصدقوني..... ١٩٢
والله لا أستغفر الله منه أبداً ٢٠٨
والله لا أفعل ١٨١
والله ما كنت أظن أن ينزل القرآن..... ١٨١
والله هجرني القريب والبعيد حتى هجرتني الهرة..... ٢٤٧
وقد كان هذا؟ ١٧١
يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري..... ١٣١

عبد الرحمن بن أبي بكر

أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء ١٩٦، ١٩٨
إنما هو أنا وأمي وامرأتي وخادم بيتنا ١٩٥و١٩٦و١٩٨و١٩٩

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان..... ٢٣٩
وكان عبد الله بن أبي هو الخبيث..... ٢٤٠

عبد الله بن صفوان

أسمعت حفصة يا فلان ٢٢٣

عبد الله بن عباس

أبشري يا أم المؤمنين ٢١٥
فأنت بخير إن شاء الله ٢١٣
كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد رموا عائشة بالقبيح ٢٣٥
كنت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه ٢١٦
كيف تجدينك..... ٢١٣
نزلت في الذين قالوا في زوجة النبي ﷺ ما قالوا ٢٤٢-٢٤٣
نزلت في عائشة خاصة..... ٢٣٧
هذه في عائشة وأزواج النبي ﷺ..... ٢٣٨

يا أم المؤمنين إن الله -عز وجل- قد أعاذكِ من النار ٢١٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾: يريد إن الذين جاءوا بالكذب ٢١٠
﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ قال: كان ناس ٢٣٥
﴿جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾: الذين افتروا ٢٣٤

عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر

إنه قارئ لكتاب الله فقيه ٢١٥

عبد الله بن عمر

إنما ضرب رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدين ٢٠٨
رأيت رجلاً قد غلب عليك ١٣١
كانت امرأة عبد الله بن أبي منافقة معه ٢٤١

عبيد الله بن عبد الله بن أبي ملكية

أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ ٧٦
استأذن ابن عباس على عائشة في مرضها ٢١٥
استأذن ابن عباس على عائشة وهي مغلوبة ٢١٣
وكانت أعلم من غيرها ٢٢٠

عروة بن الزبير

أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده ويقره ١١٩
ذهبت أسبُّ حسان عند عائشة، فقالت: لا تسبه ٢٢٠
كتبت إليَّ تسألني في الذين جاءوا بالإفك ٢٣٣
لم يسمَّ من أهل الإفك إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة وحمنة ١١٩
وكانت عائشة تكره أن يسبَّ عندها حسان ١١٩

علقمة

فقالت الجارية الحبشية، والله لعائشة أطيب من الذهب ١٣٣

علي بن أبي طالب

اصدقي رسول الله ﷺ ١٦٥ و١٧٢
النساء كثير ٢٠٤

سل الجارية تصدقك ١٣٢
قد وسع الله عليك النساء ١٧٥
يا رسول الله لم يضيِّق الله عليك ١٢٨
يا رسول الله ما أكثر النساء ١٧٩
يا رسول الله! قد قال الناس ٢٠٧-٢٠٨

عمار بن ياسر

إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ١٣١

عمر بن الخطاب

يا حذيفة نشدتك بالله ٧٥

القاسم بن محمد

سألت أم رومان عن حديث الإفك ٢٠٠
ماتت أم رومان في زمن النبي ﷺ سنة ست ١٩٦، ١٩٩

قتادة بن دعامة السدوسي

أنزلت في شأن عائشة ٢٣٨-٢٣٩
الذي تولى كبره حسان بن ثابت ٢٤٢
ذكر لنا أن الذي تولى كبره رجلان من أصحاب النبي ﷺ ٢٤٢
كانت عائشة تقول ٢٤٤
نزلت هذه الآية في رجل من قريش ٢٣٥
هذا في شأن عائشة وما قيل فيها ٢٤٤

كعب بن عجرة

كيف الصلاة عليكم أهل البيت ٨٤

مجاهد

أصحاب عائشة ٢٤١
عبد الله بن أبيّ ابن سلول يذيعه ٢٤١
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ قال: أبو بكر حلف ٢٣٦

محمد بن إسحاق

كانت غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ست ١٨٦

هذا سمَّى جدي قرنان..... ٩٤

محمد بن سيرين

أن عائشة كانت تأذن لحسان ٢٤١

حلف أبو بكر في يتيمين كانا في حجره ٢٣٦

محمد بن عبد الله بن جحش

تفاخرت عائشة وزينب، فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي ٢٣٣

مسروق بن الأجدع

دخلنا عند عائشة وعندها حسان بن ثابت ٢٢٠

كنت عند عائشة فدخل حسَّان بن ثابت ١١٩

لم تأذني له أن يدخل عليك ٢٢٠

مقاتل بن حيان

حلف أبو بكر لا ينفع مسطح بن أثاثة ٢٣٦

موسى بن عقبة

غزوة المريسيع كانت سنة أربع قبل الخندق ١٣٤

هشام بن عروة

في الذين جاءوا بالإفك يزعمون أنه كان كبر ذلك..... ٢٤٣

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ عبد الله بن أبيّ ٢٤٣

الوليد بن عبد الملك

أبلغك أن عليًا كان فيمن قذف عائشة..... ١٣٠

الكنى

أبو ايوب الأنصاري

بلى وذلك الكذب ٢٢٢و٢٢٣

فعائشة والله خير منك ٢٢٢و٢٢٣

ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ٢٢٢

أبو بكر الصديق

أتنزعين كفك من رسول الله ٢١٨
أقسمت عليك يا بنية إلا رجعت ١٦٤و١٧٢
أقول ماذا ١٦٤و١٧٣
أما إذ نزل القرآن يأمرني فيك ٢٠٨-٢٠٩
أنا أحق أن أخرجك ١٢١
أي سماء تظلني أو أي أرض تقلني ٢١٩
ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته ٨٥
بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ٢٣٧
بلى والله إنا لنحب أن يغفر الله لنا ١٦٨
بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ١٥٥
بلى والله يا رب إنا لنحب أن تغفر لنا ١٧٤
فأخرجك رسول الله ﷺ وآويك؟ ٢٠٧
قد عفوت وصفحت ٢٣١
لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها ٢٣٥
لا أفعل هو نبي الله ١٨١
لا جرم والله لا أمنعه معروفاً ٢٣٥
لا وصلتك بدرهم أبدًا ٢٠٨
ما شأنها ١٦٤
مالك ٢٠٧
هكذا كنّا حتى قست القلوب ٤١
والله لا أنفق على مسطح شيئاً ١٥٤
والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية ١٤٧و٢٠٧

أبو الجوزاء

هذه أمهات المؤمنين خاصة ٢٣٩

أبو سلمة بن عبد الرحمن

كان عليٌ مسلّماً شأنها ١٣٠

أبو وائل

ولّما بعث عليًا عمارًا والحسن إلى الكوفة لسيتفزهم، خطب عمّار فقال: إني لأعلم أنه زوجته في الدنيا والآخرة ١٣١

أم أيوب الأنصارية

ألا تسمع ما يقول الناس ٢٢٢و٢٢٣

يا أيوب ألا تسمع ما يتحدث الناس ٢٢٢

أم رومان

أشهد أنك من الغافلات ١٧٥

أقول ماذا؟ ١٦٤و١٧٣

أي بنية خفضي عليك الشأن ١٧١-١٧٢

احتبست عن أضيافك ١٩٥و١٩٦و١٩٩

بلغها الذي ذكر من أمرها ١٦٤

بينا أنا وعائشة إذ دخلت ١٩١

خفضي عليك الشأن ١٦٣

ما جاء بك يا بنية؟ ١٦٣و١٧١

ما لهذه مما قلتم وقيل ٢١٨

يا بنية اصبري ١٧٨

يا بنية هوني عليك ١٢٦

أم محمد بن السائب بن بركة

طفقت مع عائشة -زوجة النبي ﷺ- بالبيت في نسوة ٢٤٤

أم مسطح

إنك لا تدري ما يقول ٢٠٤

إنه سال بك السيل وأنت لا تدرين ٢٠٦

تعس مسطح ١٦٣و١٧١و١٧٥و٢٠٤و٢٠٦

نعم والله ١٧١

والله ما أسبه إلا فيك ١٦٣و١٧١

الألقاب

الزهري

سبحان الله! أخبرني رجلان من قومك ٢١٩-٢٢٠
قال لي الوليد بن عبد الملك: أبلغك أنَّ عليًا ٢١٩-٢٢٠
كنت عند الوليد بن عبد الملك..... ٢١٩
لا؛ ولكن قد أخبرني رجلان من قومك ٢٢٠

الواقدي

كانت سنة المريسيع خمس ١٣٤

المبهمات

امرأة صفوان بن المعطّل

يا رسول الله! إن زوجي صفوان يضربني..... ١٦٦

رجل

قيل لعائشة: إنك لست بأم..... ٨٧

بعض رجال بني النجار

أن أبا أيوب قالت له امرأته حين قال أهل الإفك ما قالوا..... ٢٢٢

امرأة من الأنصار

فعل الله بفلان كذا وكذا..... ١٩١
فعل الله بفلان وفعل..... ١٩١

٤- فهرس الأعلام والرواة المترجم لهم

حرف الألف

إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة ٢٢٣، ٢٤٥
إسحاق بن داود الصواف ٢٢٧
إسحاق بن محمد الفروي ١٦١
إسماعيل بن أبي أويس ١٧٨، ١٨٦
إسماعيل بن رافع ١٦١
إسماعيل بن يحيى بن سلمة ٢٤٥
إسماعيل بن يحيى التميمي ٢٠٨، ٢٤٠، ٢٤١
أمية بنت عبدالله ٢٢٦

حرف الباء

باذام=أبو صالح ٢٤٧
بشر بن سهل الدمياطي ٢٢٧
بشر بن الوليد الكندي ٢٢٦
بكر بن سهل الدمياطي ٢١٢
بكير بن معروف ٢٣٦

حرف الحاء

حجاج بن نصير ٢٢٣
الحسن بن عبد الله العرني ٢٤٦
الحسن بن علي بن محمد التميمي ١٨٨
حسين بن عبد الله بن عبيد الله ١٨٢
حفص الحلبي ٢٢٧

حرف الخاء

خالد بن خداش ١٨٦

خصيف الجزري ١٧٤و٢٣٨

حرف الزاي

زمعة بن صالح ١٦٠
زيد بن حريش ٢١٦، ٢١٧

حرف السين

سعيد بن المرزبان الكوفي= أبو سعد ٢١٦
سُعير بن مالك بن الخِمْس ٢٢٤
سلمة بن إبراهيم بن إسماعيل ٢٤٥
سنيد= الحسين بن داود ٢٤٥
سويد بن سعيد ١٦١

حرف الصاد

صفوان بن المعطل ١١٤

حرف الضاد

الضحاك بن مزاحم ٢١٠

حرف العين

عبد الرحمن بن أبي بكر ١٩٦
عبد الرحمن بن أبي الزناد ١٦٩
عبد الرحمن بن زيد ٢٣٩
عبد الرحمن بن الضحاك ٢٢٤
عبد الرحمن بن محمد بن زيد بن جدعان ٢٢٥
عبد الغني بن سعيد الثقفي ٢١٢
عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي ١٥و٥٦
عبد الله بن بزيع ٢٢٧
عبد الله بن جعفر الرقي ٢١٩
عبد الله بن خراش ٢٣٧
عبد الله بن لهيعة ٢٢٨، ٢٣٢

عبد الله بن هارون=أبو علقمة الفروي ٢٤٠
عبد الملك بن عمير ٢٢٦
عتاب بن بشير ١٧٤
علي بن زيد بن جدعان ١٩٣، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٢٦
عمر بن أبي سلمة ١٨٧
عمرو بن خليفة ٢٠٣
عيسى بن ميمون المدني ٢٢٣

حرف القاف

قريش بن خالد ٢١٨و٢١٩
القاسم (شيخ الطبري) ٢٣٤
القاسم بن محمد ٢٠٠

حرف الميم

محمد بن السائب ٢٤٧
محمد بن شجاع الثلجي ٢٢٣
محمد بن عمر الواقدي ٢٢٣
محمد بن عمرو ٢٠٣
محمد بن قيس ٢٠٨
محمد بن ميمون ٢١٤
مسروق بن الأجدع ١٩٣، ١٩٤
مسلم بن خالد الزنجي ١٦١
معاوية بن يحيى الصدفي ١٦١
مقاتل بن سليمان الأزدي ٢١٢
مقسم بن بجرة ١٧٤
موسى بن عبد الرحمن ٢١٢
المعلى بن عرفان ٢٣٣

حرف الواو

الوليد بن محمد الموقري ١٦١

حرف الياء

يحيى بن أبي زكريا الغساني ١٦٩
يحيى الحمّاني ٢٣٨
يحيى بن سلمة بن كهيل ٢٤٥
يحيى بن سليم الطائفي ٢١٥
يوسف بن سلمان الباهلي ١٦٠

الكنى

أبو أويس ١٧٨، ١٨٦
أبو جعفر الفراء ٢٢٥
أبو حنيفة النعمان ٢٢٧
أبو سعد= سعيد بن المرزبان
أبو صالح=باذام
أبو علقمة الفروي=عبد الله بن هارون ٢٤٠
أبو معشر المدني ٢٠٨
أم محمد بن السائب ابن بركة ٢٤٤
أم رومان ١٩٧، ١٩٨

الأبناء

ابن إسحاق ١٨٨
ابن جريج ١٦١

الألقاب

الأعمش ١٦٦
الواقدي=محمد بن عمر ٢٢٣

المبهمات

والدة محمد بن السائب ٢٤٤

٥- فهرس الأشعار

القافية	الصفحة
حرف الهمزة	
لعرض محمد منكم وقاء	١١٩
وعند الله في ذاك الجزاء	٢٢١
حرف الألف	
آنفًا إلا بعدما علمتا	١٠٢
أم رومان واعلم أنها تسمى	١٠١
أنزعه من بعد ذاك واثتلى	١٠٤
أنفعه من بعدها فنزلا	١٠٤
إن كنت حاضرًا وإلا ولّى	١٠٢
بأن تهوّن عليها الأمرا	١٠١
بالجيش لكن جيش طه سبقا	١٠٠
بقوله (إن الذين جاءوا ...)	١٠٣
تكذيبه في النوم أفضل الورى	١٠٣
خوفًا من أن يقع إفك فيها	٩٩
صفوان وهو بالجميل عرفا	١٠٢
عائشة قد سمعت ما قد شاعا	١٠٣
فاحتملوا من بعدها هودجها	١٠٠
فما به أمرتنا فعلنا	١٠٢
في أن تزور الأم والأبا	١٠١
قلت تسبين حنيفًا مسلمًا	١٠١
كما حكاه النووي سلمى	١٠١
كنت تحبُّ قتله وأقسما	١٠٢
لما غزا خير الورى المريسعا	٩٩

ما في البراءة عليه نزلا ١٠٣\
مالك الذي إلى كنانة انتمى ١٠١
مسطح أي شقي والمرط الكسا ١٠١
مماته من بعد ذا شهيدا ١٠٣
من الكلام ولم تتبع به طمعا ١٨٣
هو الذي برّأني من ذلكا ١٠٣
وآله والصحب الأتقيا ١٠٤
وسوف يرجعون من بعدها هودجها ١٠٠
والفضل والرحمة والإحسانا ١٠٤
وفقدت راحتها ونومها ١٠٢
وفي أبي يوسف أسوة لنا ١٠٣
وفي المساجد به يصلّى ١٠٣
وكان عندها المقال أحقرا ١٠٣
والله لا أعلم إلا خيرا ١٠٢
ولم يبت مع الهداة الحنفا ١٠٠
يسأل عن ذاك أيضًا زينبا ١٠٣

حرف الباء

بنت أبي رهم سليل المطلب ١٠١
خير الورى والدها الأديب ١٠٣
عنقه إذا للأوس ينسب ١٠٢
فلم تقل إلا كقولة الأب ١٠٣
فليقضين دمعي عنك بعض ما يجب ٣٤
لأنه أبصرها قبل الحجاب ١٠٠
لله فهو غافر الذنوب ١٠٣
من بعد ما قد نزل الحجاب ١٠٠
وذا إلى عبّاد بن المطلب ١٠١

حرف التاء

أشد ما قد مضى وبكت ١٠١
بذاك إلا أنها قد أنكرت ١٠١
لتذكر اسمه وما تذكّرت ١٠٣
وضربت جلبابها واضطجعت ١٠٠
ومسطح وحمنة في الثابت ١٠٤
والناس في الرحيل كانت شرعت ١٠٠

حرف الجيم

وما تقول هو عين البهرج ١٠٢

حرف الحاء

حسان بجل ثابت ومسطح ١٠٣
طيبة ليلاً مع أم مسطح ١٠١

حرف الدال

بنوو بنت مخزوم ووالدك العبد ٢٢٠

حرف الراء

إذ وجدت وما به من بشر ١٠٠
غلام إذا هوجيت لست بشاعر ١٨٢
فسالت الأم كما جا في الخبر ١٠١
كل العباد وعن الإفك زجر ٩٩
والأم بنت صخر بن عامر ١٠١
وعندما بلغ صفوان الخبر ١٠٣
وغيره والنساء غيرها كثير ١٠٢
وقومه وأخبرتها بالخبر ١٠١
ولم تكن قد علمت بالأمر ١٠١
ومسلم فيها من الأخبار ٩٩
وهو ابن عم ابن معاذ الأمير ١٠٢
والوالدان معها في الدار ١٠٢

ينفق مسطحاً كما جا في الخبر ١٠٤

حرف السين

هناك بين خزرج وأوس ١٠٢

حرف الشين

أثنا قفولهم بذات الجيش ١٠٠

حرف الفاء

أنثى وقد كفاك أنّه حلف ١٠٣
جا في اسمه هل عامر أو عوف ١٠١
مألوفة عندهم فيما ألف ١٠١

حرف اللام

لحاجة بدون إذن البعل ١٠٠
لك الحقيقة فسالها الرسول ١٠٢
طلع وهو قائد بها الجمل ١٠٠
في هودج لها وفيه تنزل ١٠٠
وبعد ذا أذن بالرحيل ١٠٠
وبلغ الحديث صفوة الجليل ١٠١
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ١٢٠، ١٨٤، ٢٢٠
وقال من يعذرني من رجل ١٠٢
وهم بخير عرفوا وفضل ١٠٢
وهو سعد بن عبادة فقال ١٠٢
وهو من المهاجرين الأول ١٠١

حرف الكاف

سبل الهدى بأمّنا هنالك ١٠٠

حرف الميم

مع أوّل الأمر في المهمات العظام ١٠٣
والخماسي من نسلها والعظيم ١٨٣
ولا يقول غير كيف تيكم ١٠١

هذا الحديث وبه صدّقتم ١٠٣

حرف النون

أنت تجادل عن المنافقين..... ١٠٢
حتى أتت براءة القرآن ١٠٣
سألت ممن هو قلت لك من..... ١٠١
ما ذاك والتقليد يستويان..... ٣٠
نساؤه لم يتّسمن بالسِّمن ١٠٠

حرف الهاء

برّأك الله -علا- يا عائشة ١٠٣
بقصة الإفك تفي بالقصة..... ٩٩
خرج سهمها مضت في صحبته..... ٩٩
فاستيقظت في الحين من سماعه ١٠٠
فمر صفوان بن سلمة..... ١٠٠
في قول بعض من أولي الدراية ١٠٤
كان هو الذي تولّى كبره..... ١٠٢
لأجل أختها وتستوشيه ١٠٣
لهذه بين النِّسا كعادته..... ٩٩
من بعد حسم ما جرى بأسره..... ١٠٢
من ذاك كنت بارئ البريئه..... ١٠٣
منها وقد أمسكه لتركبه ١٠٠
والبعض من حنانه وعطفه ١٠١
والحمد لله الذي أتمّه ١٠٤
وذاك لا علم به لعائشة ١٠٠

حرف الواو

وحمنة إذ قالوا هجيرًا ومسطح ١٨٥

حرف الياء

أبو بكر أيا أبي أجب عني النبي ١٠٢

الاتقا عليًا وأسامة الأبي..... ١٠٢
رهم رفيقة ظعينة النبي ١٠١
عنها وقالت ذاك إفك مفترى ١٠٢
قال بلى أحب أن يغفر لي ١٠٤
هدي المحب لها وضل الشاني..... ٩٩

٦- فهرس الأماكن والبلدان

حرف الألف

الأبواء ٢١٦
الإسكندرية ١٨، ٢٨، ٥٢
أصبهان ١٨، ١٩، ٢٠، ٣٠، ٣٧، ٣٨، ٥٢، ١٧٥
أمصار المسلمين ٤٦

حرف الباء

الباب الشرقي ١٧
بدر ١٢٥، ١٣٢، ١٣٦، ١٥٩، ١٧٩
بعلبك ٢٧، ٤٥
بغداد ١٧، ١٨، ٤٦، ١٠٥
البقيع ١٢٣
بلاد الشرق ٢٧
بلاد المسلمين ٤٦
بيت المقدس ١٥، ١٧
بيروت ١٢

حرف الجيم

جامع دمشق ٢٧، ٣٩، ٣٥، ٤٣
جامع القرافة ٣٩
جبل قاسيون ١١، ١٧
جبل النصر ١٤٤
جزيرة العرب ٧٨
جُاعيل ١٥، ١٧

حرف الحاء

الحديبية ١٩٤، ١٩٥، ١٩٩

حمام ٢٣

حرف الدال

دار الحنابلة ١٧

دار الكتب الظاهرية ١١

درج جيرون ٢٤

الدولة الإسلامية ٧٧، ٨١

حرف الراء

الرقة ٩٣

رواق الحنابلة ٤٣

الرياض ١٢

حرف الشين

الشام ٤٦

حرف الصاد

الصالحية ١٥، ١٧

صرخد ٢٨

حرف الطاء

طبرستان ٩٣

حرف الظاء

ظفار ١١٠

حرف العين

العراق ٩٤

حرف الغين

غزوة بدر ١٧٩

غزوة بني قريظة ١٣٦، ١٣٧

غزوة بني المصطلق ٧٨، ٧٩، ٨٠، ١٠٧، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٣

غزوة الخندق ١٣٤، ١٣٦

حرف الفاء

فتح مكة ١٣٢ ، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩

حرف القاف

القرافة ٣٣، ٣٩
القاهرة ٢٢، ٢٨، ٤٣
القبلة ٣٢
قبة النسر ٢٦
قرقيس ٧٧
قصر بني حديلة ١٨٦
قصر حاء ١٨٦
القلعة ٢٧

حرف الكاف

الكلاسة ٢٦
الكنف ١٢٣
الكوفة ٧٧

حرف الميم

المدرسة الضيائية ١١
المدرسة العمرية ١٧
مسجد أبي صالح ١٧
مسجد الوزير ٢١
مصر ١٧، ١٨، ٢٢، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٥٢
مدينة دمشق ١٧، ١٨، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٤٢، ٤٥، ٤٨، ١٦٦
المدينة النبوية ٧٨، ٨٠، ١٣١، ١٣٢، ١٨٦، ٢٠٠، ٢٠٦
المريسيع ١٠٣، ١١٥، ١١٦، ١٣٤، ١٣٦
المغرب ٤٣، ٤٥، ١٤٤
مكتبة الأسد ١١

مكة ٥٣، ٧٨، ٢١٧
المناصع ١٠٣، ١٢٣، ١٧٩
الموصل ٢٥

حرف النون

نابلس ١٧، ٢٨

حرف الهاء

همذان ١٩، ٥١
الهند ١١

حرف الواو

وقعة الجمل ٨٣، ١٣٠، ١٣١
وقعة صفين ٨٣

حرف الياء

اليمن ١١٠، ١٩٤، ١٩٨

٧- فهرس القبائل والفرق والجماعات والمذاهب والأنساب

حرف الألف

أثري ٤٤
الأسدي..... ٢٣٢
أشاعرة=الأشعرية ٣١، ٤٧
الأشهلي ١٨٠
الأصبهاني..... ٣٥، ٥٢
أصحاب الرسول=الصحابة..... ٨٧، ٨٩، ٩٩، ١٠٤
أصحاب الشافعي ٢٧
أصحاب الصفة..... ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨
أصحاب الموفق ٢١
الأكراد..... ٣٠، ٤٢
الأنصاري=الأنصار ٧٨، ٧٩، ٨٠، ١٠٢، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٠، ١٩١، ٢٢١
أهل الأفك=أرباب الأفك ٩٦، ١٠٠، ١٠٦، ١١٩، ١٢٨، ١٥٥، ١٧٨، ١٨٦، ١٨٩، ٢٢١
أهل الإيمان=المؤمنون ٦٥، ٧٠، ٧٧، ٨٧
أهل البيت..... ٨٩، ٩٣، ٩٦، ٩٩، ١٠٤، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٧٨
أهل بغداد ١٨
أهل الحديث ٢٥، ٤٢، ١٤٥
أهل دمشق ٢٨، ٤٣
أهل الزيغ والبدع=أهل البدعة ٢٥، ٣٧، ٤٢، ٧٣
أهل السنة والجماعة..... ١٩، ٤٢، ٤٤، ٤٧، ٨٧، ٨٩
أهل السير والتاريخ ١٣٥
أهل الضلال ٧٧
أهل العلم ٩٥، ١٩٤

أهل الفقه ٩٣
أهل الموصل ٢٥
أهل اليمن ٤١
الأوس ٧٨، ٨١، ١٠٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٧١، ١٨٠، ١٨٣، ٢٠٧

حرف الباء

البغدادي ١٠٥، ١٥٩، ١٨٨
بنو الحارث ١٨٢
بنو حديلة ١٨٦
بنو سليم ٢٣٢
بنو عوف ٢٤٣
بنو كنانة ١٠١
بنو المصطلق ١٧٧، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٣، ٢٠٥
بنو النجار ٢٢٢
بنو المغيرة ٢٤٤

حرف التاء

التجسيم=المجسمة ٢٥، ٤٥
التميمي ١٨٨

حرف الجيم

الجاهلية ٨٠، ١٣٨، ١٤٧، ٢٠٦
الجمّاعيلي ١٥
الجهمية المعطلة ٢٥، ٤٦
الجيلاني ١٨

حرف الحاء

الحرّاني ٣١
الحنبلي=الحنابلة ١٦، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٤٠، ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٣
الحنفي=الحنفية ٢٧، ٤٦، ٧٧

حرف الخاء

خزاعة..... ١٧٧
الخزرج..٧٨، ٨١، ١٠٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٦٢، ١٧١، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٧، ٢٤٣
الخوارج..... ٧٧، ٨٣

حرف الدال

الدمشقي..... ١٥

حرف الذال

الذكواني..... ١١٤، ١١٥

حرف الراء

الرفض=الرافضي=الشيعة..... ٧٧، ٨٣، ٩٢
الروم..... ١٨٢
الرقي..... ٢١٩

حرف السين

سلفي=السلف=السلفيين..... ٤٢، ٤٤، ٤٧، ٥٠، ٧٣، ٨٤، ١١٧، ١٤٣، ١٤٤
سلفية ١٧
السلمي ١٧٧، ٢٠٣، ٢١٧

حرف الشين

الشافعي ٣٦، ٤٦
الشافعية ٤٦
الشامي..... ٤٦
الشيعي..... ١٤٥

حرف الصاد

الصالحي ١٥
الصحابة=أصحاب الرسول ﷺ.....
الصوفي..... ٥١

حرف العين

عبدة الأوثان ٨٥

علماء السلف ٢٥

حرف القاف

قبطية ١٨٢
القدرية ٨٣
قريش=القرشي ١٧، ٢٧، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٩

حرف الكاف

كافر=كفار ٩، ٦٥

حرف الميم

مذهب أحمد بن حنبل=المذهب الحنبلي ١٥، ٤٠
مذهب السلف الصالح ٤٤
المرجئة ٨٣
المشبّهة ٢٥
المشركون ٨٥، ٩٠
المصري ١٥
المعتزلة ٤٧
معشر المسلمين ١٣٤
المقدسي ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨،٣٧، ٣٩، ٤٤، ٤٨، ٥١، ٥٢، ٩١، ١٩٩
المهاجرون ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٢١٧، ٢٣٠، ٢٤٠
المهراني ٢٤
الموصلي ١٥٨
المؤمنون=أهل الإيمان

حرف النون

النابلسي ٣٥
النجاري ١٧٧
النصارى=النصرانية ٧٧، ١٤٣

النفاق ٧٨

حرف الهاء

الهاشمي ٩١

حرف الواو

الواسطي..... ١٥٦

حرف الياء

اليمن..... ٣٦
اليهود ٧٨، ٨٥

٨- فهارس الفوائد العلمية

١- العقيدة

من قال: الإيمان مخلوق؛ فهو كافر، ومن قال: قديم، فهو مبتدع ٤١
المنافقون من أخطر الخلق على المسلمين..... ٦٥
وصف المنافقين وبيان حالهم من كلام ابن قيم الجوزية..... ٦٦
العصبية إلى العشيرة من أمر الجاهلية ٧٩
وقاية عائشة -رضي الله عنها- من الفاحشة من تمام تنزيه الله عما لا يليق به؛ أن يجعل لرسوله امرأة خبيثًا بغيًّا ١٢٩
كلام الإمام الألباني -رحمه الله- في مسألة عصمة نساء النبي ﷺ، وبيان أن العصمة فقط للأنبياء ١٤٢
الفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية ١٤٥
كبائر الذنوب لا تحبط العمل الصالح ١٥٤

٢- القرآن وعلومه

(الحجاب) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ غير (الجلباب) الذي في آخر السورة نفسها ١١٦
﴿تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾؛ أي: تصدى لذلك وتقلَّده، وكبر الإفك: معظمه ١١٨
﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾؛ هو: عبد الله بن أبي ابن سلول، وليس حسان بن ثابت ...١١٩، ٢٠٠
المراد بالعصبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾: المنافقون.... ١٢١
قول الله -تعالى- عن امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾؛ أي: في الدين، وليس المراد الفاحشة ١٤١
تفسير عائشة لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾؛ وأن الوَلْقَ: الكذب ٢٢١

٣- الحديث وعلومه

حديث: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة» محكم ثابت ٤٠

الدفاع عن الإمام الزهري في جمعه حديث الإفك عن أربعة، وبيان وجه صوابه .. ١٠٦
تسمية الغزوة في حديث الإفك عن عائشة مدرج في الخبر ١٠٧
ما وقع في حديث ابن عمر عن حادثة الإفك أن سبب توجه عائشة لقضاء حاجتها: أن رحل أم سلمة مالَ؛ فأناخوا بعيرها، خلاف ما في «الصحيح»، فهو شاذ منكر ١٠٩
وقع في رواية يونس بن يزيد وفليح بن سليمان: «جزع أظفار» بزيادة ألف، وأهل اللغة لا يعرفونه، ويقولون: ظفار، ولذلك خطّأها القرطبي، وتعقّبه ابن حجر..... ١١٠
الرواية عن ابن عمر في حديث الإفك، والتي فيها أن عائشة اتبعت الجيش حتى أعياها التعب، غير صحيحة؛ لمخالفتها لما في «الصحيح»، وأنها أقامت في منزلها حتى أصبحت..... ١١٤
لفظ «موغرين» -بالراء المهملة- في حديث الإفك عن عائشة، جاء في روايات أخرى «موعزين» -بعين مهملة وزاي-؛ كما في «صحيح مسلم»، وروي «مغوِّر»، من التغوير، وفي أخرى: «معرِّسين» من التعريس، وورد مصحَّفًا بمهملتين «موعرين»، وهو غلط ١١٨
الحديث الذي أورده الحاكم في «الإكليل» وغيره، عن مقاتل بن حيان مرفوعًا: «لا تدخل عائشة رحلي» منكر..... ١٢١
بيان الخلاف في وقت سؤال رسول الله ﷺ عائشة عن أمرها ١٢٧
إجابة إشكال تسمية الجارية بريرة في قصة الإفك ١٣٢
بيان معنى قوله ﷺ: «من يعذرني»، وذكر أقوال أهل العلم في ذلك..... ١٣٤
ذكر وجه تسمية سعد بن معاذ في حديث الإفك، وتوجيه أهل العلم لذلك ١٣٤
لا يستغنى بالقرآن عن السنة ١٥٥-١٥٦
بيان معنى كلمة: «أسقطوا لها به» في حديث عائشة -رضي الله عنها-..... ١٦٥
الرد على البزار في ردِّه حديث أبي سعيد الخدري في خصومة زوجة صفوان معه أمام النبي ﷺ ١٦٦
المحفوظ في الحديث: أن عذر عائشة -رضي الله عنها- نزل ورسول الله ﷺ جالسٌ عندها، لا أنه أتاها فأخبرها بنزول عذرها ١٨٧
ردُّ كلام الماوردي دعواه أن الرسول ﷺ لم يحدّ الذين رموا عائشة بالإفك ١٩٠

بيان علة حديث روي عن النبي ﷺ، وهو قوله ﷺ عن أم رومان لَمَّا دليَّت في قبرها: «مَن سرَّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين؛ فلينظر إلى هذه» ١٩٢
ذكرُ وَهْمِ الخطيب في تحديد زمان وفاة أم رومان -رضي الله عنها-، وتحقيق القول في ذلك في بحث نفيس..... ١٩٢-٢٠٠

٤- المنهج

يمنع التعرض للوقوع في يزيد بن معاوية سدًّا لباب الفتنة..... ٤١
الإمام عبد الغني المقدسي، سلفي المعتقد، على منهج أهل السنة والجماعة..... ٤٢
الطعن في دعوى إجماع الفقهاء على الفتوى بكفر الحافظ عبد الغني المقدسي ٤٦
بيان وجوه ردِّ ما نسبَ لعائشة من الإفك من كلام الرازي..... ٦٤
انقسام الناس في عائشة إلى ثلاث طوائف وذكرهم..... ٨١
تغليظ الله -تعالى- على مَن رمى عائشة بالإفك أشد تغليظ ٨٥
اتفاق علماء أهل السنة والجماعة على أن من طعن في عائشة -رضي الله عنها- بما برَّأها الله منه؛ فهو كافر مرتد ٨٩
كل حال كان عليه الصحابة من أمر الدنيا والآخرة أقرَّه الرسول ﷺ فهو دليل على كماله وفضله..... ١١٢
حسان -رضي الله عنه- ممن تولى كبره تبعًا لا أصالة..... ١٢١
عدم تقليل الكلام مع من أشيع عنه سوء، مظنة عدم المبالاة بما قيل في حقه؛ وهذا من خورام المروءة..... ١٢٢
القتل هو حكم من آذى النبي ﷺ بقول أو فعل..... ١٣٧
توجيه أهل العلم لموقف سعد بن عبادة في حادثة الإفك ١٣٨
متابعة أبي بكر الصديق وزوجته لرسول الله ﷺ..... ١٤٧
الاستشهاد بآي القرآن عند النوازل والتأسي بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم. ١٤٨
الرد على الشيعة الروافض في نفي منقبة ظاهرة للصديق -رضي الله عنه-..... ١٥٤

٥- الفقه

جواز حكاية ما وقع للمرء من الفضل، ولو كان فيه مدح ناس وذم ناس، إذا كان لمصلحة شرعية..... ١٠٧
جواز القرعة في القسم بين الزوجات وفي العتق والوصايا والقسمة ونحو ذلك عند الشافعي وأحمد وغيرهما..... ١٠٧
نزول الأمر بالحجاب قبل غزوة بني المصطلق؛ المراد به: حجاب النساء عن رؤية الرجال لهن..... ١٠٨
السفر بالنساء مشروع غير منسوخ بآية الحجاب..... ١٠٨
الهودج يقوم مقام البيت في حجاب المرأة..... ١٠٨
جواز ركوب المرأة الهودج على ظهر البعير، ولو كان ذلك مما يشق عليه؛ حيث يكون مطيقًا لذلك..... ١٠٨
قول عائشة في حديث الإفك: «فقمت حين آذنوا بالرحيل»؛ فيه دليل على أن الإمام أو أمير الجيش أو صاحب الرفقة إذا أراد السير أن يخبر من معه..... ١٠٩
من آداب قضاء الحاجة في الخلاء: البعد..... ١٠٩
جواز خروج المرأة وحدها إن أمنت الفتنة..... ١٠٩
جواز خروج المرأة لقضاء شأنها بغير إذن زوجها..... ١٠٩، ١٢٣
جواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها..... ١١٠، ١١١
وجوب صيانة المال وإن قلَّ؛ للنهي عن إضاعة المال..... ١١١
جواز خدمة الأجانب للمرأة من وراء الحجاب..... ١١١
جواز استعمال بعض الجيش ساقة يكون أمينًا..... ١١٥
جواز تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي..... ١١٧
بيان أن الحق في تغطية وجه المرأة هو الاستحباب والندب، وأن من قال بحرمته جاهل، ومن قال بوجوبه غالٍ..... ١١٧
جواز تأخير الحد عمّن يخشى من إيقاعه به الفتنة..... ١٩٠

٦- القواعد والأصول

كل عادة مستمرة لا يحتاج فيها إلى الإذن ١٢٣
التوقف في خبر الواحد ولو كان صادقًا، وطلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين، وأن خبر الواحد إذا جاء شيئًا بعد شيء؛ أفاد القطع، وذلك لا يتوقف على عدد معين..... ١٢٦
ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما ١٢٩
الحد لا يثبت إلا بإقرار أو بيِّنة ١٨٩
حد القذف، حقّ الآدمي، لا يستوفى إلا بمطالبته، وإن قيل حق الله فلا بد من مطالبة المقذوف وعائشة لم تطالب ابن أبي ١٨٩

٧- التاريخ والسير

حادثة الإفك هي أفتك شائعة على وجه التاريخ ٥
كان سنُّ عائشة في غزوة بني المصطلق لم يتجاوز الخامس عشرة..... ١١٢
صفوان بن المعطل أسلم قبل المريسيع سنة ثلاث أو أربع، واستشهد في غزوة أرمينية سنة تسع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب ١١٥، ١١٦، ١٦٧
تناقض الواقدي في ذكر تاريخ إسلام صفوان وغزوة المريسيع ١١٦
تراجع الحافظ ابن حجر عن تصريحه بأن قصة الإفك وقعت قبل نزول الحجاب، وذكر الصواب: وأنه بعد نزول الحجاب ١١٦
أم أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- اسمها (سلمى)..... ١٢٢
خالة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- اسمها (رائطة)..... ١٢٤
مسطح لقب، واسمه: عوف أو عامر؛ والأول هو المعتمد، وهو من المهاجرين الأولين ١٢٤
تفنيد فرية نسبت لعائشة -رضي الله عنها-؛ وهي أن سبب خروجها يوم الجمل كان للانتقام..١٣٠
خروج أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- خطأ من أصله، ولم تكن تنوِ إلا خيرًا، وبيان أن خطأها من الخطأ المغفور؛ بل المأجور ١٣٠
ذكر توبة عائشة وندمها على خروجها أيام الفتنة ١٣١
اختلاف العلماء في تحديد مدة حادثة الإفك، وذكر الجمع بين الأقوال ١٤٠

٨- الرقائق والأخلاق

الأصل صيانة اللسان عن المستخبثات من الكلام..... ١١٠، ١٢٣
شؤم الحرص على المال، وأثر ذلك على المرء ١١١
تبرئة عائشة -رضي الله عنها- لحملَة الهودج، وذكر تزكيتها لهم، وبيان وجه ذلك ١١١، ١١٢
الصحابة الذين حملوا الهودج كانوا في غاية الأدب ١١٢
استحباب التوطئة فيما يحتاج إليه من كلام ١١٣
من حسن الأدب وكمال الفضيلة الابتعاد عن مخاطبة النساء الأجنبيات طالما لم تدع حاجة شرعية لذلك ١١٦
الرجل يلاطف زوجته ويحسن عشرتها، ويقصر من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص، وإن لم يتحقق، وذلك لتتفطّن الزوجة لتغيير الحال، فتعتذر أو تعترف ١٢٢
لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤذي باطنه؛ لئلا يزيد ذلك في مرضه ١٢٢
من الأدب أن يُسأل عن المريض وحاله..... ١٢٢
بيان مراتب الهجران بالكلام والملاطفة؛ فإذا كان السبب محققًا: يترك أصلاً، وإن كان مظنونًا يخفف، وإن كان مشكوكًا فيه -أو محتملاً-؛ فيحسن التقليل منه، لا العمل بما قيل ١٢٢
المسلم يذب عن أخيه المسلم؛ خصوصًا أهل الفضل، ويردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل....١٢٥
المرأة لا تخرج من بيتها إلا بإذن زوجها، ولو كان خروجها إلى بيت أبيها ١٢٦
التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب..... ١٢٧
من أبواب التزكية قول المرء: «لا أعلم عن فلانٍ إلا خيراً»، وهو كافٍ في حقِّ من سبق عدالته ممن يطّلع على خفي أمره ١٢٨
قول علي -رضي الله عنه- للرسول ﷺ: «لم يضيق الله عليك» كان يخلِّص الرسول ﷺ من الهم والغم..... ١٢٨، ١٢٩
توطئة العذر لمن يراد إيقاع العقاب به، أو العتاب له ١٣١
استشارة الأعلى لمن هو دونه ١٣١
بيان العيب في شخص، إذا استفسر عن حاله، يُذكَر بعد ذِكْرِ العذر في ذلك إن كان معلومًا.....١٣٣
النبي ﷺ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي ١٤١

يقدّم الكبير للكلام على الصغير في المهمات، وفي مخاطبة أهل الأمر والموقرين.... ١٤٧
ذكر ما يستفاد من موقف أبي بكر في حادثة الإفك..... ١٤٧
وجوب دفع المعرّة عن النفس إن قدر على ذلك، وإلا فالصبر والاضطرار إلى الله -تعالى- ١٤٨
المتعيِّن على أهل الفضل والعلم والعبادة والمنزلة، احتقار أنفسهم، وترك الالتفات إلى أعمالهم وأحوالهم..... ١٤٩
مما يستفاد من تأخر نزول الوحي في حادثة الإفك هو تربية المسلمين على كيفية التعامل مع الحوادث الحساسة التي تتعلق بالأسرة المسلمة لحفظها من التصدع والانهيار ١٥٠
ينبغي أن يتدرج بالبشارة فيمن وقع في مصيبة فزالت عنه ١٥١
مشروعية ترك المؤاخذة بالذنب مادام احتمال عدمه موجودًا..... ١٥٤

٩- الفرق

الناصبة حوّلوا قول عائشة إلى غير وجهه، وجعلوه طعنًا في علي -رضي الله عنه- ١٣٠
تفنيد دعوى الباطنية الخبيثة وهي ادّعاء وجود حقد بين علي وعائشة -رضي الله عنهما-.....١٣١
موقف عليّ من عائشة حيث أكرمها وأعادها معززة إلى المدينة كان من أسباب نقمة الخوارج...١٣١
إجابة الرافضة بأن المراد بالفضل في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ﴾ الزيادة في المال، والرد عليهم..... ١٥٤

١٠- الطب

ذكر منافع ومضار الجَزْع وبيان مصدره..... ١١٠
بيان خطورة السمنة؛ لأنها تعيق الحركة وتثقل السير، وبيان أفضلية خفة الوزن... ١١٢
ذكر فضيلة الاقتصاد في الأكل للنساء وغيرهن..... ١١٢
من أسباب النوم: شدة الغم، وهو وقوع ما يكره، بخلاف الهم: وهو توقع ما يكره فإنه يقتضي السهر ١١٤

١١- المناقب والفضائل

بيان فضيلة حسان بن ثابت -رضي الله عنه- ١١٩
بيان مزية أهل بدر..... ١٢٥
أهل بدر تقع منهم الذنوب؛ لكنها مقرونة بالمغفرة ١٢٥

فضيلة أم مسطح -رضي الله عنها- ١٢٥
كانت عائشة بيضاء جميلة، ولم يتزوج النبي ﷺ بكرًا غيرها ١٢٦
فضيلة أم رومان -رضي الله عنها- وبيان حسن تعاملها مع ابنتها ١٢٧
ذكر منقبة من مناقب الصِّدِّيق..... ١٥٤

١٢- اللغة واشتقاقاتها

تعريف الإفك لغة، وبيان كم لغة في لفظه ٦٣
الزعم قد يقع موضع القول، وإن لم يكن فيه تردد ١٠٧
ذكر معنى «الغائط» عند العرب ١١٠
اختلف أهل اللغة: هل للجَزْع جمع أم لا؟..... ١١٠
بيان الخلاف في ضبط كلمة «يهبُلن»، وأنه على ثلاثة أوجه، أشهرها: ضم الياء، وفتح الهاء، والباء المشددة ١١١
ذكر معنى القلقلة في اللغة..... ١١٢
العرب تثبت النون في الأفعال الخمسة إن لم تسبق بناصبٍ أو جازمٍ، وفي لغة تحذف النون مطلقًا ١١٣
الظن يأتي بمعنى العلم..... ١١٣
السواد يلفظ ضد البياض، يطلق على أي شخص كان ١١٥
الاسترجاع هو قول المرء: إنا لله وإنا إليه راجعون ١١٦
بيان معنى (موغرين) وما أخذ منها من معانٍ ١١٨
الابن في جملة (عبد الله بن أبي ابن سلول)، بإثبات الألف ورفع آخره، لأنه صفة لعبد الله لا لأبي، وسلول غير منصرف، وهو اسم أم عبد الله ١١٨-١١٩
العصبة من العشرة إلى الأربعين ١٢١
(اللُطْفَ) -بضم أوله وسكون ثانيه-، وبفتحهما؛ لغتان..... ١٢٢
«تيكم» بالمثناة المكسورة، وهي للمؤنث مثل ذاكم للمذكر..... ١٢٢
«نَقِهَ» بفتح القاف وكسرها لغتان، والفتح أشهر ١٢٢
(أي): حرف نداء للبعيد، وقد يستعمل للقريب حيث ينزله منزلة البعيد..... ١٢٥
(هنتاه)؛ أي: هذه، وقيل: امرأة، وقيل: بلهى..... ١٢٥

(هنتاه) تختص بالنداء، وهي عبارة عن كل نكرة، وإذا خوطب المذكر، قيل: ياهن، أو: ياهناه ...١٢٥
قيل للزوجات: ضرائر؛ لأن كل واحدة يحصل لها الضرر من الأخرى بالغيرة والقسم ١٢٦
العَمْر -بفتح العين المهملة-: هو البقاء، وهو العُمُر بضمها؛ لكن لا يستعمل في القسم إلا بالفتح ١٣٧
ضبط كلمة (أبَنَوا) في حديث عائشة، وكلام أهل العلم في ذلك..... ١٦٢

١٣- متفرقات

فقدان الحلاوة واللذة في العبادة، ليس دليلاً على عدم القبول ٤١
تفاوت حال الناس؛ لتفاوت تجاربهم في الحياة ١١٣
الأصل في الذي يفقد شيئًا أن يرجع بفكره القهقرى إلى الحد الذي يتحقق وجوده، ثم يأخذ من هناك التنقيب عنه ١١٤
سبب نوم عائشة عندما لم تدرك الجيش هو الغم، أو البرد في السحر، أو أن الله -سبحانه وتعالى- لطف بها؛ لتستريح من وحشة الانفراد في البرية بالليل ١١٤
سبب تأخر صفوان إما لصلاة أو لنوم..... ١١٥
المرء يستشير أهل بطانته ممن يلوذ به بقرابة وغيرها، وتخصيص من جُرِّبَ صحة رأيه منهم.... ١٢٦
الشباب لهم من صفاء الذهن ما ليس لغيرهم، وهذا من دوافع استشارة الرسول ﷺ عليًا وأسامة -رضي الله عنهما- ١٢٩
المسنُّ غالبًا يحسب العاقبة فربما أخفى بعض ما يظهر له، خلافاً للشاب ١٣٠
عدَّت عائشة -رضي الله عنها- عليًا مسيئًا حيث لم يجزم بما جزم به أسامة..... ١٣١
ضرورة التثبت في الشهادة..... ١٣١
أهمية فطنة الإمام عند الحادث المهم ١٣١
الاستنصار يكون بالأخصّاء على الأجانب ١٣١
بيان حكمة تأخر نزول الوحي شهرًا في حادثة الإفك ١٥٢
مَن قال: إن براءة عائشة ثابتة بصريح القرآن دون السنة؛ فهو ذو فهم قاصر ١٥٦
اعتراض الحافظ ابن حجر على الإمام ابن القيم، وبيان خطئه في اعتراضه، وتصويب كلام ابن القيم ١٨٩

٩- فهرس المصادر والمراجع

١- «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، ط - دار الرشد - السعودية، و ط - دار الوطن - السعودية.

٢- «إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة» للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط - السعودية.

٣- «إثبات صفة العلو» موفق الدين ابن قدامة المقدسي، ط - السلفية -الكويت.

٤- «أحكام القرآن» لأبي بكر محمد بن عبدالله، المعروف بـ (ابن العربي)، ط -دار الفكر - بيروت.

٥- «إرشاد الساري شرح صحيح البخاري» للقسطلاني، ط -إحياء التراث العربي، بيروت.

٦- «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل» لمحمد ناصر الدين الألباني، ط - المكتب الإسلامي - بيروت.

٧- «أسباب النزول» لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ط - دار الكتب العلمية - بيروت.

٨- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» لمحمد الأمين الشنقيطي، ط - عالم الكتب - بيروت.

٩- «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض، ط - دار الوفاء - مصر.

١٠- «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» لبدر الدين الزركشي، ط - المكتب الإسلامي - بيروت.

١١- «الآحاد والمثاني» لأبي بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك، المعروف بـ (ابن أبي عاصم)، ط - دار الراية - السعودية.

١٢- «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» لعلاء الدين بن بلبان الفارسي، ط- مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٣- «الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» لابن عساكر، ط - دار الفكر - دمشق.

١٤- «الأسماء والصفات» لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط - مكتبة السوادي - السعودية.

١٥- «الإصابة في تمييز الصحابة» للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٦- «الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» ابن الملقن، ط - دار العاصمة - السعودية.

١٧- «الإكليل في استنباط التنزيل»، للسيوطي.

١٨- «الأمالي» للقاضي الحسين بن إسماعيل المحاملي - رواية ابن البيع، ط -دار ابن القيم - السعودية.

١٩- «الأوائل» للعسكري، ط - السعودية.

٢٠- «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر، ط - مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢١- «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير، ط - دار هجر - مصر.

٢٢- «التاريخ الأوسط» للإمام محمد بن إسماعيل البخاري. ط - دار الصميعي - السعودية.

٢٤- «التكملة لوفيات النقلة» للحافظ المنذري، ط -مؤسسة الرسالة-بيروت.

٢٥- «التوكل على الله» لابن أبي الدنيا، ط - دار البشائر الإسلامية - بيروت.

٢٦- «الجرح والتعديل» لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ط - دائرة المعارف العثمانية - الهند.

٢٧- «الحجة في بيان المحجة» لقوام السنة الأصبهاني، ط - دار الراية - السعودية.

٢٨- «الدر المنثور في التفسير المأثور» للسيوطي، ط - دار الفكر - بيروت، وط - دار هجر - مصر.

٢٩- «الدلائل في غريب الحديث» للقاسم بن ثابت السرقسطي، ط – مكتبة العبيكان- السعودية.

٣٠- «الدين الخالص» محمد صديق حسن خان، ط – دار التراث – القاهرة.

٣١- «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلي، ط – دار المعرفة -بيروت.

٣٢- «الرد على الجهمية» لعثمان بن سعيد الدارمي، ط – الدار السلفية – الكويت.

٣٣- «الروض الأنف» للسهيلي، ط – بيروت.

٣٤- «السلسلة الصحيحة» محمد ناصر الدين الألباني، ط - مكتبة المعارف -السعودية.

٣٥- «السلسلة الضعيفة» محمد ناصر الدين الألباني، ط - مكتبة المعارف - السعودية.

٣٦- «السنن الصغرى» المسمى: «المجتبى» لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ط - دار الكتاب العربي - بيروت.

٣٧- «السنن الكبرى» أحمد بن شعيب النسائي، ط - مؤسسة الرسالة - بيروت.

٣٨- «السيرة» لابن هشام، ط – دار المغني – السعودية.

٣٩- «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض، ط - دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٠- «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ» تقي الدين ابن تيمية، ط - دار ابن حزم -بيروت.

٤١- «الطبقات الكبرى» لابن سعد، ط - مكتبة الخانجي - القاهرة.

٤٢- «العبر في خبر من عبر» للحافظ الذهبي، ط - دار الكتب العلمية -بيروت.

٤٣- «العجاب في بيان الأسباب» ابن حجر العسقلاني، ط - دار ابن الجوزي - السعودية.

٤٤- «الفصول في سيرة الرسول» للحافظ ابن كثير الدمشقي، ط - دار غراس -الكويت.

٤٥- «الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة» لشمس الدين الذهبي، ط - دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٦- «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، ط - دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٧- «الكامل في الضعفاء» لابن عدي، ط - دار الفكر - بيروت.

٤٨- «الكشف والبيان» للثعالبي، ط - بيروت.

٤٩- «الكفاية في معرفة أصول علم الرواية» لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، ط - مصر.

٥٠- «المحلى» لابن حزم، ط - دار الآفاق الجديدة - بيروت.

٥١- «المسند» لأبي داود الطيالسي، ط - دار هجر - مصر.

٥٢- «المسند» لأبي يعلى الموصلي، ط - دار المأمون - دمشق.

٥٣- «المسند» لأحمد بن حنبل، ط - مؤسسة الرسالة - بيروت. وط - دار الفكر - بيروت. و ط -دار المعارف - مصر.

٥٤- «المسند» لإسحاق بن راهويه، ط - دار الإيمان - السعودية.

٥٥- «المسند» لعبد الله بن الزبير الحميدي، ط - دار عالم الكتب - بيروت.

٥٧- «المصنف» لابن أبي شيبة، ط - الدار السلفية - الهند.

٥٨- «المصنف» لعبدالرزاق الصنعاني، ط - المكتب الإسلامي - بيروت.

٥٩- «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط - دار العاصمة - السعودية. و ط - دار الوطن - السعودية.

٦٠- «المعجم الكبير» للطبراني، ط - وزارة الأوقاف العراقية.

٦١- «المعرفة والتأريخ» للحافظ يعقوب بن سفيان الفسوي، ط - مؤسسة الرسالة - بيروت.

٦٣- «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لعبد الله القرطبي، ط – ابن كثير ودار الكلم الطيب - دمشق.

٦٤- «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لأبي الفرج بن الجوزي، ط - دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٥- «المنتقى» لابن الجارود = غوث المكدود.

٦٦- «النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة» لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٦٧- «النقض على بشر المريسي العنيد» عثمان بن سعيد الدارمي، ط – مكتبة الرشد – السعودية.

٦٨- «النهاية في غريب الحديث والأثر» لأبي السعادات ابن الأثير، ط - المكتبة الإسلامية - مصر.

٦٩- «الوسيط في تفسير القرآن المجيد» لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ط - دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٠- «بهجة النفوس» لابن أبي جمرة، ط- دار الجيل – بيروت.

٧١- «تاريخ الأمم والملوك» لمحمد بن جرير الطبري، ط – القلم – بيروت.

٧٢- «تاريخ المدينة» لعمر بن شبة النميري، ط - دار العليان - السعودية. وط - دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٣- «تاريخ جرجان» للسهمي، ط - دار عالم الكتب - بيروت.

٧٤- «تاريخ داريا» للقاضي عبدالجبار الخولاني، ط - دمشق.

٧٥- «تاريخ دمشق الكبير» لابن عساكر، ط - دار إحياء التراث - بيروت.

٧٦- «تاريخ دنيسر» لابن اللمش، دار البشائر – دمشق.

٧٧- «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» لأبي الحجاج يوسف المزي، ط - الهند.

٧٨- «تحفة التحصيل في رواة المراسيل» لأبي زرعة العراقي، ط- مكتبة الرشد

-السعودية.

٧٩- «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ط - دار الكتب العلمية - بيروت.

٨٠- «تغليق التعليق على صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر، ط- المكتب الإسلامي - بيروت.

٨١- «تفسير أبي السعود» لأبي السعود، ط - بيروت.

٨٢- «تفسير أبي المظفر السمعاني» لأبي المظفر السمعاني، ط – دار الوطن -السعودية.

٨٣- «تفسير ابن أبي حاتم»، ط - مكتبة الباز - السعودية.

٨٤- «تفسير الفخر الرازي» الفخر الرازي، ط - إحياء التراث - بيروت.

٨٥- «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير، ط - دار الفتح - الإمارات.

٨٦- «تفسير الكشاف» الزمخشري، ط – إحياء التراث العربي – بيروت.

٨٧- «تفسير عبد الرزاق» لعبد الرزاق الصنعاني، ط – الرشد – السعودية.

٨٨- «تقريب التهذيب» لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط -مؤسسة الرسالة - بيروت. وط - دار المعرفة - بيروت.

٨٩- «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط - دار الفكر -بيروت.

٩٠- «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» لأبي الحجاج المزي، ط - مؤسسة الرسالة - بيروت.

٩١- «تهذيب سنن أبي داود» لابن قيم الجوزية، ط - دار المعرفة - بيروت.

٩٢- «ثقات ابن حبان» لابن حبان البستي، ط – دار الفكر – بيروت مصورة عن الطبعة الهندية.

٩٣- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» لمحمد بن جرير الطبري، ط - دار هجر - مصر.

٩٤- «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام» لابن قيم الجوزية. ط – دار ابن الجوزي، السعودية.

٩٥- «خلق أفعال العباد» لأبي عبد اللّه محمد بن إسماعيل البخاري، ط - الدار السلفية - الكويت.

٩٦- «دلائل النبوة» للبيهقي، ط - دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٧- «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية، ط - مؤسسة الرسالة - بيروت.

٩٨- «سنن ابن ماجه» لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ط – دار إحياء التراث -بيروت.

٩٩- «سنن الترمذي» ، ط - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٠٠- «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي، ط - مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٠١- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي، ط - دار المسيرة - بيروت.

١٠٢- «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لأبي القاسم هبة اللّه بن الحسن الطبري اللالكائي، ط - دار طيبة - السعودية.

١٠٣- «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي، ط - المكتب الإسلامي -بيروت.

١٠٤- «شرح صحيح مسلم» لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط -دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٠٥- «شرح معاني الآثار» لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ط -دار الكتب العلمية - بيروت.

١٠٦- «شعب الإيمان» للبيهقي، ط - مكتبة الرشد - السعودية، و ط - دار الكتب العلمية - بيروت.

١٠٧- «صحيح ابن خزيمة» لمحمد بن إسحاق بن خزيمة، ط - المكتب

الإسلامي - بيروت.

١٠٨- «صحيح مسلم بن الحجاج» لمسلم بن الحجاج، ط - دار إحياء الكتب العربية.

١٠٩- «طبقات الحنابلة» للقاضي أبي الحسين محمد بن يعلى الفراء- السعودية.

١١٠- «طرح التثريب في شرح التقريب»، لأبي زرعة العراقي -دار إحياء التراث العربي -بيروت.

١١١- «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير»» لابي الفتح محمد بن سيد الناس اليعمري، ط - دار التراث - المدينة النبوية.

١١٢- «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» الحافظ ابن حجر، ط - دار الفكر -بيروت.

١١٣- «فتح المنان بشرح مسند الدارمي أبي عبدالرحمن» لنبيل العمري، ط - دار البشائر - بيروت.

١١٤- «فضائل الصحابة» أحمد بن حنبل، ط - جامعة أم القرى - السعودية.

١١٥- «كتاب التنبيهات المجملة على المواضع المشكلة» لصلاح الدين خليل بن كيكلدي (العلائي)، ط - مكتبة العلوم والحكم - المدينة النبوية.

١١٦- «كتاب الشريعة» لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، ط - دار الوطن - السعودية.

١١٨- «كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي، ط - دار الوطن -السعودية.

١١٩- «لسان العرب» لأبي الفضل ابن منظور، ط - دار صادر - بيروت.

١٢٠- «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ط - أضواء السف - السعودية.

١٢١- «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للهيثمي، ط - دار الفكر - بيروت.

١٢٢- «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط -السعودية.

١٢٣- «مختصر العلو للعلي العظيم» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط - المكتب الإسلامي - بيروت.

١٢٤- «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن قيم الجوزية، ط - دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢٥- «مسند الشاميين» للطبراني، ط - مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٢٦- «مشكل الآثار» لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ط - مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٢٧- «مشيخة قاضي القضاة ابن جماعة» بدر الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم ابن جماعة، ط - دار الغرب الإسلامي - بيروت.

١٢٨- «معالم التنزيل» للبغوي، ط - دار طيبة - السعودية.

١٢٩- «معجم البلدان» لياقوت الحموي، ط - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٣٠- «معجم الشيوخ» لابن عساكر، ط - دمشق.

١٣٢- «معرفة السنن والآثار» للبيهقي، ط - دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣٣- «معرفة الصحابة» لأبي نعيم الأصبهاني، ط - دار الوطن - السعودية.

١٣٥- «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للحافظ الذهبي، ط - دار المعرفة -بيروت.

١٣٦- «نزهة الناظر في ذكر من حدّث عن أبي القاسم البغوي من الحفاظ والأكابر» لعلاء الدين بن العطّار - السعودية.

١٣٧- «نصب الراية لأحاديث الهداية» للحافظ جمال الدين الزيلعي، ط - دار الحديث - مصر.

١٠- فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٥
ترجمة المصنف	٥
صور من صفحات المخطوط	٥٠
مدخل إلى حديث الإفك	٦٣
أولا: تعريف الإفك	٦٣
ثانياً: خطورة النفاق وأثره على المجتمع	٦٥
ثالثًا: الإشاعة وأثرها السيئ على الأمة	٨٢
رابعًا: مكانة البيت النبوي في ضوء حادثة الإفك	٨٤
خامسًا: حكم سب زوجات النبي ﷺ، والوقوع في أعراضهن	٨٦
سادسًا: قصيدة ابن بهيج الأندلسي في الذب عن أم المؤمنين عائشة الصدّيقة	٩٧
سابعًا: نظم حديث الإفك	٩٩
حديث الإفك	١٠٥
بحث حول براءة عائشة وعلاقة ذلك بالعصمة (هامش)	١٤١
بحث في تاريخ وفاة أم رومان-رضي الله عنها- (هامش)	١٩٣
الذيل على جزء حديث الإفك	٢٠١
الفهارس العلمية	٢٤٩
١- فهرس الآيات القرآنية	٢٥١
٢- فهرس الأحاديث النبوية	٢٥٧
٣- فهرس الآثار السلفية	٢٦١
٤- فهرس الرواة والأعلام المترجم لهم	٢٧٥
٥- فهرس الأشعار	٢٧٩
٦- فهرس الأماكن والبلدان	٢٨٥
٧- فهرس القبائل والفرق والجماعات والمذاهب والأنساب	٢٨٩
٨- فهرس الفوائد العلمية	٢٩٥
٩- فهرس المصادر والمراجع	٣٠٥
١٠- فهرس الموضوعات	٣١٥